

مجلة فصلية معنية بالشأن العراقي تصدر عن مركز الأمة للدراسات والتطوير
العدد الرابع شوال ١٤٣٠هـ / تشرين الأول ٢٠٠٩م



إهـــــــــداء ٢٠١٠
مجلة الحضارة
جمهورية مصر العربية



حضارة

مجلة فصلية معنية بالشأن العراقي تصدر عن مركز الأمة للدراسات والتطوير
العدد الرابع شوال ١٤٣٠هـ / تشرين الأول ٢٠٠٩م

نقال: ٠٠٩٦٤٧٨١٠٨٠١٠٢١
نقال: ٠٠٢٠١٧٤٨٧٦٠١١
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٧٦١٩٥٩٦

Mobile: 009647810808021
Mobile: 0020174876011
TeleFax: 0020237619596

البريد الإلكتروني
Hadhara.magazine@yahoo.com

ضوابط النشر في المجلة

(١) أن تراعي البحوث والدراسات والمقالات المراد نشرها في المجلة الالتزام بالأهداف العامة لمركز الأمة للدراسات والتطوير.

(٢) الالتزام بالمنهج العلمي الأكاديمي في توثيق البحوث والدراسات والمقالات المنشورة توثيقاً علمياً، وذلك بإيراد المصادر والمراجع وفق معلومات النشر المتعارف عليها.

(٣) ألا تكون المواد المرسلة للنشر في المجلة قد نشرت أو أرسلت للنشر في مكان آخر.

(٤) إرسال نصوص البحوث والدراسات والمقالات وغيرها بواسطة البريد الالكتروني إلى مدير تحرير المجلة وعلى عنوانها البريدي المعلن على صفحات المجلة.

(٥) أن لا يزيد حجم الدراسة أو البحث عن خمسة عشر صفحة (A4) كحد أقصى، وأن لا يقل عن عشر صفحات، وأن لا يزيد حجم المقالة عن خمس صفحات ولا يقل عن ثلاثة.

(٦) تنشر المجلة تقارير تغطية المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية ومراجعات الكتب، على أن لا يزيد حجم التقرير عن صفحتين (A4) ولا يقل عن صفحة واحدة، وأن يلتزم كاتبه بإيراد أهم المعلومات.

(٧) لا تدفع المجلة أية مكافآت نقدية عن البحوث والدراسات المنشورة فيها، وتعتمد على تعاون الباحثين والدارسين من أجل تأدية رسالتها في خدمة الأهداف التي أسست من أجلها.

في هذا العدد

مركز الأمة للدراسات والتطوير

وصف المركز

مركز الأمة للدراسات والتطوير مركز متخصص يعمل في مجال إعداد البحوث والدراسات الجادة المختصة بالشأن العراقي في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، ويهتم بالدراسات العامة في الشؤون الثقافية والعلمية والإدارية، كما يعنى بتدريب الكوادر وتطويرها وتأهيلها.

أهداف المركز

(١) العناية بالدراسات والبحوث في الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأمنية والعلمية.

(٢) دراسة وتحليل المشاكل والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق، ومحاولة وضع تصور أفضل لتشخيصها وكيفية التعامل معها، وآلية معالجتها.

(٣) التعريف بثقافة مقاومة الاحتلال وممانعة مشروعه، وتعزيزها ونشرها.

(٤) المساهمة في تنمية المجتمع العراقي على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلمية.

(٥) تدريب الكوادر وتأهيل العاملين في المجالات السياسية والقانونية والإدارية والإعلامية وحقوق الإنسان وتطوير مهاراتهم.

(٦) رفد الجهات والمؤسسات والهيئات ذات الاهتمام المشترك بالدراسات العلمية الرصينة والبحوث الموضوعية الهادفة.

الوسائل والأنشطة

(١) تنظيم وإقامة المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش والمحاضرات والدورات التدريبية المتخصصة وورش العمل.

(٢) إعداد وتأليف ونشر الدراسات والأبحاث العلمية التي تتعلق بمجالات اهتمام المركز وأهدافه، بالإضافة إلى إصدار المنشورات العلمية الدورية وغير الدورية.

(٣) التعاون العلمي مع الجامعات والهيئات والمراكز العلمية المتخصصة.

(٤) ترجمة الدراسات والإصدارات المتعلقة باهتمامات وأهداف المركز ذات المستوى العلمي المتميز.

هيكلية المركز

يتألف المركز من الهيئة الاستشارية التي تضم مجموعة من أساتذة الجامعات والمختصين ورجال الثقافة، والإدارة والتي تتكون من مدير المركز ورؤساء الأقسام ومسئولي الوحدات المتخصصة، وأقسام المركز ووحداته وهي قسم الدراسات وقسم التطوير ويتكون المركز من عدة وحدات متخصصة منها وحدة الرصد والتوثيق و وحدة الترجمة و وحدة المجلة.

حضارة.. وشق طريق التواصل والعطاء

رئيس التحرير

ها هي الإطلالة الجديدة لـ (مجلة حضارة) التي يصدر عددها الرابع فيأذن بدخول عام جديد بعد أن أكملت بأعدادها الثلاثة السابقة وعددها التجريبي الصادر في مطلع الشهر العاشر من عام (٢٠٠٨م)؛ عامها الأول.

وها هو فريق محرريها يجسد حالة الإصرار على تحقيق الأهداف والالتزام بالمبادئ التي وضعوها لأنفسهم وهم يقدمون على هذه المغامرة الجميلة على الرغم من كل الصعاب التي تواجههم وهم يعيشون ظرف الاحتلال الذي ستنجلي غيمته، ببزوغ فجر العراق المحرر من ظلم وعدوان المعتدين بجهود المخلصين والصادقين، وحسب (جنود) حضارة أن يكونوا ممن يسهمون معهم في نيل هذا الشرف.

وفريق حضارة يدرك جيداً أن مواصلة المشوار والإبداع فيه تتطلب منهم مزيداً من التحمل والصبر، ومواكبة الحدث والتطورات الجارية أولاً بأول، في ظل التقلبات التي يشهدها العراق الجريح، الذي يعاني أبناءه هذه الأيام - فضلاً عن معاناة الاحتلال- من الخلط العجيب في المفاهيم والتصورات، مما تقوم ببثه جهات لا مسؤولة، هدفها وغايتها تشويش الفكر، والتنازل عن القيم والمبادئ الفطرية.

وفي ظل ما نفخر به من تقدم ملحوظ في إمكانات المجلة العلمية، والفنية، وتواصل الباحثين، بما يعود بالنفع على القارئ الكريم؛ فإن هذا العدد سوف يكون إضافة نوعية لما سبق من أعداد؛ لاحتوائه على مجموعة من الأبحاث والدراسات المهمة تقف في مقدمتها الدراسة التي يقدمها الباحث الدكتور عبد الكريم العلوجي، بعنوان (اتفاقية الإذعان وتداعيات الاحتلال على دول الجوار)، والدراسة التي قدمها المفكر الإسلامي الدكتور محمد مورو بعنوان (الإسلام والغرب، تعاون أم مواجهة)، وكذلك المشاركة المهمة والقيمة للخبير في طرائق التعليم الأستاذ منذر الأعظمي بعنوان (أولويات التعليم العراقي في المرحلة الراهنة).

وضمَّ العدد جملة من المقالات، منها مقالة الأستاذ حارث الأزدي التي يتناول فيها موضوع الانتخابات القادمة، بعنوان (الأداء الأخطبوطي المتناغم مع إرادة المحتل – مقتربات الانتخابات)، ومقالة الباحث جهاد بشير في مشاركته المعنية بحالة المقاومة في العراق، تحت عنوان (نحو ثقافة مقاوِمة، قراءة في مشروع الممانعة في العراق)، ومقالة الأستاذة سكينة الصميدعي رئيسة رابطة الأم العراقية، التي رصدت فيها ما تتعرض له المرأة العراقية، وما تعيشه من واقع مأساوي في ظل الاحتلال، بعنوان (واقع المرأة العراقية في زمن ديمقراطية الاحتلال الأمريكي).

ويمتاز ملف هذا العدد بمحاولة رصد التاريخ المخزي والجرائم المستمرة للشركات الأمنية الأمريكية التي مازال سجلها السيء مفتوحاً ومثار جدل، وقد ضم الملف ثلاث دراسات: الأولى لرئيس تحرير موقع لواء الشريعة الباحث السيد أبو داود، بعنوان (بلاك ووتر، عنوان الحرب الصليبية في العراق)، والثانية للكاتب والباحث محمد رشيد، الذي تحدث فيها عن تاريخ إرهاب هذه الشركات، وجاءت مشاركته بعنوان (جذور الإرهاب)، والدراسة الثالثة كانت

للباحث ناصر الفهداوي، بعنوان (الشركات الأمنية الخاصة والمهام الإنجيلية التبشيرية).

أما وثائق هذا العدد، فإنها تحتوي الرد على المتحدث باسم القيادة المركزية لقوات الاحتلال في العراق، الذي علق على مقالة الأستاذ حسين الرشيد (مدير تحرير مجلة حضارة) التي نشرت في العدد الثالث من المجلة، بعنوان (جيش الاحتلال في العراق بين الفرار والانتحار)، ثم أعيد نشرها في بعض المواقع الإلكترونية الخبرية، وجاء هذا الرد الذي كتبه الأخ الرشيد تحت عنوان (حينما تتجنى القيادة المركزية على الأقلام الحرة).

وفي حقل التقارير والاستطلاعات، الذي تعودنا أن ننشر فيه بعض الدراسات المترجمة التي تعود بالنفع على القارئ الكريم، قام الباحث سيف الجبوري بترجمة ثلاث نصوص مهمة، حيث خصصنا هذا الحقل من هذا العدد لترجمة بعض المقالات التي كتبها إعلاميون أجانب في عدد من الصحف الأوربية والأمريكية، بحق الإعلامي العراقي منتظر الزيدي، الذي قام بعمله المشهود حينما رشق بحذائه مسعر الحرب في العراق جورج بوش، أثناء زيارته الوداعية للعراق قبيل انتهاء ولايته الرئاسية.

وتختم المجلة صفحاتها بذكر عدد من نشاطات مركز الأمة للدراسات والتطوير بأقسامه المختلفة خلال الأشهر الماضية.

وأخيراً، فإن (مجلة حضارة) إذ تقدم للقراء الكرام حصادها في هذا العدد، فإنها تؤكد ترحيبها بمقترحات القراء وملاحظاتهم، وتغتنم هذه الفرصة لتجديد الدعوة للباحثين والمهتمين للمشاركة معنا في التعريف بقضيتنا العادلة، والسعي الجاد في تنمية المجتمع العراقي على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلمية.. سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.. إنه نعم العون والمجيب.

عقد اتفاقية (الإذعان) الأمريكية – العراقية وتداعيات الاحتلال على دول الجوار الإقليمي والعربي

د. عبد الكريم العلوجي[1]

عندما سارت الولايات المتحدة الأمريكية في مشروعها الإمبراطوري لحكم العالم، بدأت بإطلاق النظريات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وهي بذلك تعتقد أنها من خلال هذه النظريات تحرّك العالم بأصبعها، ومنذ حرب الخليج الثانية ثم الحرب على أفغانستان وأخيراً احتلال العراق هو في واقع السياسة الأمريكية وكما أعلنتها كونداليزا رايس (بنشر) "الفوضى الخلاقة"، في العالم العربي لا بل في العالم أجمع، فكان تصور الولايات المتحدة بناء العالم بنظام جديد تضع هي خطوطه وتحركه سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً، ولكن الحلم اصطدم منذ جاء إلى العراق بظاهرة المقاومة العراقية التي أوقفت هذا المشروع بل أسقطته من منظومة السياسة الأمريكية.

وبالرغم أن أكثر السياسيين الأمريكيين والاستراتيجيين رأوا أن القوة المفرطة التي استعملتها الحكومة الأمريكية في أفغانستان والعراق وفلسطين

---

[1] كاتب ومحلل سياسي.

ولبنان لم تضع لهم هذه الإمبراطورية، والتي يحلم بها الليكوديون الجدد في الولايات المتحدة بقيادة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، ولم يتمكنوا من امتلاك الشرق الأوسط والتحكم به وخاصة ثروته النفطية.

إن المشروع الأمريكي الذي انطلق من العراق لإرساء "الديمقراطية" و"الحرية والعدالة" و"الدفاع عن حقوق الإنسان" في هذه المنطقة الساخنة من العالم ولكن هذا المشروع اصطدم بالمقاومة الوطنية، وكانت المقاومة العراقية هي الأبرز في مقاومة المشروع الأمريكي، وعندما عجزت الولايات المتحدة في فرض مشروعها وإرادتها بالقوة المسلحة والغزو.. بدأت تشعر إنها وقعت في المستنقع العراقي والذي لابد أن تخرج منه بطريقة تحفظ ماء الوجه وهيبة القوة العسكرية الأقوى في العالم، لجأت إلى التفاوض والتحايل في محاولة منها لانتزاع القرارات السياسية والدبلوماسية، وهذا ما تحاوله اليوم في العراق بما فرضته مما يسمى باتفاقية (الإذعان) الموقعة بين الحكومة الأمريكية والحكومة العميلة لها في العراق.

إن القرار السياسي العراقي لا يخلو من تأثيرات على إقراره وصياغته.. رغم ما يصرح به من قبل الحكومة العراقية الحالية من استقلال القرار، ويضاف إلى ذلك ربط سياسة الخارجية العراقية بالسياسة الأمريكية وهذا تكبيل للسياسة وصناعة القرار العراقي الوطني.

وسوف ترسم السياسية الاقتصادية الأمريكية على ثروات العراق وخاصة النفط والغاز واستغلاله، ومن الأهداف الغير معلنة للحرب على العراق هو (النفط).

النفط هو الهدف الرئيسي من العدوان على العراق، وهذا ما أكده وزير الطاقة الأمريكي (جون هاري جون).. حيث قال إن العراق يسبح على بحر

من النفط كما أكد معهد (بيكر) للسياسة الدولية الذي يشرف عليه وزير الخارجية والخزانة الأمريكي.

إن إحدى النتائج البعيدة هي وعي الولايات المتحدة بضرورة تكثيف البحث عن مصادر وارداتها النفطية، وإن لم يحدث تغيير جذري في سياسة الاستثمار النفطي في العراق؛ فإنه لن يكون هناك بديل سريع في العراق، لذا خطط السياسيون الأمريكيون للهيمنة التامة على العراق ونفطه وإعادة رسم خريطة الحكم في بغداد، والدليل على ذلك أن عقود الغاز العراقي تم منحها إلى شركة شل الأمريكية دون موافقة ما يسمى مجلس النواب العراقي!.

لم يكن توقيع اتفاقية الإذعان إلا سلسلة من الاتفاقات التي ستفرض على حكومة الاحتلال من خلال الاتفاقيات الاقتصادية والأمنية والسياسية والثقافية والصناعية التي سوف تعقدها الولايات المتحدة مع حكومة الاحتلال مسيطرة على كل مقدرات الشعب العراقي لعقود طويلة، وكانت عقود النفط التي وقعتها هذه الحكومة مع الشركات متعددة الجنسيات بالمشاركة في الإنتاج والتنفيذ لعقود من الزمن هي البداية على هذه الثروة التي هي ملك الشعب العراقي، وكانت اتفاقية الإذعان وما جاء بها من بنود هي بمثابة القيد الذي قيدت به الحكومة الأمريكية والمسؤولين العراقيين الحاليين.

ولم يكن مقدراً لحكومة نوري المالكي، أن تتصرف حيال الاتفاق الأمني الذي فرض على العراقيين وجاء مكملاً لاتفاق الإطار الاستراتيجي الذي يشكل جوهر ما سُمّيَ (الالتزامات الأمريكية حيال العراق في المجالات السياسية والدبلوماسية والثقافية والاقتصادية إذاً لا مجال لوجود أوهام حيال إمكانية الجمع بين المصالح الوطنية للشعب العراقي ومصالح ومتطلبات الاحتلال كما تروج قوى الأمر الواقع السياسية في العراق، في محاولة للي عنق النصوص والوقائع، وإقناع العراقيين والعرب (أن ليس بالإمكان أفضل

مما كان) وأن البديل عن توقيع الاتفاق سيكون الفوضى العارمة، ولاسيما بعد ارتفاع وتيرة التهديدات الأمريكية وازدياد الضغط والترهيب التي شاركت فيها إلى جانب المسؤولين الرسميين وكبريات الصحف الأمريكية والتي اشتملت على التهديد بمصادرة أموال النفط العراقية المودعة في البنوك الأمريكية، وتحريك المحاكم لمقاضاة بغداد، وفتح الحسابات القديمة مع المدنيين والسماسرة والتجار والشركات، والإيعاز إلى دول كثيرة بوقف علاقاتها الدبلوماسية معها أو تجميدها وإطلاق يد القوى الميليشياوية وعملائها وإلغاء مشاريع بملايين الدولارات، فضلاً عن إيقاف جميع العمليات العسكرية، ورفع الحماية الجوية والبرية والبحرية وطرد أكثر من ١٥٠ ألف عراقي يعملون معها.

هذه التهديدات-أرسلت برسالة أمريكية لحكومة المالكي إذا لم توقع الاتفاقية، وهو ما لم تقله حكومة المالكي، بينما اتهم الكونغرس الأمريكي إدارة بوش بالتعتيم على نسخها الإنكليزية.

إن الخطر الأكبر على العراق لا يأتي فقط من الاتفاق الأمني الذي شحن جدلاً واسعاً طوال الأشهر السابقة، والذي نسف رئيس أركان الجيوش الأمريكية الأميرال مايكن مولن (حسنته الوحيدة) التي كان من الممكن أن يقتنع بها العراقيون والعرب ودول الجوار حينما توصل المفاوض العراقي إلى انسحاب قوات الاحتلال في العام ٢٠١١م وتتيح له الخروج من أحكام البند السابع، وقد نفى مولن هذه الحسنة من جانب حكومة المالكي أمام العراقيين عندما أعلن أن الانسحاب الأمريكي من العراق المقرر عام ٢٠١١م حسب مشروع الاتفاق بين بغداد وواشنطن سيكون مرتبطاً بالوضع على الأرض.

وجاء تصريح وزير الدفاع الأمريكي غيتس في ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٨م في أفغانستان (إن من المحتمل أن يكون اهتمام كبير للإبقاء على أكبر عدد ممكن من القوات في العراق خلال انتخابات المحافظات وربما لبعض الوقت)، وجاء أول تأكيد أمريكي لبقاء القوات الأمريكية في المدن العراقية بعد حزيران/ يونيو ٢٠٠٩م وهو الموعد لانسحاب القوات الأمريكية خارج المدن العراقية في نهاية شهر يونيو/ حزيران، وبموجب اتفاق سحب القوات بين بغداد وواشنطن، حيث كشف قائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال رايموند أوديرنو – أن قوات غير مقاتلة ستبقى في المدن لتقديم الدعم والتدريب والمساندة للقوات العراقية بعد حزيران/ يونيو ٢٠٠٩م.

ومن اتفاقية الإطار المتعلقة بما يسمى التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والدبلوماسية بين البلدين على المدى الطويل، حيث نص الاتفاق على تقديم الولايات المتحدة الدعم إلى الحكومة العراقية لـ (حماية النظام الديمقراطي) واحترام الدستور وصيانته، وتحقيق المصالحة الوطنية وتعزيز مكانة العراق في المنظمات والمؤسسات والمحافل الدولية والإقليمية، وتشجيع الجهود السياسية الرامية إلى إيجاد علاقات مع دول المنطقة والعالم.

أما فيما يخص الجانب الاقتصادي في الاتفاق بما تمّ تسميته (بالدعم الأمريكي للنهوض بالعراق في مختلف المجالات الاقتصادية، وربط الاقتصاد العراقي باقتصاد السوق والحصول على معاملة أمريكية تفضيلية تقابلها معاملة عراقية للشركات الأمريكية.

من الواضح أن النصوص المعلنة من الاتفاق الأجنبي تسمح للقوات الأمريكية ببناء قواعد، وتخزين أسلحة ومعدات عسكرية، والتعاقد مع خبراء ومستشارين وذلك بمعزل عن قبول أو عدم قبول الحكومة العراقية!.

ما يعنى أن الأرض العراقية ستبقى مرتعاً خصباً للجواسيس الصهاينة وغيرهم، كما أنها ستشكل قواعد مراقبة وتجسس على دول الجوار والمنطقة وربما تكون منطلقاً لعمليات عسكرية ضد البلدان المجاورة أو المنطقة.

أما البند المتعلق بالحصانة التي تتمتع بها القوات الأمريكية وموظفيها من جيش ما يسمى (أفراد العنصر المدني) لاسيما حيال عمليات القتل والتجاوزات بمختلف أشكالها فقد تمّ إحالته إلى لجنة مشتركة (أمريكية – عراقية) لكي تبت فيه، وتحدد إذا ما كان من صلاحيات المحاكم العراقية النظر في ذلك أم لا؟ أي أن قوات الاحتلال هي صاحبة القرار الأول والأخير في هذا الجانب الذي حاولت القوى السياسية الداعمة للاتفاق تقديمه على أنه إنجاز كبير تمكنت حكومة المالكي من انتزاعه من أنياب الأميركيين الذين قايضوا حصانة قواتهم بالشركات الأمنية التي يزيد عدد العاملين فيها على عدد أفراد الجيش الأمريكي، حيث يبلغ عدد القوات الأمريكية نحو ١٥٠ ألف رجل وامرأة منتشرين في ٤٠٠ قاعدة، في حين أن هناك ٢٢١ شركة أمنية خاصة أميركية وبريطانية توظف ٣٦١ ألف موظف يقومون تحديداً بمهمات تأمين حماية قريبة للشخصيات الأمريكية والعراقية.

أما حول ما أشيع بأنه موعد محدد لانسحاب القوات المحتلة عن أرض العراق؛ فإن النصوص تشير بوضوح إلى ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١م هو لإجراء مراجعة مشتركة أمريكية عراقية لمدة الاتفاقية (أما تجديداً أو تعديلاً) أي أنه لا يوجد موعد واضح محدد لخروج القوات الأمريكية من العراق! دون أن ننسى أن الرئيس المنتخب (باراك أوباما) والذي كان قد دعا إلى تسريع انسحاب القوات الأمريكية من العراق، ويؤكد في المقابل على بقاء ما لا يقل عن ٥٥ ألف جندي أمريكي بصورة دائمة في العراق على شكل خبراء ومدربين ومستشارين وأجهزة أمنية ومخابراتية وغيرها، وهذا ما يعني

تكريس وشرعنة الاحتلال الذي ستبقى له اليد الطولى في رسم التوجيهات والسياسات العراقية وتقرير مستقبل العراق.

وبالرغم من تعهد باراك أوباما في حملته الانتخابية التي ركز فيها على انسحاب القوات الأمريكية من العراق خلال ستة عشر شهراً، إلا أنه عاد أو بالأصح تراجع عن تعهده عندما ربط الانسحاب الأمريكي من العراق بما تقرره القيادة العسكرية الميدانية الأمريكية في العراق وبذلك نجد أن أوباما قد لا يوفي بتعهده أمام الناخب الأمريكي.

والناخب الأمريكي محتدم اليوم بوضعه الاقتصادي الذي أصاب الاقتصاد الأمريكي والبطالة، أما بخصوص (اتفاق الإطار) والذي صيغت نصوصه بلغة مخادعة، فإنه يضع واقعياً إمكانيات العراق حاضراً ومستقبلاً تحت تصرف الولايات المتحدة التي سيصبح من حقها ووفق الاتفاق وكونها الطرف الأقوى؛ إعادة صياغة الرؤى والتوجهات العراقية اقتصادياً وسياسياً وفكرياً وثقافياً وفق مصالحها وتوجيهاتها، وتشير النصوص إلى أن واشنطن ستصبح معنية مباشرة بالحفاظ على الصيغة التي تراها مناسبة لمصالحها لما يسمى (العملية السياسية) وتعبيراتها التشريعية والتنفيذية والصيغ الطائفية السائدة تحت عنوان: تقديم الدعم لحماية النظام الديمقراطي واحترام الدستور وصيانته وتحقيق المصالحة الوطنية، وذلك عبر استخدام كل الوسائل المتاحة وفي مقدمتها عمليات القتل والإرهاب وتكميم الأفواه، فيما سيكون من صلاحيات الإدارة الأمريكية التحكم بعلاقات العراق مع المنظمات والمؤسسات والمحافل الدولية والإقليمية، وإلقاء القبض على مفاصل الاقتصاد العراقي وعلى رأسها الثروة النفطية وفرض الصيغ الاقتصادية دون النظر إلى تكلفتها الاجتماعية (اقتصاد السوق).

ومع أن ثمة حيثيات متداخلة، ذات طابع داخلي وإقليمي ودولي فرضـت هذا النمط من الاتفاقية التي تتعارض واتفاقية جنيف التي تعتبر أن لا قانونية ولا شرعية لأية اتفاقات توقع تحت حراب الاحتلال.

لذا وقّع الرئيس الأمريكي بوش ورئيس وزراء العراق المنصّب من قبل الاحتلال نوري المالكي في شهر تشرين الثاني ٢٠٠٧م مذكرة تفاهم لإبرام اتفاقية أمنية بين الطرفين، وقد نشرت هذه الاتفاقية وقوبلت بردود فعل مختلفة حتى بين الأطراف الحاكمة اليوم في العراق، بينما اعترضت عليها كل القوى السياسية والوطنية على رأسها فصائل المقاومة العراقية ومنظمات المجتمع المدني العراقية والعربية انطلاقاً من أن هذه الاتفاقية تمس السيادة العراقية. وفى ٢٦ أغسطس/ أب ٢٠٠٧م صدر بيان أكد فيه المسؤولون وأيده الرئيس بوش، أن الحكومتين العراقية والأمريكية ملتزمتان بتطوير علاقة تعاون وصداقه طويلة الأمد بين البلدين مما يلي "السيادة" و"الاستقلال" ولهما مصالح مشتركة، وأن العلاقة بين البلدين سوف تكون لصالح الأجيال المقبلة، وقد بنيت على التضحيات البطولية التي قدمها الشعبان العراقي والأمريكي من أجل عراق حر ديمقراطي تعددي فيدرالي موحد.

إن العلاقة التي تتطلع إليها جمهورية العراق والولايات المتحدة الأمريكية تشمل آفاقاً متعددة يأتي في مقدمتها التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية.

وهناك بنود سرية نشرت في عدد من الصحف العربية والعالمية كشفت حقيقة هذه الاتفاقية وتأثيراتها في داخل العراق وفى محيطه العربي والإقليمي.

تداعيات الاحتلال على دول الجوار الإقليمي والعربي

دول الجوار الإقليمي:

إيران:

على الرغم من أن إيران كانت تهدف إلى الإطاحة بنظام صدام حسين، إلا أن التأثيرات التي سوف تنجم عن حدوث ذلك بأيدي أمريكية لها تأثيرات ضارة على المصلحة الوطنية الإيرانية، و تتمثل أهم هذه التأثيرات فيا يلي:

١. يمثل الوجود الأمريكي على الحدود الإيرانية خطراً على النظام الإيراني ومصالحه، فلدى إيران قلق عميق من أن تصبح محاطة بالقوات الأمريكية، لاسيما مع الحضور الأمريكي الكثيف في دول الجوار الإيراني، وفي هذا الإطار، نشير إلى ما ذكره هاشمي رفسنجاني في أحد خطب الجمعة لآلاف المصليين، حين قال: "إن الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط هو أسوأ من أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها صدام، (وأضاف) الوجود العسكري الأمريكي الكثيف في الخليج الفارسي يكشف عن النوايا الأمريكية السيئة".

٢. الخوف من فقدان المكانة الدينية لإيران باعتبارها المركز الشيعي الأول، مع وجود الطائفة الشيعية ومرجعيتها في العراق، وفيه المدن المقدسة مثل كربلاء والنجف الأشرف.

٣. الخوف من قيام الولايات المتحدة بالسيطرة على موارد النفط في مواجهة إيران.

٤. خوف إيران من تداعيات تأسيس نظام ديمقراطي في العراق، تكون له تأثيراته السلبية على النظام الإسلامي في إيران.

٥. خوف إيران من إقدام الولايات المتحدة على ضرب مفاعل بوشهر لاسيما في ضوء النوايا الأمريكية للعمل على منع إيران من حيازة سلاح نووي، وفي ظل هذا الواقع الجديد الذي أفرزته هذه الحرب واحتلال العراق تواجه إيران العديد من مصادر الخطر على أمنها القومي، وذلك بالرغم من أن الإطاحة بنظام صدام حسين قد أتاح لها تحقيق عدد من المكاسب في ظل الواقع الجديد، ويأتي في مقدمة المكاسب التي تحققت لإيران التخلص من نظام صدام حسين الذي تعتبره طهران السبب في حرب الثمان سنوات بين البلدين خلال الفترة بين عامي (١٩٨٠-١٩٨٨م)، وهي الحرب التي أرهقت (الجمهورية الإسلامية) الوليدة في إيران واستنفدت الكثير من قدراتها في هذا الوقت المبكر جداً من تأسيسها عام ١٩٧٩م، وفي السياق نفسه فقد أدى هذا الواقع إلى سقوط منافس إقليمي قومي، كان حائط صد منيع أمام محاولات إيران لتدعيم نفوذها الإقليمي في منطقة الخليج العربي، وبسقوطه فقد انتفى أحد مصادر تهديد الأمن القومي الإيراني عبر فترة تاريخية طويلة.

إن استمرار عدم الاستقرار في العراق، ليس بالضرورة مخالفاً لمصالح الدول الإقليمية وخاصة إيران، وإن كلاً من هذه الدول لها أسباب مختلفة للحفاظ على الوضع القائم وتستخدم كل منها أساليب مختلفة للتأثير على التطورات في العراق، حيث إن إيران لها وجود أمني واسع في العراق، كما أنها تتدخل دائماً في شؤون العراق، إما من خلال الشبكات الدينية التي تغطي عالم الشيعة، أو من خلال العالم المشبوه للمنظمات شبه العسكرية كالباسيج أو الباسداران واتصالاتها بمختلف الميليشيات الشيعية العراقية، وتوجد هذه

الروابط في أعلى المستويات في الحكومة العراقية وليس فقط الشخصيات السياسية الشيعية؛ بل أيضاً الأكراد وحتى بعض السنة، ولا تعد الولايات المتحدة من أكثر القوى الأجنبية القادرة في العراق، من حيث التأثير على الأحداث في المستقبل بل هناك إيران، وفى المنظور الجيوسياسي لإيران، فإن العراق وخاصة جنوبه، ما هو إلا الفناء الخلفي لإيران، إلا أن الأكثر إلحاحاً بشأن تورط إيران في العراق، فضلاً عن علاقات التاريخ والعقيدة هي كون العراق مسرحاً، حيث لإيران أن تحارب الولايات المتحدة بدون القيام بذلك علناً، وبنت طهران نفسها على الهيمنة على منطقة الخليج، مع وجود الولايات المتحدة في دول الخليج العربي التي تقف في طريقها، إن هذا الوجود يتم أخذه في أغلب الأحيان على أبعاد تهديدية ويعمل بمثابة حاجز أمام الطموحات الإيرانية في الخليج، وإن المواجهة الأخيرة حول البرنامج النووي لطهران من الممكن أن تتوصل إلى جعل الولايات المتحدة تقوم بعمل عسكري، ويمكن أن تستخدم الحكومة الإيرانية الآن الأحداث في العراق لإضعاف لجوء الولايات المتحدة على ذلك، على الأقل على صعيد الرأي العام المحلي، لاستهداف إيران بطريقة مباشرة، مع انجراف القوات الأمريكية لصراع بلا نهاية في مدن وبلدات العراق، ومع المعاناة في وقوع خسائر، يصبح أكثر صعوبة بالنسبة لقدرة الولايات المتحدة على القيام بهجوم على إيران.

إن قراءة بديلة للوضع تشير إلى أن إيران تقوم باستفزاز متعمد لضربة أمريكية، حيث من المؤكد أن الحكومة ستبقى وتقوى بالدعم الذي سوف تحصل عليه في مواجهة ما يسمى بالعدوان الصهيوني – الإمبريالي وفى كل الأحوال، فإن تأثير إيران في العراق يعمل لصالح الإستراتيجية الإيرانية؛ لذلك من مصلحة إيران أن تتعثر القوات الأمريكية في العراق، وأن تبقى هناك مشغولة لأطول فترة ممكنة؛ لذلك يرى البعض أن شعور إيران بأنها

ستكون الهدف التالي للولايات المتحدة بعد العراق جعلها تعتبر العراق خطها الدفاعي الأول، وتسعى لمنع الولايات المتحدة من الحصول على الفرصة والوقت الكافيين للتأمين والسيطرة الدفاعية على العراق، وإن أحد خياراتها هو إبقاء واشنطن منشغلة بالعراق من خلال اللعب بالورقة الشيعية، لكن هذه الإستراتيجية ستكون خطيرة بالنسبة لإيران لعدة أسباب منها:

أولاً: إن انكشاف التدخل الإيراني في جنوب العراق سيعطى واشنطن مبرراً كافياً لاتهامها بالمروق.

ثانياً: إن استعراض إيران لعضلاتها في الجنوب لا يعنى بالضرورة أن شيعة العراق سينصاعون إليها، وهم الذين اكتووا بنار الصراعات الماضية والذين يعتبرون نظام صدام خصمهم الأساسي الذي يجب أن تكون تجنب عودته بأي صورة من الصور هدفاً أساسياً.

هناك تيارات إسلامية هي في الوقت الحالي أشد خطراً على الولايات المتحدة من تلك الموجودة في إيران، كالتيار الوهابي، والسلفيين الإسلاميين، والذين يختلفون مع إيران، إذاً من مصلحة الولايات المتحدة استخدام إيران ومواليها في العراق لضرب أو تضييق الخناق على هذه الحركات التي تراها الولايات المتحدة أشد خطراً من إيران الجمهورية الإسلامية؟، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إلى جانب من يقف حكام العراق الجدد (والمقصود هنا بالائتلاف العراقي الموحد (الشيعي)، الذي ترعرع البعض من تنظيماته في إيران ونما عودها وقويت داخل تلك الدولة مثل حزب الدعوة الإسلامية، بل إن بعض التنظيمات ولد في رحم الجمهورية الإسلامية كالمجلس الإسلامي الأعلى في العراق، والجواب هنا صعب، بصعوبة القرار السياسي لحكام

العراق الجدد، فأي قرار هو أكثر مرارة من الآخر، والحقيقة أن هناك ثلاثة خيارات أمامهم.

الخيار الأول: الوقوف إلى جانب الصديق أو الحليف الجديد (الولايات المتحدة) ضد الدولة أو الامتداد العقيدي والمذهبي، طمعاً بالسلطة التي انتظروها طويلاً، وضياعها يعني الانتظار مجدداً لفترة جداً طويلة للحصول عليها مرة أخرى، إن لم يفقدوها بشكل نهائي حتى مستقبلاً، وهنا يكون حكام العراق الجدد رجحوا كفة المصالح على المبادئ فضلاًعن أنهم سيخسرون الكثير من تأييد الشعب لهم، لأن هناك تيارات عديدة بما فيهم من الشيعة أنفسهم تضمر الكره والعداء للولايات المتحدة كالتيار الصدري إضافة إلى تيارات وقوى أخرى مناهضة للاحتلال الأمريكي في العراق، ناهيك عن أنهم سيسخرون دعم المرجعية الدينية التي ساعدتهم في الوصول إلى السلطة، لأنه في كل الأحوال ومهما كان اختلاف وجهات النظر بين المرجعيتين الدينية في النجف وقم حول بعض المسائل، إلا أن موقف المرجعية الدينية في النجف سيكون بالتأكيد بالوقوف بالضد من أي عدوان أمريكي أو أجنبي ضد إيران، وهذا منطق طبيعي وبالنتيجة سيكون الخاسر الأكبر في العراق هم حكام العراق الجدد في الائتلاف العراقي.

الخيار الثاني: إن وقوف الحكام الجدد إلى جانب إيران في الصراع الأمريكي الإيراني، مفضلين العقيدة على الذات والمصلحة، فهذا يعني أن حكام العراق في قائمة الائتلاف ستخسر السلطة أيضاً وستدفع الولايات المتحدة القابضة والمهيمنة على السلطة الفعلية في العراق إلى دعم قوى أخرى قد تكون شيعية المظهر ولكنها أمريكية الجوهر، أو الإتيان بحكومة علمانية تلبي رغبات الولايات المتحدة دون إحراج أو خجل.

الخيار الثالث: هو الوقوف على الحياد، وهذا الموقف في جوهره هو أقـرب إلى الموقف الأول لأن الولايات المتحدة ستستخدم من مركز إشعاعها المزمع في العراق محطة عدوانية أو على الأقل لوجستية في صراعها مـع إيـران. وبالتالي يكون العراق قد سهل للقوات الأمريكية من مهمتهـا فـي ضـربها لإيران.

وخلاصة القول إن الحديث عن عداء أمريكي إيراني أو تقارب أمريكـي إيراني له انعكاساته على العراق بعد الاحتلال كما كانت له انعكاسـاته قبـل الاحتلال، ومتى مازالت أسباب هذه الخصومة والعداء أو الخلاف انعكس ذلك من موقفها إزاء العراق، وتتلخص أسباب هذه الخصومة وعـداء الولايـات المتحدة لإيران في الآتي:

١. توسع القوة العسكرية التقليدية لإيران.

٢. معارضة إيران عملية السلام في الشرق الأوسط.

٣. سعى إيران الحثيث إلى امتلاك السلاح النووي.

٤. طبيعة النظام الإيراني القائم على الفكرة الـشيعية وتـشجيعه الإرهـاب والتخريب.

إلا أن أقوى الأسباب والذي يزيد في العداء الأمريكي الإيراني هو السبب الثالث كونه يثير أقصى درجات القلق للولايات المتحدة، وهذا ما حدث فعـلاً حيث طورت إيران تكنولوجيتها وقدرتها على تخصيب اليورانيـوم الـلازم لتصنيع الأسلحة النووية، وهو الأمر الذي يثير قلق إسرائيل حليفة الولايـات المتحدة، وهو ما ترفضه رفضاً قاطعاً.

تركيا:

تمحور الموقف التركي حتى نهاية شهر فبراير ٢٠٠٣م، وبشكل كامل في الموافقة على فتح القواعد الأرضية والجوية أمام القوات الأمريكية وبمشاركة القوات التركية بشكل مباشر في الحرب على العراق، وذلك مقابل حزمة من الطلبات تلبي رغبات صانع القرار التركي، وكانت الطلبات أو الثمن المطلق مقدماً كالتالي:

١. المطالبة بتمركز القوات التركية بين خطي العرض (٣٦، ٣٧).

٢. أن لا يقل تعداد أفراد الجيش التركي في العراق عن سبعين ألف مقاتل.

٣. يكون تموضع وانتشار القوات التركية خلف القوات الأمريكية.

٤. الحصول على ضمانات باستبعاد الأكراد من حكم شمال العراق.

٥. المشاركة في تقرير مصير العراق.

٦. الحصول على ١٥-مليار دولار في صورة قروض ومساعدات كتعويض عن الخسائر الاقتصادية.

وهكذا يتضح أن المطالب التركية كانت في سقفها الأعلى، ولو تحققت كانت ستذهب في تاريخ الجمهورية التركية كأكبر مكاسب إستراتيجية تحققت منذ تأسيس الجمهورية التركية بالعام ١٩٢٣م.

وتميز الأداء السياسي التركي أيضاً بسيادة تقديرات فعالية للمكانة الجغرافية التركية، مفادها الاعتقاد بأن واشنطن لن تدخل الحرب بدون تركيا؟ فثبت أن "السياسة التركية" مازلت رهينة تصوراتها المفرطة في التفاؤل عن حجمها الإقليمي والدولي؛ فأنقرة وإن تخطت مرحلة في طريقها للصعود الإقليمي بالانضمام إلى حلف الناتو وبتعاونها العسكري مع إسرائيل، إلا أن الأدوار الإقليمية لا يمكن لها تخطي الغطاء الدولي الذي يحدد سقف هذه

الطموحات ويعين هامش المناورة إلى حد كبير، وأثبت سير المعارك في العراق وتركيز القوات الأمريكية على الجبهة الجنوبية، بدلاً من الجبهة التركية الشمالية، الخطأ الكبير على الرهان بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تدخل الحرب من دون تركيا، وأن واشنطن دشنت "سابقة تاريخية" في تاريخ العلاقات بين البلدين، عندما دخلت الحرب الواقعة على حدود حليفتها الإقليمية، ولكن بدون هذا الحليف حيث لم تحقق تركيا مكاسب إقليمية من الحرب على العراق واحتلاله، ويكفي للتدليل على وطأة هذه النتيجة في عدم حصول تركيا على فوائد إستراتيجية، ويضاف أن تركيا فقدت قدرتها على المبادأة في العراق، كما أن الحال قبل الحرب كان مريحاً نسبياً لأنقرة من حيث الموضوع الكردي، وما يبعث على قلق تركيا بعد احتلال العراق هو احتمال قيام دولة كردية أو شبه دولة **STATE SEMI** في شمال العراق والارتداد سلباً بالتالي على الأناضول.

وازدادت المخاوف التركية بعد دخول الأكراد كركوك بعد الاحتلال، وتعيينهم محافظاً كردياً هناك وقلبوا بالتالي سلم الأولويات التركي تجاه الموصل والأكراد، والجدير بالذكر أن طوال التسعينات كانت كركوك خارج منطقة "الحكم الذاتي الكردي" المقامة منذ عام ١٩٩١م، والآن كركوك تحت سيطرة عسكرية كردية كاملة وبمحافظ كردي، في شكل لا يخفى من أشكال "السيادة".

أثناء المفاوضات الأمريكية التركية كان المطروح هو شروط وأثمان، وكان التفكير يدور حول المشاركة في تقرير مستقبل العراق، والآن ينشغل صانع القرار التركي بأسئلة مثل: كيف يمكن ضمان عدم قيام دولة كردية في شمال العراق؟، وكيف يمكن منع الأكراد مستقبلاً من السيطرة على نفط كركوك والموصل؟، ولأن جار تركيا الجديد هو الولايات المتحدة الأمريكية

فقد ترتب على ذلك بالضرورة فقدان تركيا لدور الوكيل لأول مرة منذ عصر الحرب الباردة، فضلاً عن قدرة المبادأة وهي من المحددات الأساسية للأوزان الإستراتيجية والإقليمية، ويمكن إضافة عوامل خسارة أخرى مثل الانتعاش المحتمل في دور الأكراد العراقيين وتهديده المباشر للآمن القومي التركي، وأقصى ما تثار عليه السياسة التركية الحالية هو منع الأكراد من الحصول على نفط كركوك، لأن ذلك ليس ضرورياً لتحجيم تطلعاتهم القومية فقط، بل أيضاً لربطهم اقتصادياً بتركيا، وبالتالي منع اختلال التوازن داخل العراق كجزء من فضاء تركيا الاستراتيجي، وهناك مسألتان مهمتان تدخلان في الاهتمام الكبير لتركيا ولهما تأثيرهما الواضح في السياسة الخارجية التركية على الرغم من كونهما مسألتين عراقيين داخليتين وهما: المسألة الكردية وقضية مدينة كركوك، وكان للاحتلال الأمريكي دور في إثارتهما.

المسألة الأولى: تركيا لا تريد للأكراد إلى أن يصلوا إلى مرحلة قيام كيان خاص بهم شبه ما يكون بالانفصال عن العراق بحد ذاته، لأن ذلك يعني أن هذا الإقليم المنفصل سيكون امتداد للمناطق التي يسكنها الأكراد في جنوب تركيا، بل إن هذا الإقليم المنفصل عن العراق سيكون البداية لقيام دولة كردستان والتي تضم أراضي أخرى وبالأخص من تركيا وإيران خاصة إذا ما علمنا أن عدد الأكراد في هاتين الدولتين يفوق كثيراً عدد الأكراد في العراق فيما أن هناك عدد أقل في سوريا.

المسألة الثانية: تركيا لا ترغب بإحداث تغيير ديموغرافي لمدينة كركوك النفطية حيث ترى أن غالبية سكانها هم من التركمان الذين لديهم صلات وثيقة مع تركيا.

دول الجوار العربي

السعودية

يؤثر احتمال ظهور الهلال الشيعي من العراق وإيران بلا شك على تصرفات بعض دول الخليج العربية في محاولاتها لتشكيل مسار الأحداث في العراق، ففي عام ٢٠٠٧م يظل احتمال حدوث الحرب السنية ـ الشيعية في الشرق الأوسط بعيداً، وعلى الرغم من ذلك فمن المؤكد أن قلق الدول العربية السنية في أن أحد المعاقل السابقة للقومية العربية، وهو العراق، هو الآن في أيدي أحزاب سياسة شيعية، وإن الدول الأجنبية الأكثر نفوذاً في البلاد هي إيران وقد سبب هذا الأمر ذعراً هائلاً، وخاصة في دول الخليج ولسبب وجيه وفى السعودية حيث إن المناطق الغنية بالنفط في إقليم الإحساء (أغلب سكانها من الشيعة) وعلى الرغم من أن القيادة المحلية تعلن ولائها للدولة السعودية، فإن الشيعة هناك يرتبطون قبلياً بالشيعة في جنوب العراق، ومعظمهم يختارون آية الله علي السيستاني (الفارسي) كمرجع لهم (مصدر محاكاة)، وسيؤدي أي انتصار للشيعة في العراق على السنة، وأي تقسيم للدولة إلى دولة كردية وسنية وشيعية، إلى اضطراب كبير للقيادة السعودية ولا يجب أن تقف السعودية مكتوفة الأيدي في حال انسحاب الولايات المتحدة من العراق الآن، والسبب الرئيس أن هذا الإجراء سيكون إيذاناً ببدء الحرب الأهلية السنية الشيعية في العراق، مع إمكانية محاربة إيران والسعودية بعضهما البعض في العراق وهناك تصور سعودي في احتمال سعي الولايات المتحدة إلى تقسيمها مستقبلاً، إذ تستخدم الولايات المتحدة وسيلة التهديد بالتقسيم أما

بالابتزاز السياسي أو لتحقيق التقسيم واقعاً على الأرض في ظروف مستقبلية بحجة من الحجج وهذا يعود إلى تنامي اليمين المتطرف في الإدارة الأمريكية منذ أحداث أيلول ٢٠٠١م باعتبار أن السعودية بؤرة التطرف والإرهاب، كما أن السعودية تخشى من إقامة نظام حكم شيعي في العراق وخاصة إذا كان هذا النظام متحالفاً مع الولايات المتحدة، وكذلك ترفض السعودية الفيدرالية المقترحة في العراق والتي ستشكل في جنوبه إقليماً شيعياً ترى فيه امتداداً لإيران ومحاذياً لمناطقها الشرقية ذات الأغلبية الشيعية.

سوريا:

هي من الدول العربية التي لا ترتبط بعلاقات جيدة مع الولايات المتحدة، فعلاقاتها متوترة دائماً مع هذه القوة العظمى وذلك بسبب عدد من الملفات، منها الموقف من إسرائيل وعملية التفاوض معها، والملف الفلسطيني المتضمن دعم سوريا لمنظمات فلسطينية إسلامية مثل حركة حماس والجهاد الإسلامي، والملف اللبناني، وما ارتبط به من اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، وما تلاه من تداعيات، ثم دعمها لحزب الله المناهض لإسرائيل، ثم جاء الملف العراقي الذي احتوى اتهام سوريا بتوفير ملاذ لعناصر النظام السابق، ودعم العمليات الإرهابية والمساهمة في عدم الاستقرار في العراق، وتسهيل مرور الإرهابيين بعد تدريبهم ودعمهم فضلاً عن تحالفها الاستراتيجي مع إيران ذات النظام غير الودود مع الولايات المتحدة.

إن طبيعة العلاقات السورية الأمريكية وخاصة بعد الرفض السوري للحرب على العراق عام ٢٠٠٣م ازدادت تأزماً بسبب تقرب القوات الأمريكية من الحدود السورية، وهذا ما حدث فعلاً فأصبحت القوات الأمَريكية على الشرق من حدودها، بل أصبحت سوريا في وضع جيوستراتيجي جديد لا

يحسد عليه، هذا الوضع جعلها بين السندان الإسرائيلي في الجنوب ومطرقة العراق المحتل من قبل القوات الأمريكية في الشرق إضافة إلى لبنان الذي بات مصدر ضعف لها بدلاً من كونه مصدر قوة.

إن الموقف السوري من الحرب على العراق جعل الإدارة الأمريكية تبعث الحياة من جديد في قانون محاسبة سوريا، ثم إقراره بعد أن وافق عليه مجلس النواب الأمريكي في ٨ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٣م، أما البعد الاستراتيجي السوري فإنه يختلف نسبياً عن كل من تركيا وإيران فمن ناحية لا تملك سوريا أوراقاً أو أدوات تدخل فاعلة مثل البعد الشيعي بالنسبة لإيران، كما أن المشكلة الكردية أقل أهمية مما في تركيا التي ترتبط هذه المشكلة لديها بصميم أمنها القومي، لكن دمشق محكومة في سياساتها تجاه العراق بالعامل الأمني أيضاً ولكن بدرجة مختلفة عن تركيا، وذلك أن العراق هو الجار الشرقي المباشر لسوريا؛ ما يعنى أن طبيعة الوضع السياسي في العراق وتوجهات النظام الحاكم هناك من شأنها التأثير مباشرة على سوريا سلباً وإيجاباً وهو ما ينطبق بشكل أوضح على الوضع الراهن للعراق المحتل أمريكياً وبريطانياً.

وعلى المدى البعيد يبدو الأمر أكثر غموضاً وبالتالي مدعاة لقلق سوريا ذلك أن النظام العراقي السابق رغم العداء الشديد الذي ميز علاقته بدمشق لم يكن مصدر خطر حقيقي على الأمن السوري وطالما اجتمع البلدان على ما يشبه اتفاق ضمني غير مكتوب بعدم تحويل الخلافات السياسية والفكرية بين حزب البعث العربي الاشتراكي في القطرين إلى سياسات أو مواقف عدائية في حين أن الوضع الجديد في العراق _ ليس فقط بعد العملية الحالية لنقل السلطة بل أيضاً بعد خروج القوات الأمريكية هذا إذا خرجت _ غير مأمون

والمعطيات الحالية لا تحمل أي ضمانات أو تطمينات بشأن مستقبل الأوضاع على جبهتها الشرقية.

الأردن:

هو أقل دول المنطقة تأثيراً بتداعيات الاحتلال للعراق، كونه قادراً على التكيف مع الأهداف والمصالح الأمريكية، والأردن الذي كان له موقف مغاير عن الدول العربية ١٩٩٠م من غزو العراق للكويت وفي التحالف الدولي ضد العراق في حرب عام ١٩٩١م، والذي تجسد بمعارضة الحرب وأراد حل المسألة عربياً، وعاد وأبدى معارضته أيضاً للحرب عام ٢٠٠٣م، وهذه المرة جاء منسجماً مع مواقف الدول العربية الرافضة للحرب، وقد عبر الملك عبد الله من أن "ضرب العراق" يمثل كارثة للعراق وللمنطقة ويهدد أمن المنطقة واستقرارها، ولكن بعد اندلاع الحرب، واحتلال العراق، لم يحمل الملك عبد الله مسؤولية اندلاع الحرب لقوى التحالف فقط بل حمل صدام وكبار المسؤولين ذلك أيضاً، وهذا الإدراك الأردني متأت من قدرة النظام الأردني للتكيف مع الواقع والتعامل مع المتغيرات الجديدة التي ظهرت في الساحة الإقليمية.

إن تداعيات الاحتلال الأمريكي للعراق على الأردن لم تأت من وجود القوات الأمريكية في العراق، بل على العكس فقد تكيف مع نتائج الحرب الأمريكية على العراق، إلا أن ما أفرزه الاحتلال من نتائج فيما بعد ووصول "الشيعة" إلى السلطة في العراق هو الذي يقلق الأردن، وهذا ما عبر عنه العاهل الأردني من خشيته من إقامة ما أطلق عليه "الهلال الشيعي" والذي

يمتد (عبر تصوره) من إيران ليشمل العراق وسوريا والأردن، كما تحدث عن تفاصيل مثل أن هناك أكثر من مليون إيراني عبروا الحدود إلى العراق ليصوتوا في الانتخابات بتشجيع من الحكومة الإيرانية، كذلك فإن فكرة الفيدرالية تثير قلق النظام الأردني الذي عبر عنه العاهل الأردني حينما قال: "أخشى أن يكون اعتماد الفيدرالية طريقاً خاصة إذا ما بنيت على أسس طائفية وقومية".

الكويت

تبقى الكويت وعلاقتها بالعراق تشكل أحداثاً مهمة في التاريخ، وهي السبب المباشر لتغيير وجه العالم ونمط العلاقات الدولية، إلا أن هذا لا يعفي الكويت من تداعيات احتلال القوات الأمريكية للعراق، إذ إن هذه الدولة الصغيرة الحجم قدمت دعماً استراتيجياً ولوجستياً للقوات الأمريكية؛ حينما دخل في أراضيها أكثر من (٢٥٠) ألف جندي من القوات المتعددة الجنسيات وآلاف من المعدات والآليات والعربات المدرعة، وسمحت كذلك لهذه القوات باستخدام القاعدتين الجويتين العسكريتين (علي السالم وأحمد الجابر) كما سمحت باستخدام موانئها البحرية وتقديمها ملايين الدولارات كدعم عيني يشمل الغذاء والوقود، وكتقدير أمريكي للدور الكويتي هذا صنفت إدارة بوش في أبريل (نيسان) ٢٠٠٤م الكويت حليفاً رئيسياً (خارج حلف الناتو) وهو تصنيف تم إعطاءه لدول قليلة في العالم منها مملكة البحرين من دول الخليج العربي فقط، ورغم كل هذه المواقف الكويتية للولايات المتحدة الأمريكية إلا أن هذا لا يعفيها من تداعيات الاحتلال الأمريكي للعراق، لكونها دولة شرقية، أوسطية ومعنية بالتغيير من خلال:

١. استمرار الفوضى وعدم الاستقرار الأمني في العراق وهذا معناه تصدير هذه الحالة إلى الجارة الكويت لاسيما وإن مجتمعها الداخلي مهيأ على حد ما لاستقبال مثل هذه الفوضى.

٢. الكويت أيضاً تخشى النفوذ والسيطرة الشيعية المطلقة في العراق لما في ذلك من تأثير على أوضاعها الداخلية حيث أن الجنوب العراقي ذو الأغلبية الشيعية محاذٍ لحدودها، وخشيتها تزداد على وفق تصورها فيما إذا كان هذا النفوذ الشيعي هو امتداد للنفوذ الإيراني، علماً بأنها اكتوت بنيران علاقاتها مع إيران إبان الحرب العراقية الإيرانية.

٣. أما في حالة فرضية استقرار العراق، وجعله نموذجاً في الشرق الأوسط وفق التصور الأمريكي والأكثر ترجيحاً أنه سيكون في العراق نظام وفق التصور الأمريكي، كما أن الأكثر ترجيحاً أنه سيكون في العراق نظام علماني ليبرالي (على وفق الوصفة الأمريكية)، وهذا سيدفع بتأثيراته إلى خلق مؤسسات المجتمع المدني في الكويت على غرار ما سيكون في العراق، الأمر الذي سيؤثر مستقبلاً على طبيعة نظام الحكم في الكويت بما يتماشى مع المشروع الأمريكي لنظامها الشرق أوسطي الكبير.

٤. على الرغم من انتهاء نظام صدام حسين قد أنهى هاجساً أمنياً ظل يؤرق دولة الكويت طيلة أكثر من عقد، إلا أن هذا لا يعني نهاية المشكلة بين العراق والكويت، فالعراق المعول عليه في أن يكون قاعدة الارتكاز لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وهذا يتطلب أن يتنفس جغرافياً خاصة في إطلالته على الخليج العربي، حيث إن هذه الإطلالة في الوقت الحاضر ضيقة جداً، وبما أنه مقبل على مشاريع اقتصادية ضخمة فيما إذا لو صدقت الوعود الأمريكية، فإنه يحتاج إلى موانئ وسواحل أوسع على الخليج العربي وبالتأكيد

ستكون هذه على حساب الكويت، فلذلك لازال بعض المسؤولين العراقيين يطرحون مسألة تأجير جزيرة وربة وبوبيان، وهذا ما يؤرق الكويتيين خاصة وإن العراق أصبح أو سيصبح حليفاً للولايات المتحدة، وبمعنى أن هذه الأخيرة سوف لن تقف مستقبلاً مع الكويت ضد حليفها الجديد العراق، وهذا الأمر قد يدفع الكويت مكرهة إلى تلبية مطالب (العراق الجديد) الصديق والحليف للولايات المتحدة.

المراجع

١. أحمد منيسي، نكبة العراق؛ الآثار الاقتصادية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية الأهرام.

٢. ريم فؤاد شلبي/قبول الحقائق في العراق/ قراءات إستراتيجية/مركز الدراسات الإستراتيجية الأهرام السنة الثانية عشر/ والعدد الثامن/ أغسطس ٢٠٠٧م.

٣. د. حميد شهاب/ تداعيات الوجود الأمريكي على دول الجوار العراقي/ مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد: ١/٢٠٠٦م.

٤. د. مصطفى اللباد/ احتلال العراق وانعكاساته الإستراتيجية على تركيا ودورها في المنطقة/ الأهرام / مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية.

٥. سامح راشد/ عراق ما بعد الانتخابات/ نظرة عن المحيط الإقليمي/ السياسة الدولية والعدد /٦٠ / مركز الأهرام ٢٠٠٥م.

٦. د. سعدون الدليمي/ الآفاق المستقبلية للعلاقات العراقية- السورية/ مركز الخليج للأبحاث العدد السابع مارس / آذار /٢٠٠٥م.

٧. د. فيصل الرفوع/ العلاقات الأردنية العراقية مركز أبحاث الخليج العدد السابع مارس/ آذار/ ٢٠٠٥م.

٨. عبد الله خليفة الشايجي/ العلاقات الكويتية- العراقية/ مركز أبحاث الخليج العدد الرابع / أبريل / آذار / ٢٠٠٥م.

٩. د. عبد الكريم العلوجي/ الطرق من الاحتلال العسكري للاحتلال التعاقدي/ جريدة العربي – القاهرة.

الإسلام والغرب.. تعاون أم مواجهة!

د. محمد مورو [1]

هناك الآن أكثر من اتجاه بشأن العلاقة المفترضة بين الإسلام والغرب أو الإسلام وأمريكا باعتبارها الممثلة الكبرى للحضارة الغربية.

فهناك الغرب وأمريكا وبعض القوى المحلية عندنا تدعونا إلى الالتحاق بالركب الحضاري الغربي والاندماج في الحضارة الغربية والتخلي عن ديننا وحضارتنا وقيمنا أو على الأقل قصر علاقتنا به على العبادة الفردية والضمير، وهؤلاء يقولون إنه قد ثبت أن الحضارة الغربية حضارة عظيمة ويجب أن تسود العالم، أو يقولون إنه لا أمل ولا فرصة للمواجهة ومن الأفضل أن ننصاع لها، وهؤلاء بالطبع منافقون ومخادعون فلا الحضارة الغربية حضارة عظيمة، ولا هي حضارة ذات أخلاق، ولا هي قدر مقدور لا يمكن الفكاك منه، هؤلاء بالتحديد يدعوننا إلى الاستمرار في أداء دور

---

[1] باحث ومفكر إسلامي مصري.

الضحية والذبيحة، خاصة بعد أن شحذ الجزار سكينه وأصيب الآكلون بـنهم شديد، وفضلاً عن أننا سنكون مجالاً للنهب فإنهم يطلبون منا أن نتخلى عن قيمنا وذاتيتنا ومبادئ ديننا وحضارتنا وهذا بالطبع مرفوض.

واتجاه آخر يقول بأن الحضارات تتفاعل مع بعضها البعض أو تتزاوج وإن الحضارة الغربية ليست غربية فقط بل إنسانية أي أنها استفادت من كل الحضارات التي سبقتها وتفاعلت وتزاوجت معها وخرجت في النهاية لتكون حضارة الإنسانية كلها، وهذا الرأي خطير وبراق ولكنه خطأ، ولكي نعرف أنه خطأ ينبغي علينا أن نفرق بين أمرين أحدهما التفاعل والتزاوج والآخر التعاون، فالتفاعل والتزاوج لا يتم إلا بين حضارات أو إبداعات حضارية من عائلة واحدة مثل الحضارة الرومانية واليونانية والإغريقية والجرمانية والسكسونية وهكذا.. وهذا التفاعل والتزاوج لا يتم بين حضارات من عائلات مختلفة، أي مختلفة نوعاً وكمياً، فلا يمكن مثلاً الحديث عن تمازج وتزاوج حضاري بين حضارة تقوم على الوثنية كالحضارة الغربية وأخرى تقوم على التوحيد كالحضارة الإسلامية، والأمر هنا أشبه بعمليات التطعيم التي تتم في النباتات، فلابد لكي تنجح عملية التطعيم هذه أن تكون بين أنواع معينة من النباتات تنتمي إلى عائلة واحدة، أو عائلات متقاربة، ولكن هذا التطعيم يفشل تماماً إذا ما تم بين شجرتين لا تنتميان إلى عائلة أو عائلات نباتية متقاربة.

وفي الحقيقة إن إمكانية التزاوج والتفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية أمر مستحيل؛ لأن أي دراسة متعمقة للأساسيات التي قامت عليها كل من عائلة الحضارة الإسلامية وعائلة الحضارة الأوروبية لا تترك مجالاً للشك في أن لكل منهما طريقاً مختلفاً وسياقاً خاصاً، لهذا يهدف الحديث عن التواصل الحضاري أو التفاعل الحضاري أو التزاوج الحضاري إلى

الإلحاق والتبعية الحضارية باعتباره جزءاً أساسياً في عملية الإلحاق الاقتصادي والثقافي والسياسي والسيطرة العسكرية.

وينبغي في هذا الصدد أن نلتفت إلى مجموعة من النقاط، فالداعون إلى الاندماج في الحضارة الغربية، ينسون نقطة أساسية وهي أن الحضارة الغربية لن تقبل الاندماج بها وأن يصبح غيرها جزءاً منها يستمتع بنفس الحقوق الحضارية معها، إنهم فقط يعنون بالاندماج أن نظل تابعين وأن نظل مجالاً للنهب دون مقاومة، ففرنسا مثلاً التي أدمجت الجزائر فيها وجعلتها جزءاً منها لم تقبل أن تعطي الجنسية الفرنسية للجزائريين مثلاً ولم تقبل أن يكون لهم مثل حقوق الانتخاب التي للفرنسي مثلاً!.

والداعون إلى التزاوج والتفاعل الحضاريين مع الحضارة الغربية ينسون الظروف المشبوهة التي ظهرت فيها مثل هذه الدعوة، فهذا الموضوع لم يطرق بعيداً عن غايات ذات علاقة بالصراع الدائر بين القوى الاستعمارية والشعوب المقهورة والمستضعفة، فعندما طرح منظوراً أوروبياً هذا الموضوع كانوا في أغلبهم يرمون إلى سيادة الحضارة الأوروبية على العالم بكل ما تحمل من فلسفات وقيم ومعايير ومفاهيم، وذلك من خلال الترويج للحضارة الأوروبية وضرب الحضارات الأخرى، أو طمسها، أو الإنقاص من قدرها أو خلطها بما يلغيها، وهو أمر يؤدي بالشعوب إلى فقدان هويتها ومقومات شخصيتها الأساسية، وإلى ضرب عوامل وجودها المادي والثقافي المستقل، فتصبح مكشوفة أمام طغيان المستعمرين ثم تتحول إلى تابع ذليل تلتقط الفتات، وتقف على العتبات، دون السماح لها بالدخول إلى صدر البيت.

والشيء الوحيد الممكن في العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ولو من الناحية النظرية هو التعاون على أساس استقلال كل منهما وعلى أساس انفراد كل منهما بخصائصها الذاتية المتميزة دون أن تحاول

السيطرة أو ظلم أو نهب الأخرى، والإسلام بالطبع يرحب بالتعاون ويدعو إليه في إطار الاحترام المتبادل والعلاقات المتكافئة، ولكن هل تقبل الحضارة الغربية التخلي عن النهب والظلم والعنصرية والعنف من أجل هذا التعاون؟ لنأخذ مثلاً مجال العلوم الطبيعية، وهذه الأطروحة تنقسم إلى قسمين: قسم خاص بالحقائق العلمية والمكتشفات العلمية، وقسم خاص بتوجيه هذه العلوم في اتجاه معين أي لإنتاج سلعة ضرورية مثلاً أو كمالية، للقضاء على مرض أو لنشر مرض! لإنتاج أدوات تسعد الإنسان أو لإنتاج أسلحة الدمار الشامل، لإصلاح البيئة والمحافظة عليها أو لتخريبها وتلويثها.

أي أن هناك شقاً علمياً وشقاً قيمياً، والحضارة الإسلامية مثلاً عندما كانت متقدمة علمياً كانت توجه هذه العلوم لإسعاد الإنسان وتلبية حاجات كل البشر، بل وكانت تسعى سعياً لنشر العلوم ولا تحجبها عن الآخرين، لأن حبس العلم جريمة في الفقه الإسلامي، أما الحضارة الغربية فإنها عندما تقدمت علمياً استخدمت منجزات العلم في تحقيق أكبر وسائل النهب وقهر الشعوب الأخرى وظلمها بل إنها أيضاً تحجب العلم عن الشعوب الأخرى، بل وتحاكم من يجرؤ على نقل شيء منها لبلاده " قضية الدكتور مهندس عبد القادر حلمي مثلاً " بل تغتال كل من ينجح علمياً في البلاد الأخرى.

على أية حال من الناحية النظرية يمكن التعاون في الاستفادة من العلوم الطبيعة ونقلها دون ربط ذلك بغايات وأهداف استخداماتها أي في الشق العلمي دون الشق القيمي، ولكن هل تقبل الحضارة الغربية ذلك وهي التي تغتال العلم، وتحرم نقل العلم وتحاكم من يفعل ذلك، بل وتضرب أي نهضة علمية في أي مكان خارج دائرتها الحضارية؟.

نؤكد مرة أخرى أن الإسلام يحض على التعاون، ويحرص عليه، ولكن التعاون ليس الاندماج والتزاوج والإلحاق، التعاون يقوم على استقلال

حضاري كامل فالحضارة الغربية عندما نقلت العلوم الطبيعية من الحضارة الإسلامية أخذتها دون شقها القيمي، أخذتها وهضمتها ووجهتها وفقاً لمعاييرها الحضارية، وجهتها للتدمير والتلويث والإفساد وتحقيق أكبر قدر من آليات النهب، أما نحن فمن المفروض أن نأخذ العلوم الطبيعية من الغرب دون شقها القيمي فنهضمها وتصبح جزءاً من شخصيتنا الحضارية المستقلة فنوجهها طبقاً لمعاييرنا وقيمنا الحضارية في إسعاد الإنسان وتحقيق الرفاهية لكل البشر وليس لنا وحدنا.

هل هناك فرصة للتعاون مع الغرب؟

قلنا إنه لا يمكن ولا نقبل لا الإلحاق الحضاري مع الغرب ولا التزاوج والتفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؛ لانتمائهما إلى عائلتي حضارتين مختلفتين، ولأن هذا في النهاية يعني التحول إلى تابع ذليل يظل خاضعاً للنهب والسيطرة، وقلنا إن العلاقة الصحيحة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية هو التعاون على أساس الاستقلال الحضاري الكامل والشخصية الحضارية المستقلة، ولكن هل هناك فرصة للتعاون؟ هل يقبل الغرب هذا التعاون؟ هل تاريخنا معه يسمح بذلك؟ هل تركيب الحضارة الغربية تسمح بذلك؟.

إن تركيبة الحضارة الغربية تقوم على النهب والقهر والعنصرية، ورخاء ورفاهية أهل الحضارة الغربية جاء من نهب ثروات الشعوب الأخرى واسترقاق أهلها، ولكي تستمر هذه الرفاهية لابد أن يستمر النهب والقهر، فهل أهل الحضارة الغربية مستعدون للتوقف عن النهب والقهر والعنصرية؟ هل هم مستعدون للتخلي عن رفاهيتهم القائمة على ثروات الآخرين من أجل التعاون معنا أو مع غيرنا؟

أعتقد أن ذلك صعب، بل يبدو مستحيلاً، وبالتالي فإمكانية التعاون بشروطها الصحيحة صعبة أيضاً، بل وتبدو مستحيلة وحتى إذا حدثت المعجزة وتخلى أهل الشمال عن القهر والعنف والعنصرية فماذا يبقى من الحضارة الغربية؟ إنهم يسقطونها تماماً، إنهم يفقدونها سماتها الأساسية، أي يقبلون الاندماج في نمط حضاري آخر وفي حالة دخولهم في النمط الحضاري الإسلامي مثلاً، فإننا لن نعاملهم معاملة التابع، بل معاملة الإسلام التي تقول إنهم أصبحوا مثلنا تماماً لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

وإذا كانت تركيبة الحضارة الغربية لا تسمح بالتعاون إلا بانتفاء خصائص الحضارة الغربية ذاتها، وبالتالي فالتعاون هنا صعب ويكاد يكون مستحيلاً، ورأي أهل الحضارة الغربية فينا وموقفهم منا لا يسمح بقيام مثل هذا التعاون، فهم ينظرون إلينا نظرة صليبية عنصرية حاقدة لا تقبل بأقل من تدمير حضارتنا تماماً، وفي قول لا يخلو من الدلالة يقول المعلق فاسيليف: "إن أمريكا الآن تنظر إلى العالم الإسلامي بوصفه إمبراطورية الشر الجديدة التي حلت محل الاتحاد السوفيتي السابق الذي كان إمبراطورية الشر القديمة والتي تركزت كل الجهود الأمريكية خلال أكثر من أربعين عاماً للقضاء عليها".

وهذا المعلق المشهور فاسيليف استخدم هذه الحقيقة ونفس المصطلح المستخدم دائماً من قبل الأوروبيين والأمريكيين تجاهنا، فالبابا أوربان الثاني الذي فجر الحروب الصليبية قال في مجمع كليرمونت في سنة ١٠٩٥م: "إن إرادة الرب تحتم على المسيحيين تخليص بيت المقدس من أيدي إمبراطورية الشيطان"، وعندها خرّ الكهنة الحاضرون راكعين تحت قدمي البابا!.

والبارون دي كارافو يقول: "أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامي وتحطيم وحدته الروحية مستخدمين من أجل هذه الغاية

الانقسامات السياسية والعرقية.. دعونا نمزق الإسلام بل نستخدم من أجل ذلك الفرق المنشقة والطرق الصوفية.. وذلك لكي نضعف الإسلام، لنجعله عاجزاً إلى الأبد عن صحوة كبرى[1]".

ويقول يوجين روستو اليهودي: "إن الحوار بين المسيحية والإسلام كان صراعاً محتدماً على الدوام، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب أي خضعت الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية والتراث الإسلامي للتراث المسيحي وتركت هذه آثارها البعيدة في المجتمعات الإسلامية[2]".

ويقول لورانس براون: "لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لهذا الخوف، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر وبالخطر البلشفي إلا أن هذا التخويف كله لم نجده كما تخيلناه، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا اللدود، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفر "الصين، اليابان" فإنها ليست خطيرة لهذه الدرجة، ولكن الخطر الحقيقي كان في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي[3]".

ويقول مورو بيرجر في كتابه "العالم العربي": " لقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعني قوة الإسلام فليدمروا بتدميرهم الإسلام[4]"، ويضيف مورو بيرجر: "إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، ويجب محاربة الإسلام

---

(1) مروان بحيري – الدراسات الاستعمارية في الإحياء الإسلامي في القرن ١٩.

(2) نقلاً عن عبد الوراث سعيد "أمتنا والنظام العالمي الجديد".

(3) د. مصطفى الخالدي.. د. عمر فروخ – التبشير والاستعمار.

(4) جلال العالم – قادة الغرب يقولون – المختار الإسلامي.

للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قـوة العـرب، لأن قـوة العـرب تتصاحب دائمـاً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره[١]"، ويقول ج. سيمون: "إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر وتساعدهم على الـتخلص مـن السيطرة الأوروبية[٢]".

ويقول سالازار دكتاتور البرتغال الـسابق: "إن الخطـر الحقيقـي علـى حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم"، ولمـا سأله أحد الصحفيين: ولكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم عنا.. أجابه: "أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا[٣]".

ويقول ريتشارد هرير دكمجيان: "إن قلة فقط خارج نطاق العالم الإسلامي كانت قادرة على توقع انبعاث إسلامي فـي البيئـة المعاصـرة وإن ضـعف البصيرة في مجال التصور الذي أحدثته المادية الغربية والماركسية قد أعمـى بقوة كل العلماء ورجال الدين الذين مالوا إلى استبعاد قوة الإسلام أو التقليـل من شأنها[٤]".

ويحذر المفكر الألماني باول شمتز قائلاً: "سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً مـن الشرق، عوداً على بدء من المنطقة التي قامت فيها القوة العالميـة الإسـلامية في الصدر الأول للإسلام وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسـلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها، إذا ما أدرك المسلمون كيفيـة

---

(١) محمد محمد الدهان – قوى الشر المتحالفة – دار الوفاء.

(٢) د. عمر فروخ – مرجع سابق.

(٣) جلال العالم – مصدر سابق.

(٤) ريتشارد هرير دكمجيان – الأصولية في العالم العربي – ترجمة عبد الوارث سعيد – دار الوفاء.

استخراجها والاستفادة منها وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية[1]".

ويقول المفكر الإنجليزي هيلد بيلوك: "لا يساورني أدنى شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه".

وما بين الحقد على الإسلام، وكراهيته، والدعوة إلى تدميره والقضاء عليه أو التخويف منه ومن خطره التي تسود الروح الفكرية الأوروبية على اختلاف مدارسها هل هناك فرصة للتعاون بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؟.. الإجابة: هذا صعب بالطبع.

وإذا تركنا كل ما سبق والتفتنا قليلاً إلى التاريخ، نجده مفعماً بالصراع الدامي الذي خاضته الحضارة الأوروبية ضد الإسلام للقضاء عليه وخاصة الإسلام دفاعاً عن نفسه ونشراً لقيمه وإنقاذاً للعالم من الظلم والطغيان.

خاض الإسلام معارك شرسة ضد الحضارة الأوروبية المتوحشة منذ اللحظة الأولى واستطاعت جيوش الإسلام أن تنتصر في اليرموك وعمورية وحطين، ثم بدأت أوروبا تستعيد المبادرة فظهرت الحروب الصليبية بدءاً من سنة ١٠٩٥م وحتى ١٢٩٤م في المشرق العربي أما في المغرب العربي فإن الإسلام استطاع أن يفتح أفريقيا والأندلس.

واستمرت المعارك مع الحضارة الغربية في الأندلس ثمانية قرون وفي بلاد المغرب العربي ألف عام قبل دخول الأندلس وأثناء الحكم الإسلامي للأندلس وبعد سقوط الأندلس، ولم يتوقف الصراع مع الحضارة الغربية لا في

---

[1] باول شمتز – نقلاً عن عبد الوارث سعيد – أمتنا والنظام العالمي الجديد.

الشرق ولا في الغرب، ففي الشرق ظهرت الخلافة العثمانية واستطاعت أن تنقذ العالم الإسلامي من السقوط، ودخلت في معارك طاحنة مع أوروبا انتهت بفتح القسطنطينية ١٤٥٣ على يد محمد الفاتح، بل وانتشرت جيوش الإسلام في أوروبا مرة أخرى تعاود الهجوم، وتعرضت الخلافة العثمانية إلى ضغط رهيب انتهى بسقوطها، وقبل ذلك بقليل بدأت أوروبا حملتها الصليبية الثانية على العالم الإسلامي والمسماة باسم الاستعمار بدءاً من هجوم نابليون ١٧٩٨ وانتهاء بسقوط معظم بلاد العالم الإسلامي في قبضة الاحتلال الأوروبي، وفي المغرب العربي ظلت أوروبا ترسل حملاتها الصليبية إلى المغرب بعد سقوط الأندلس، فتعرضت الجزائر وحدها إلى ١٠٠ حملة صليبية في أقل من ٣٠٠ عام بعضها برتغالي والآخر فرنسي أو إنجليزي أو إسباني أو ألماني أو بلجيكي بل وحتى أمريكي، وانتهى الأمر بسقوط الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي ١٨٣٠م ثم تبعتها المغرب وتونس.

إذاً فبرغم أننا لا نرفض التعاون مع الحضارة الأوروبية في إطار الاستقلال الحضاري لكل منا، إلا أنه لا التركيبة الحضارية الغربية تسمح بذلك ولا رأي قادتها فينا وأهدافهم تجاهنا تسمح بذلك، ولا تداعيات التاريخ القديم والحديث تسمح بذلك، وبالتالي لكي نعيش لا نخضع ونذوب وننتهي لابد من المواجهة.

حرب شاملة في مواجهة حرب شاملة..

إذاً فالمعركة حتمية، ولا سبيل هناك إلا المواجهة، أو الموت، وحتى المواجهة مع الهزيمة ربما تعطينا الفرصة في الصمود والحفاظ على البذور صالحة تحت التربة لتعود من جديد لتثمر في مرحلة أخرى، ولكن الانصياع

والخضوع لا يعني فقط خسائر هائلة في الحاضر بل يعني تدمير المستقبل، لأنها تطال البذور الكامنة تحت التربة.

والمعركة هنا معركة حضارية شاملة، أي سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية وثقافية، والغرب يستخدم معنا كل الوسائل السياسية والعسكرية، والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية أيضاً، وما دام الغرب يشن علينا حرباً شاملة فلابد من مواجهته بحرب شاملة، تواجه بالكفاح وحتى إذا سلمنا بصحة مقدمة هؤلاء وهي أن الغرب وأمريكا أقوياء بدرجة لا يمكن مواجهتها، فإن النتيجة التي توصلوا إليها خطأ، لأن معنى مثل هذه القوة الهائلة للغرب وأمريكا أن الخضوع لهم سيؤدي إلى النهاية والموت والاندثار، وأن الخضوع لن ينقذنا ولن يحقن دماءنا، بل إن الخضوع سيتسبب في خسائر أكثر من المواجهة حتى ولو كانت غير متكافئة، على الأقل فالمواجهة سوف تقلل الخسائر وسوف تسمح للبذور الكامنة تحت التربة بالبقاء، بعيداً عن يد الغرب فتعود لتثمر في فرصة أخرى مستقبلية.

وفضلاً عن ذلك فإن الحضارة الغربية تحمل في داخلها الكثير من نقاط الضعف التي ينبغي الصمود واستثمارها أو الصمود وانتظار أن تؤدي تلك المواقع الضعيفة في جسد الحضارة الغربية إلى انفجار داخلي، فالإنسان في الحضارة الأوروبية مثلاً يفتقد التوازن بين حاجاته المختلفة ويفتقد التوازن في علاقاته مع الجماعة، وهذا يؤدي إلى انتشار الأمراض النفسية والجريمة والانحراف والشذوذ الجنسي وزيادة استهلاك الخمور والمخدرات إلى حدود أصبحت تهدد حياة مئات الملايين من سكان أوروبا وأمريكا وهو ما يمكن أن يؤدي على المدى المتوسط أو الطويل إلى انهيار الحضارة الغربية من داخلها، أضف إلى ذلك أن الرغبة في تحقيق أقصى قدر من النهب وبالتالي عدم التورع عن استعمال أقصى قدر من العنف ومع تزايد قوة الأسلحة

الفتاكة يجعل العجلة العسكرية تدور بلا توقف مما يجعلها في النهاية قابلة للانفجار من داخلها أو بالتصادم مع بعضها البعض وإذا كانت الحرب العالمية الثانية التي نشأت بسبب التنافس على الربح بين دول كلها تنتمي إلى الحضارة الغربية قد أدت إلى قتل ٦٢ مليون إنسان معظمهم من الأوروبيين فكم يا ترى سوف يقتل في المعركة المسلحة والحرب الشعبية، وعلينا أن نواجه بالوسائل السياسية ونواجهه برفض الخضوع لوسائل النهب التي يمارسها ومن خلال بناء نمط اقتصادي مستقل وغير تابع ويعتمد على قوانا الذاتية ويقطع تماماً خيوط التبعية مع الغرب، ونواجهه أيضاً بتصفية كل مراكز الثقافة المغتربة وكل أشكال الاختراق الثقافي، ونواجهه بثورة ثقافية شاملة تعتمد على تأكيد قيمنا الحضارية، ونواجهه بالوحدة، ورفض التجزئة التي فرضها علينا، ونواجهه بتعبئة شعبية شاملة، ونواجهه بحرب حضارية شاملة في مواجهة حرب حضارية شاملة.

ويجب أن ننتبه هنا إلى نقطة خطيرة، وهي أن أخطر هذه المواجهات هي على الجانب الثقافي، لأن الاختراق الثقافي يدمر حياتنا من الداخل، ويقلل قدرتنا على المواجهة ويضرب فينا قيمنا الإيجابية مثل الجهاد والوحدة والرفض، وبالتالي يجعلنا عاجزين عن المواجهة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ولابد أن ننتبه إلى أنه ما دامت الحرب حضارية وشاملة فليس من المعقول مثلاً أن نستخدم قيماً ووسائل واستراتيجيات مستمدة من الغرب لمحاربته بها ومهما كانت براقة فإنها لن تجدي في مواجهته، فكيف أواجهه على أرضيته الثقافية والحضارية؟ لابد أن أواجهه بأساليب وتكتيكات وقيم ووسائل واستراتيجيات مستمدة من ذاتنا حتى تظل قادرة على الاستمرار.

هناك من يروجون بأنه لا قدرة ولا سبيل إلى مواجهة الغرب وأمريكا وأن توازن القوى مختل تماماً لصالحهم، وأنه لا داعي للمواجهة؛ لأنها لن تفيد وأنه من الأفضل الخضوع أو البحث عن سبيل للتفاهم، وإذا كنا ندرك أنه لا سبيل للتفاهم فإن المتاح وفقاً لمنطق هؤلاء هو الخضوع فقط، مع العلم أن القدرات التدميرية لتلك الدول أصبحت هائلة بالمقارنة إلى مثيلتها أثناء الحرب العالمية الثانية، وفضلاً عن ذلك فإن الرغبة في الربح بدون وازع أخلاقي ولا مراعاة للتوازن البيئي يمكن أن تؤدي إلى كارثة تهدد كوكب الأرض بأكمله.

ويلخص الأستاذ منير شفيق في كتابه: "الإسلام في معركة الحضارة" نقاط الضعف في الحضارة الغربية كالتالي:

١. التطور العام غير المتوازن بالنسبة إلى مختلف المجالات، فقد تكثف في المجالات المادية واختل على مستوى العلاقات الإنسانية والأخلاقية مما يؤدي في النهاية إلى الإسراع بسقوطها لأن حالها يصبح كحال الذي يقف على قدم واحدة، فمهما بلغت قدمه من القوة إلا أنها ضعيفة حين يتعرض الجسد كله إلى هزة قوية.

٢. اتسعت الهوة بين أصحاب تلك الحضارة والغالبية العظمى من شعوب العالم مما دفع بها إلى مواجهة قوى لا قبل لها بها، فالأقلية الظالمة مهما قويت وتمكنت تظل ضعيفة أمام قوة الأغلبية المظلومة صاحبة الحق، فالتضاد مع حقوق غالبية الشعوب ومصالحها يؤدي إلى انهيار تلك الحضارة مهما طال الزمن.

٣. التآكل الداخلي يشكل سمة أساسية مميزة لمجتمعات الحضارة الإفرنجية سواء أكان ذلك على مستوى المجتمع منفرداً أم على مستوى صراع تلك المجتمعات فيما بينها، إن الصراع على امتلاك القوة والسيطرة والتنازع لامتلاك الثروة يؤديان بالإسراع بعملية التآكل الداخلي.

٤. إن إطلاق الغرائز والنزعات البهيمية وانتشار الفساد والانحلال قد يصل في تلك الحضارة إلى ضعف داخلي شديد يجعلها غير قادرة حتى على الإفادة من قوتها المادية، مما قد يكرر صورة الجندي الروماني الذي ربط بالسلاسل لكي لا يفر في معركة اليرموك، على الرغم من الكثرة العددية للرومان في تلك المعركة، وقوة دروعهم، وطول رماحهم ومضاء سيوفهم وفراهة خيولهم.

وقد يقول قائل إن الحضارة الغربية يمكن أن تعالج نقاط ضعفها أو تتخلص منها، وبالتالي تجدد نفسها، وهذا القول يعكس جهل أصحابه بطبيعة وجوهر الحضارة الغربية وطبيعة وجوهر نقاط الضعف فيها؛ لأن نقاط الضعف هنا هي من صميم وجوهر الحضارة الغربية وليس عارضاً عليها ولا ناشئاً من عوامل جانبية أو إهمال من القواد أو غيرها، إنها تنبع من داخلها ومن صميمها بطريقة تلقائية وحتمية بحيث إنه من المستحيل عليها معالجتها أو التخلص منها، وإذا حاول أهل الحضارة الغربية التخلص من تلك العيوب فإنهم سيتخلصون من الحضارة الغربية ذاتها.

فمثلاً إن السعي لتحقيق أقصى درجات القوة العنيفة المادية من أجل السيطرة على العالم ونهب ثرواته بلا حدود يجعل تلك الحضارة تدوس على كل القيم والمعايير التي تتعارض مع هذا السعي، أو بتعبير آخر إن ذلك السعي يسخر كل شيء من أجله، وهذا في حد ذاته يسمح بالتفوق في مجالات محدودة، وهذه نقطة قوة أساسية في الحضارة الغربية، وهي أيضاً سبب انهيارها المتوقع في مجالات أخرى، المجالات الأخلاقية والنفسية والإنسانية واندلاع أشد الصراعات الداخلية والخارجية مما يشكل بدوره نقطة الضعف المركزية في هذه الحضارة، إن نقطتي القوة والضعف المتولدتين عن تلك السمة الأساسية في الحضارة الغربية سيصلان في نهاية المطاف إلى تدميرها

إن لم يعرضا مستقبل الإنسانية كلها إلى خطر قريب من شبه الإبادة الجماعية.

ومثل آخر: إنه إذا حاول نظام حكم عنصري التخلص من عنصريته، فإنه في الحقيقة يتخلص من نفسه، لأن العنصرية هنا هي التي شيدت بناءه وهي التي تسمح له بالاستمرار، فلولا النهب والاسترقاق والفصل العنصري لما كان هذا النظام العنصري قد نشأ، ولما كان حقق لنفسه هذا الرخاء، ولما استطاع أن يستمر لحظة بعد التخلص من العنصرية.

أولويات التعليم العراقي في المرحلة الراهنة

د. منذر نعمان الأعظمي[١]

هذه الملاحظات مساهمة أولية لتشخيص أهم جوانب أزمة التعليم في العراق بعد الاحتلال، وطرق مواجهتها في مسيرة الاستقلال التام، وما بعده، وتتركز الملاحظات على مجالي التعليم الابتدائي والمدارس والمحافظات على ثلاثة مستويات مستقلة، نوعاً ما عن بعضها البعض.

المستوى الأول هو خراب المدارس كأبنية وتهميشها كمراكز حضارية في حياة المدن، والمستوى الثاني هو تدهور الإدارة التعليمية في المدارس والمحافظات والامتحانات والسياسات التعليمية للدولة، والمستوى الثالث، هو في المحتوى أي تدهور المستوى المعرفي في التعليم طلاباً ومعلمين؛ فهناك عملية مستمرة مؤسفة في إفراغ التعليم من أهم محتوياته في تطوير قدرات الطلبة على التفكير ونمو كفاءاتهم ومواهبهم المتعددة في أطر المسؤولية العامة، وتحويل دور المعلم إلى التدريب على مهارات شكلية قابلة للقياس البسيط، كعبور الامتحانات بأي شكل كان.

---

[١] كاتب عراقي، ومستشار في التعليم والمناهج العلمية والتربوية.

إن اختصاص الكاتب للسنين الثلاثين الماضية هو في المجال الثالث أي محتوى التعليم، وفي هذا المجال تنتهي الملاحظات بأفكار أولية حول أهمية التجريب في ظروفنا العراقية الخاصة في تطوير الطلبة والمعلمين، وهنا آمل معالجة جدوى متابعتنا في الظروف الراهنة لأساليب التدريس والمناهج الحديثة التي لا تعتمد على التكنولوجيا العالية أو الاستثمارات الضخمة؛ بل تتبنى منظور تطوير القدرات الذهنية للناشئة (فعلياً: الذكاء)، عبر التفاعل التعاوني في فعاليات صيفية تجريبية مفتوحة، في مقابل أساليب النقل والإيضاح والشرح السائدة للمناهج والنصوص المقرة، سواء في التعليم الأساسي أو للمتفوقين، وهذه الأساليب الحديثة تجريبية وتعتمد على المعلمين المبادرين، وقد يبدو غريباً أن نعالج أمراً كهذا في ظروف الاحتلال والمقاومة الراهنة.. لكننا يجب أن نعمل ليومنا هذا وللغد أيضاً، وأن ما يمكن تهيئته لما بعد الاستقلال التام، أو لمراحله مهما طال، من بناء حضاري يعتمد على كفاءات نسبية مهما قلت من طلابه ومعلميه الذين ينشأون في الظروف الاستثنائية الراهنة.

ويجدر بي منذ البدء الاعتراف بنواحي الضعف والقوة في منهج هذه الملاحظات فهي تستند على العلاقة غير المباشرة مع الوضع العراقي من جهة، وعلى المقارنة مع التجارب الأوربية التي كنا نقترب من مستواها قبل الاحتلال من جهة أخرى، ولتقليل السلبيات فقد تجنب البحث التفاصيل اليومية للتعليم في العراق، على أهميتها في فهم الواقع الإنساني، وتوجه نحو تلك الجوانب الأعم التي تابعها الكاتب، عبر العديد من الزملاء والأهالي في مناطق مختلفة داخل العراق، وعبر المعلومات الرسمية، على عواهنها، مما له علاقة بالسياسة التربوية والتعليم، وبضمن ذلك الإحصائيات المتداولة عن السكان والمدارس ونسب التسجيل فيها.

أن مسيرة استقلال العراق الفعلي قد تطول أو تقصر، ومراحلها تتداخل مع مسيرة البناء الذي يشمل بناء المؤسسات وبناء الإنسان العراقي، وهو بناء يتم سواء تدبرناه بحكمة أو بدون حكمة في جيلنا الحالي والجيل القادم بعده، فالإنسان يحيا وينجب ويربي أطفاله وينمّي كفاءاتهم في مدارسهم في نفس وقت مقارعة الطغيان والفساد والجريمة والعدو الخارجي، كما أن تحرير العراق من الاحتلال المباشر لن يعفينا من الصراع مع مخلفاته، ومع ما استنفره من ردود فعل مرضية أو صحية، ومع امتداداته التعليمية والثقافية والاجتماعية؛ بل يتطلب منا التطوير التدريجي للبدائل الحضارية التي تخدم جميع فئات الشعب وتطور مواهب أبنائه لخدمة الأمة والبلد.

الصورة العامة حسب الأرقام المعلنة[1]:

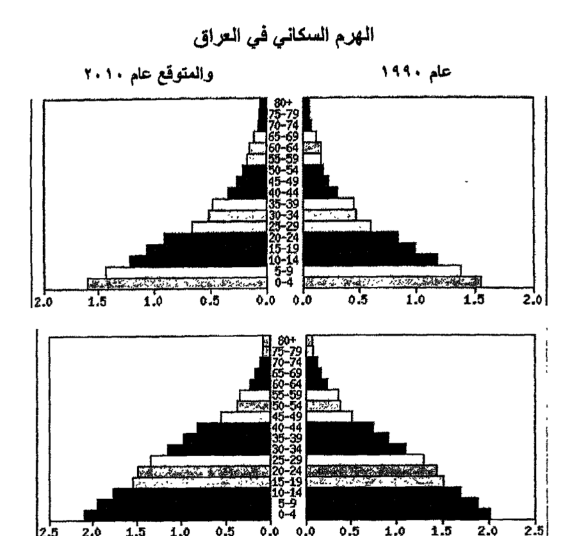
تجاوز نفوس العراق هذا العام ٣٠ مليون نسمة، ووصل عدد الأطفال الذين يصلون عمر الستة سنوات حوالي ٨٠٠ ألف (إحصاءات يونسكو عام ٢٠٠٧م هي كالتالي: النفوس ٢٩ مليون، معدل الزيادة السنوية ٢٧ بالألف، الولادات ٩٣٥ ألف، وفيات الشهر الأول ٦٣ بالألف، وفيات أخرى في السنة الأولى ٣٦

---

[1] ملاحظات حول الأرقام: إن الانترنت يوفر حاليا مئات المصادر الاحصائية والتقارير الرسمية من منظمات الامم المتحدة، والجامعات والحكومات حول العراق وبقية البلدان، ومنها ما يذكره موقع www.nationmaster.com عن العراق مثلاً World، the; unesco Institute for Statistics;; Development Indrcators database UNICEF country offices; CIA world factbooks; World bank ; Geography zone وأغلب هذه المصادر وبضمنها الأمريكية مثل (سي آي أي) تستند على أرقام ودراسات اليونسكو التي لعبت دوراً اساسياً في العراق بعد توقيع اتفاقية النفط مقابل الغذاء عام ١٩٩٥م بقرار مجلس الأمن الدولي ٩٨٦، وقد كانت جهود اليونسكو واليونيسف الوجه المشرف للجهود الانسانية للمهنيين في المنظمة الدولية في مواجهة الدور المخزي لها في استمرار الحصار والتهيئة للحرب، وقد قامت اليونسكو مثلاً بتأهيل حوالي ١٠% من المدارس الابتدائية والثانوية والمباني الجامعية، وحاولت إدامة تواصل الهيئات التعليمية بالعالم الخارجية، وقد استندنا في هذا البحث في الغالب إلى ارقام اليونسكو بحيث لا تفرق عن الارقام الدقيقة بأكثر من ٥ الى ٢ % وهي الهامش الاحصائي في أغلب الاحصاءات، وخصوصاً في ظروف بلد كالعراق يمر بمرحلة طوارئ.

بالألف، وفيات أخرى تحت عمر الخامسة ٤١ بالألف، معدل العمر ٥٩ عاماً) وتتوزع هذه الأعداد على محافظة بغداد بنسبة حوالي ٢٣%، وعلى المحافظات الجنوبية بنسبة ٤٠%، و المحافظات الشمالية بنسبة ٣٧% (بضمنها محافظات الحكم الذاتي الكردي الثلاثة بنسبة ١٣%).

إن عدد السكان يتناقص بالتدريج كلما نظرنا إلى من هم الأكبر سناً، ويعبر عنه بالهرم السكاني الذي يمكن عبره تقدير حجم أي فئة عمرية يتم الحديث عنها، للذكور والإناث، والمخططان التاليان مقتبسان من مركز الإحصاء الأمريكي - الذي يبدو أنه يستثني النازحين من البلد - يمثل الهرم السكاني على اليمين عام ١٩٩٠م، الذي بدأ فيه الحصار بينما يمثل الهرم على اليسار تقديرات العام المقبل ٢٠١٠م، وتمثل كل طبقة من الهرم ٤ سنوات، ويمكن مثلاً تمييز أن عدد الذكور تحت عمر ٤ سنوات هذا العام هم حوالي مليونين و ١٠٠ ألف مقارنة بمليونين من الإناث، والرقمان ضعفا عدد العراقيين في الأعمار بين ٣٥ و٣٩ عاماً، وتبين الفروق بين الهرمين أهمية ازدياد عدد السكان من ١٨ مليون عند بدء الحصار عام ١٩٩٠م إلى ٣٠ مليوناً حالياً، وأن الطبقات الأربع الدنيا في صورة الهرم على اليمين تمثل العراقيين المولودين في السنوات العشرين بينهما، وأغلبهم في سن التعليم الابتدائي والثانوي، كما يبين الهرمان أن الفروق طفيفة نسبياً بين الجنسين خلافاً للانطباعات الناجمة من نسب الموتى بينهما في الأحداث الدموية في الحرب والاحتلال.



يبلغ عدد بنايات المدارس الابتدائية حوالي ١٢٠٠٠ تضم حوالي ٤ ونصف مليون تلميذ، ويبلغ عدد المعلمين والإداريين حوالي ٣٢٠ ألف، بزيادة ٦٠% من عددهم عند الاحتلال، ويبلغ عدد بنايات المدارس الثانوية ٣٠٠٠ مبنى تضم مليون ونصف طالب و٨٠ ألف مدرس، ويبلغ عدد المدارس المهنية ١٥٠ تضم ٦٠ ألف طالب و٥ آلاف مدرس، ويبلغ عدد دور المعلمين ١٠٠[1].

---

[1] هناك شكوك مشروعة في الأرقام الحالية، فليس هناك جهة مركزية لتفقد جميع المدارس والتحقق من البيانات التي تقدمها الإدارات لعدد الطلبة والمدرسين ودوام وحضور هاتين الفئتين اليومي والفصلي، أو عن ظروف المباني وتوفر التجهيزات والمرافق، ففي مجرى تدهور مستوى النزاهة في البلد عموماً بعد الاحتلال قد تؤدي مطالبة الادارات المحلية من المركز بتخصيصات مالية اكبر الى المبالغة في البيانات والتقليل من نسب التسرب أو غياب المدرسين، وقد كانت البطاقة التموينية منذ الثمانينيات مقياساً مهماً لضبط الاحصاءات السكانية،

إن احتياجات البلد التعليمية واضحة في خطوطها العامة؛ لأن بيانات الولادة كل سنة في أية محافظة أو مديرية أو حي تسمح كل سنة بتقدير الحاجة إلى عدد الصفوف الإضافية المطلوبة للأطفال في عمر الدخول للمدرسة الابتدائية قبل خمس سنوات من الحاجة المباشرة لها، وبالتالي عدد المعلمين المطلوبين أيضاً، وهذه هي أسس تقديرات الأمم المتحدة، لكن الأوضاع التي مرت منذ الاحتلال قد أدت إلى تخلخل كبير في توفير هذه الاحتياجات، والذي سيتم معالجة بعض جوانبه فيما يلي:

ماهي أهمية مباني المدارس، وهل لها أولوية في التعليم؟

إن المظاهر الأكثر وضوحاً في تخلخل الوضع التعليمي تتعلق بتدهور حال الأبنية والإمكانات المتوفرة في المدارس في كل المستويات: الابتدائية والمتوسطة والثانوية والمهنية والجامعية، وهنا تأتي إحصاءات رسمية عراقية وأمريكية ومن منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والتعليم (اليونسكو)، والأرقام هنا لا تعني الكثير إلا إذا أخذت بتفاصيلها ومعانيها، فعندما يجري الحديث عن ١٢ ألف مدرسة ابتدائية و٣ آلاف مدرسة متوسطة وثانوية، يجب أن يذكر أن عدد أبنية المدارس هي فعلياً أقل من هذا العدد؛ لأن المدارس تتشارك في الأبنية وأن كثيراً من مباني المدارس قد استولت عليها القوات الأمريكية في بداية الاحتلال، ثم استلمتها منها الميليشيات والجهات السياسية فيما بعد، لكون أغلبها في وسط المدن، وهذا مما اضطر أعداداً أكبر من المدارس للتشارك في مواقع أكثر ازدحاماً.

وبالتالي بتقدير الحاجات الأخرى للتعليم والصحة، واعتبرت عالمياً تجربة متقدمة نوعاً ما، وكانت بياناتها وكذلك قوة المفتشية التعليمية تحت رقابة دقيقة من جهات مركزية عديدة، لكن بيانات السنين التي تلت الاحتلال قد لا تعكس الواقع الفعلي على الأرض.

ثم القول إن أغلب أبنية المدارس مهدد بالسقوط أو مفتقر للمرافق الصحية، وإننا بحاجة ماسة للترميم السريع لهذه الأبنية، وإلى بناء ٤٠٠٠ مدرسة جديدة، هي معلومات قديمة تعود إلى مرحلة الحصار (١٩٩٠م إلى ٢٠٠٣م)، أما تكرار هذه الأرقام عبر سنوات الاحتلال الست فيبدو للاستهلاك الإعلامي وتمرير المقاولات الوهمية للترميم، وهي المقاولات المعتمدة على استخدام طبقة من الأصباغ الرديئة مقابل ملايين الدولارات من أموال الدولة التي تهدر بدون رقابة كافية؛ إذ أن المحتل وعملاءه لا يهمهم استرجاع العراق لعافيته التعليمية والذهنية والثقافية، وكيف يتصور عاقل غير ذلك حينما أعلن المحافظون الجدد والصهيونية مراراً أن الخطر الرئيسي في العراق يأتي من كفاءات أبنائه!.

والحال إن أعداد المدارس وعدد صفوفها حالياً لا توفر إلا نسبة ضئيلة من الحاجة المتزايدة للسكان من هذه الأبنية؛ فسكان العراق يتضاعف عددهم كل ٣٠ سنة تقريباً، وبحوالي ٧٠٠ ألف نسمة سنوياً حالياً (بحساب الولادات والوفيات)، أي ما يعني الحاجة لبناء مدينة متوسطة الحجم كل عام، أو بناء طوابق ثانية وثالثة على عشرات الألوف من البنايات الموجودة إن سمحت الظروف بذلك، وهناك طبعاً ما تعنيه هذه الزيادة السنوية من مدارس ومستوصفات وطرق وطاقة كهربائية ومياه شرب.وخدمات، ونحن نعلم أن شيئاً من هذا التوسع لم يحدث؛ بل هناك خراب وتخريب لكل البنية التحتية، ولا يمكن بناء طوابق ثالثة ورابعة فوق بنايات لا تملك أسساً أرضية ملائمة، وليست مربوطة بشبكات صحية كافية.

إن أي ضعف في شروط بناء الطوابق العليا سيؤدي إلى الكوارث التي حدثت بانهيار البنايات في تركيا ومصر والصين وغيرها في فترات الانفلات التي شهدتها تلك البلدان في مجال الإسكان، وحتى إذا بنيت الطوابق الإضافية

فهناك الحاجة بالإضافة للمدرسة والمستوصف مراكز الشرطة والإطفاء وإنارة الشوارع ونقل الأوساخ وتنظيم مرور السيارات وتوفير الإسعافات والمكتبة والقضاء.. إذا أردنا لشعبنا الحياة الكريمة كبقية الشعوب لا في مخيمات لاجئين في حالة طوارئ.

وبالإمكان تصور حجم المشكلة من دراسة وضع الأطفال العراقيين الذين ولدوا في ظل الحصار والاحتلال، وعددهم حوالي ١٣ مليوناً، وكيف أنهم حرموا من حقوقهم التعليمية والصحية، وأن قدراتهم الذهنية والجسمانية تتراجع باستمرار بالنسبة لأقرانهم في الدول المجاورة، بعدما كان العراق في طليعة بلدان المنطقة في هذا المجال قبل جيل.

إن المباني المدرسية وحجم الصفوف ومدة الدراسة في اليوم الواحد، كلها عوامل تلعب دورها في المستوى التعليمي، وكلها يجب أن تؤخذ في الحسبان في مشاريع التعليم في العراق، وهنا يجدر بنا وضع الهدف البعيد ثم تلمس المراحل الأولية إليه، وما إذا كانت المباني أو أموراً أخرى هي الأولوية، ويجدر أولاً معرفة المقاييس العالمية حول المدارس الحكومية في البلدان المتقدمة، أي التي تمولها الدولة بالأساس، والتي تشكل جانباً من الخدمات الاجتماعية الأساسية، إن هذه الخدمات الأساسية محمية بقوة من نوع من التحالف بين الاشتراكيين والأوساط السياسية المعتدلة والمؤسسات المسيحية ومؤسسات بقية الأديان، وبينها المنظمات الإسلامية التي يتزايد نفوذها رغم العداء السياسي، والنقابات والمنظمات الخيرية في المجتمع المدني، في مواجهة محاولات اليمين المتطرف والرأسماليين الذي يحاولون الدخول إلى هذا المجال، وخلق سوق تباع فيه المعرفة فقط لمن يدفع، وبعض المنظمات الدينية التي تحاول حصر تعليم أفرادها بها كنوع من التمايز.

إن أقصى عدد للتلاميذ والطلبة في الصف الواحد في المدارس الحكومية العادية في الدول المتقدمة هو حوالي ٣٠ تلميذاً، وهو ما أشاهده كمفتش ومستشار تعليمي باستمرار مثلاً في بريطانيا.

والصفوف المدرسية هي غرف تتوفر فيها الإضاءة والتهوية والتدفئة، في بنايات آمنة متينة توفر الحركة المريحة والمرافق الصحية، وقدرات بسيطة للإنترنت والطباعة، وساحات لعب، ومساحات خضراء، حتى في مراكز المدن والمناطق الفقيرة.

وتستغرق الحصة الدراسية في المدارس الحكومية حوالي ٣٣ ساعة في الأسبوع لأربعين أسبوع في السنة (خمسة ونصف ساعة يومياً لخمسة أيام، بضمنها فترة الغداء الذي يوفر مجاناً للبعض، وفترة استراحة صباحية مع الحليب والفواكه ومياه الشرب المتوفرة مجاناً للجميع)، ومع القرطاسية الموفرة مجاناً أيضاً، وهناك فضلاً عن هذه الترتيبات للتعليم الإجباري صفوف طوعية قبل الدوام الرسمي وبعده، بحيث يمكن لبعض الأطفال قضاء أكثر من ٧ ساعات في اليوم في المدرسة، كما اتجهت بعض الدول لتوفير حق دخول المدرسة لكل طفل من سن الرابعة في صفوف تتوجه ليس للتعلم المبكر للمناهج وإنما نحو الألعاب المنظمة والتعود على الفعاليات التربوية والنشاطات الرياضية من الركض والتسلق إلى السباحة وركوب الدراجة وإلى التعرف على النباتات والحيوانات والبيئة وتعلم أساليب المخاطبة والعمل الجماعي، كل هذا استثمار من الدولة في رأسمالها البشري.

إن للمرافق الصحية في المدارس أهمية كبرى، حيث انتبهت المجتمعات الأوربية مبكراً إلى أن النظافة أساس للصحة العامة، وإن المرافق الصحية تغرس في من يستخدمها تصوراً عن الحد الأدنى للنظافة في البيت، وأعتقد

جازماً أن هذا أمر حيوي وعاه العقلاء عندنا منذ زمن، لذلك تولي بعض المساجد مثلاً هذا الأمر اهتمامها، ومن ضمنه رفع أجور ومستوى المنظفين، ونظافتهم هم أنفسهم، وتوفير المواد الصحية وتصريف المياه، ومن المؤسف القول أن حال المرافق الصحية في أغلب المدارس في العراق مخزي تماماً؛ بل هناك تقارير تشير مثلاً أن بعض المدارس لا تمتلك مرافق صحية ويضطر التلاميذ للذهاب إلى بيوتهم أو لمناطق أخرى لقضاء حاجاتهم، وقد تطرق تقرير اليونيسيف في شباط ٢٠٠٩م إلى حالة المدارس في دهوك الذين يضطرون إلى العودة إلى بيوتهم لقضاء حاجاتهم، وتناولت الفضائيات حالة طالبات البكالوريا الثانوية في عكاشات في محافظة الأنبار، وهن مضطرات للدراسة المختلطة، للذهاب بعيداً في العراء لنفس السبب، وقد تدفع هذه الأسباب الاضطرارية الكثير من العوائل إلى منع الفتيات خاصة من الذهاب إلى المدرسة، ورفض تعليم البنات البالغات إلى جانب حالات الإصرار والشجاعة بين الأهالي والطالبات التي تتمثل في متابعة البعض منهن للتعليم في هذه الظروف حتى في بيئة محافظة[1].

إن لمواقع المدارس في المدن أهمية خاصة في جميع البلدان، وتقع أكثر مباني المدارس والمعاهد الجامعية في وسط المدن وأحيائها القديمة والحديثة، فيصبح منظر ذهاب الطلبة يومياً وإيابهم إلى المدارس من أهم مظاهر حياة المدينة الاجتماعية في مركزها، وتمنح التلاميذ الإحساس الداخلي بملكية مدينتهم وأمانهم، ورعاية الناس لهم، ويجيبون بمثلها، وأغلب المدارس قاومت بنجاح محاولات استملاك مواقعها لأغراض حكومية أو تجارية عندما تتضاعف أثمان

---

[1] انظر تقارير اليونسكو (مثلاً ٣ نيسان – أبريل ٢٠٠٨م، ٣ تشرين الثاني- نوفمبر ٢٠٠٨م) واليونيسف (مثلاً ٢٣أيلول سبتمبر ٢٠٠٧م، و٣ نيسان أبريل ٢٠٠٨م، ١٧ شباط فبراير ٢٠٠٩م).

العقارات بمرور الزمن، وبقيت المعرفة والتعليم ممثلاً ببنايات المدارس عنواناً لما هو الأهم في حياة المجتمع مقابل السلطة والمال.

وفي العراق أيضاً تقع أغلب المدارس في وسط المدن والأحياء كونها افتتحت في بداية نشوء هذه المدن، ويجدر بنا أن نبقي البنايات في مواقعها قدر الممكن؛ لأهميتها في النسيج الاجتماعي للسكان بصرف النظر عن أصولهم الدينية أو القومية أو العشائرية، أي كمواطنين متساوين في الحقوق والمسؤوليات، ويسري ذلك خصوصاً إن كانت هذه المباني قد أقيمت لهذه الأغراض، أو في بنايات سكنية جرى عليها تطوير هام جعلها تفي بغرضها التعليمي.

لقد كان من أولويات الاحتلال التمركز داخل كل مدينة وحي في العراق، ومنع تجمع السكان في تلك المراكز؛ لذلك فقد استولت قواته على بنايات المدارس والثانويات والمستشفيات في وسط المدن[1]، ولم تعبه الإدارة الأمريكية لا باتفاقيات جنيف التي تمنع قوات الاحتلال من تغيير المعالم المدنية للمناطق التي تحتلها، ولا بقواعد القانون الإنساني ولا للوعود التي رافقت الحرب من تطوير الحياة المدنية في العراق، وفي العام الأول للاحتلال تمركزت القوات الأمريكية في مباني جامعة بغداد، في حين مسحت دباباته ومتفجراته البنايات العسكرية للجيش العراقي كمعسكر الرشيد مثلاً، ولقد حاول العراقيون التعامل مع هذا الإجحاف بالحسنى، وبالوفود والتظاهر السلمي، لكن كل ذلك قوبل بوحشية بدأت كما هو معروف في مدينة الفلوجة التي كانت هادئة ودخلها المحتل بدون قتال.. ففي يوم ٢٨ نيسان٢٠٠٣م تظاهر حوالي ٢٠٠ من الأهالي

---

(1) EYE ON THE MIDDLE EAST: Schools Turned Into Military Bases, New America Media, News Report, Feb 02, 2006.فيما يتعلق بحديثة في محافظة الأنبار.

أمام مدرسة في وسط أحد الأحياء التي عسكر فيها الأمريكان، وكان رد هؤلاء قتل ١٧من المتظاهرين وجرح عشرات آخرين.

هناك وعي عام في العراق لأهداف استيلاء قوات الاحتلال والسلطات أو المليشيات على بنايات المدارس، وحتى لاحتمالات أن التفجيرات التي تستهدف المدارس هي لأغراض تهجيرها وتحويلها كعقارات إلى المضاربين، أو لإنشاء مدارس بديلة مذهبية أو خاصة؛ لذلك فإن رفض الأهالي التخلي عن بنايات المدارس الحكومية في مراكز المدن جزء من المقاومة الاجتماعية للاحتلال وهيمنته، ولا يعقل أن يستهدف أحد حتى أكثر الناس تطرفاً المدارس بالشر؛ لأن للأطفال حرمة حتى لدى الأميين والمتعصبين، وقد سجل أحد مسؤولي اليونيسيف (منظمة الأمم المتحدة للطفولة) ممن عمل في أفغانستان في ندوة ساهمت فيها عن مشكلة اللاجئين العراقيين في جامعة أوكسفورد بتاريخ ٢٣ آذار ٢٠٠٧م، أن أهم نجاحاتهم أو نجاحهم الوحيد أنهم بعد حادثة تفجير إحدى المدارس طلبوا من الأهالي الحديث مع من يعرفونهم من المقربين لحركة طالبان حول الأمر، وبعد ذلك أصبحت المدارس آمنة، ويمكن التكهن بصرف النظر عن موقفنا من حركة طالبان أن الاعتداء الأول لم يكن منهم، وأنهم بعد ذلك كانوا يحمون المدارس، وقد يكون لهم ولأقربائهم من يداوم فيها.

ورغم أن بعض مباني المدارس في البلدان الأوربية تستخدم أحياناً لفعاليات تعليمية للآباء والأمهات والبالغين المعاقين مثلاً بعد الدوام، لكنه يندر أن تكون هناك فوضى الدوام المزدوج لأكثر من مدرسة في بناء واحد؛ لأن كثيراً من المعلمين والطلبة يستمرون في استعمال المباني بعد نهاية الدوام، ويبقى للتلاميذ شعور بالانتماء لمدارسهم ذاتها والاعتزاز بما يفعلون فيها، والشعور بملكيتهم

لها واستخدام مرافقها للفعاليات اللادراسية كالمعارض والتمثيليات والمسابقات الرياضية في أيام العطلة.

إن بلدنا قادر بسهولة على الوصول إلى هذا المستوى بثرواته الطبيعية، وكان في طريقه إليه، وها هي بلدان أخرى، كالصين التي كانت في القاع قبل جيل واحد من ناحية الدخل والثروات الطبيعية، تلحق باضطراد بدول الغرب المتقدمة، وكذلك كوبا و فنزويلا مؤخراً باختلاف ثرواتهما، كما هناك في مصر وبلدان أخرى مدارس خاصة بهذه المستويات أو أعلى، لمن يستطيع دفع أتعابها. كيف توصلت المجتمعات المتقدمة إلى صيانة كل ما ذكرناه من جوانب التعليم العام، وبضمنه مباني المدارس؟ هناك مساران هامان: المسار الأول إن أهم الطاقات الإصلاحية في المجتمع الأوربي قد تجنبت الصراع السياسي والثورات، واتخذت موقفاً بأن تقدم الإنسان والمعرفة عبر التعليم هو الطريق الأفضل لتقدم البشرية؛ لذلك انتشرت الأوقاف المخصصة للمدارس التي تحولت فيما بعد إلى مدارس حكومية، والمسار الثاني أن أغلب جوانب التقدم في التعليم العام الأوربي قد تمت في فترة الحرب الباردة حيث اضطرت البلدان الرأسمالية إلى منح تنازلات كبيرة للطبقات العاملة والفقيرة، لمنع انتشار التجربة الاشتراكية، وبعد فشل التجارب الاشتراكية في شرق أوربا في الثمانينات، نتيجة قمع الحريات والفساد والجمود البيروقراطي، جرت محاولات مستمرة لتصفية التعليم العام في أوربا ككل وتحويله إلى سلعة، لكن المؤسسات المدنية وشبه الرسمية والتقاليد التي نشأت عبر العقود قد منعت ذلك، وأحد هذه التقاليد وجود مجلس إدارة لكل مدرسة تشترك فيه أربع جهات وهي: الأهالي والمعلمين والإدارة المحلية ودوائر الدولة الممولة، والذي يجب أن يقر اتجاهات كل مدرسة رغم عدم سيطرته على التمويل أو مناهج التعليم الرسمية.

إن موضوع مجالس إدارة المدارس يستحق البحث كجزء من المقترحات الجديرة بالتناول في العراق اليوم، وخصوصاً حيث يزداد ضعف السلطة المركزية وتتوزع الصلاحيات الإدارية إلى المحافظات والنواحي، وخصوصاً أيضاً أن لدينا بدايات موجودة إذ يمكن اعتبار مجالس أولياء الطلبة والمعلمين المفترض وجودها في جميع المدارس النواة الأساسية لها، فمن حق أهالي كل منطقة المطالبة بصوت رسمي في إدارة المدارس كمباني في حارتهم ولتعليم أطفالهم، ولجميع المهام الأخرى التي لا تتعارض مع المنهج الدراسي، ويقوم أعضاء المجالس باجتماعاتها الدورية المتباعدة كعمل تطوعي للخدمة العامة، إن التقسيم الرباعي البسيط لمجلس إدارة المدرسة يسمح مثلاً بثلاثة ممثلين لكل من الأهالي وموظفي المدرسة نفسها والإدارة المحلية ووزارة التربية الوطنية، وأن تكون هناك قواعد بسيطة لاتخاذ القرار كتوافق ثلاث من هذه الجهات، وقد يكون من ينسبه الأهالي من الأطباء أو المحامين أو التجار أو أصحاب المهن الذين يحسنون تمثيل مواقف الناس ويتم تنصيبهم أو تغييرهم في اجتماعات أولياء أمر التلاميذ أو بالتصويت بالمراسلات أو بشكل آخر.

إن أشكالاً من هذا العمل التطوعي لرعاية الشأن العام هي ما افتقدناه طوال سنوات حكم الأنظمة السابقة ولانزال نفتقده، ويجب الشروع به في جميع المجالات، ولا يبدو أن هناك ما يمنع هذا لأنه لا يتعلق بربح مادي أو خسارة مادية لأحد وإنما هو عمل للصالح العام كما هي حالة الزكاة والصدقات.

هل يمكن اعتبار مباني المدارس أولوية في التعليم العراقي؟ لا اعتقد ذلك في الوضع الحالي خصوصاً لو قارناه بالكوارث الصحية والبيئية ووجود ملايين اليتامى والأرامل والمعوقين، إن المهمة المباشرة الأكثر عملية هي استعادة المدارس مواقعها الأصلية، وترميمها العملي لمنع الأسوأ أو إلحاق الأذى

بالطلبة، ثم العناية القصوى بالمرافق الصحية، وهذه مطالب يتفق عليها الجميع، ويمكن بعد ذلك إلحاق صفوفاً جديدة أو مؤقتة إلى حين تعافي البلد بما يؤهله لتشييد مباني أفضل.

إن مواقع مباني المدارس أولوية للمجتمع نفسه، ولحياة أي مدينة وأهاليها أكثر منه لعملية التعليم نفسه أي لعملية اكتساب المعرفة من قبل التلاميذ التي تعتمد أكثر على المعلمين والمناهج وطرق التدريس، والتي تعتمد بدورها على الإدارة الرشيدة أكثر منها على المكان والبناية، وينطبق ذلك على الدوام المزدوج حيث تشترك مدرستان في بناية واحدة، من المهم هنا أن لا تقل ساعات الدوام لكل وجبة عن خمس ساعات يومياً، وأن تكون هناك فترتان أو ثلاثة للعب والحركة والطعام والشراب لكل وجبة، بشكل حضاري وأمين، ومهما كانت الظروف المادية يجب أن نضمن أن تكون تجربة الطفل في المدرسة تجربة مضيئة وممتعة وليست أسوأ مما يدور في حياة الطفل البيتية.

إن بنايات المدارس هي جزء من مشكلة الإسكان في العراق، والنقص المتزايد في المساكن والمرافق منذ فترات الحصار لإيواء العوائل الجديدة، وإن الفوضى والمحاصصات الطائفية في الوزارات ونهب الأموال العامة يمنع أبسط عمليات البناء، فهناك مثلاً ٢٣ مشروعاً للمجمعات السكنية بضمنه مدارس صغيرة خطط لها ضمن خطة النفط مقابل الغذاء عام ٢٠٠٢م، أي منذ قبيل الغزو في جميع المحافظات عدا منطقة الحكم الذاتي، وبقيت هذه الخطة تعلنها وزارة الإسكان عبر حكومات الاحتلال، ولم ينفذ منها إلا الجزء اليسير، وما نفذ منها هو بأكثر من أربعة أضعاف تكاليفها، وبنوعية رديئة، ويتحدث المسؤولون في وزارات التخطيط والمالية والبلديات والإسكان والصناعة في الفضائيات عن وعود ولجان وتخصيصات عن مشاريع الإسكان، وكل يلقي اللوم على الآخر

في سلسلة من المهازل، هذه السنين السبعة قد انقضت بدون تنفيذ ما يستغرقه اعتيادياً سنتان علماً أن عدد الوحدات السكنية التي يتحدثون عنها لا تتجاوز التسعة آلاف أي أقل من ١% من حاجة البلد، فلا يمكن أن ننتظر هذا البناء مهما كانت أهميته لمسيرة التعليم.

إن التعليم الجيد قد يتم في بعض الأحوال الاستثنائية في خيمة أو في العراء إذا ما وجد المعلم الجيد، ولكن إستدامة التعليم لعدة سنوات وتدرجه وإنتظامه وإنتشاره للآلاف والملايين من التلاميذ وهو من حقوقهم الأساسية، يحتاج إلى إدارة وتنظيم.

ما هي أهمية الإدارة الرشيدة للتعليم وهل لها فعلاً الأولوية فيه؟

كانت الاحتجاجات الشعبية التي وصلت حد المظاهرات الغاضبة، والسخرية الواسعة النطاق المحيطة بنتائج إمتحانات المرحلة الثانوية التي أعلنت في شهر تموز هذا العام ٢٠٠٩م، ومنها التظاهرات في الأعظمية والأنبار والموصل تعبيراً آخر على إنهيار الثقة بنزاهة المشرفين على التعليم في العراق، وهذا التدهور كان قد بدأ منذ بداية الاحتلال حيث سادت الفوضى الكثير من مراكز الامتحانات في صيف ٢٠٠٤م، وازداد الأمر سوءاً في السنين التالية بتصاعد دور المليشيات الطائفية، وفشلت جهود التعليميين والتربويين الشرفاء، ومن ساعدهم بشجاعة من علماء الدين والموظفين الكبار في بعض الوزارات بعلاقاتهم مع رجال الأمن لحماية أوراق الامتحانات في نقلها من المحافظات وإليها مثلاً في الحفاظ على الحد الأدنى المطلوب من الثقة بعدم تسرب وبيع الأسئلة والتلاعب بالنتائج الفردية والجماعية والإحصاءات، ويبدو أن المنظمات الدولية ومنها اليونسكو هي الأخرى أصبحت ترفض قبول النتائج والشهادات

العراقية على مختلف المستويات، إما لهذه الأسباب أو لاستشراء تزوير الوثائق في العراق، ويضطر الشباب العراقي اليوم إن أراد التعلم خارج العراق مثلاً أن يجتاز اختبارات إضافية كان قد اجتازها في بلده.

ويصعب تصور حلول لهذه المشكلة؛ لأن مصداقية الامتحانات تبنى عبر سنوات عديدة وليس بجرة قلم ووعود، ولربما يفقد العراقيون الثقة بالامتحانات العراقية تماماً ويتجهون للامتحانات الرسمية في البلدان العربية المحيطة إذا سمح لهم، ولربما يجد التعليميون العرب سبلاً للتدخل الودي ومساعدة المسؤولين العراقيين على تجاوز الفساد واستعادة الاستقامة، وكان العراق في بداية نشوء الدولة الحديثة يعتمد على الشقيقة مصر في تأهيل كفاءاته التربوية في كثير من المجالات، ولربما نحن بحاجة إلى الاستعانة بخبرات مصر مرة أخرى، وهي التي تغتني بالكثير من القدرات التربوية المتمسكة بقضية تطور الأمة بصرف النظر عن اتجاهات السلطة السياسية القائمة في البلدين.

إن فقدان مصداقية الامتحانات هي الجانب الأكثر وضوحاً للناس من حالة عامة في تدهور مستوى الإدارة التعليمية على مستوى البلد والمحافظة والمدرسة الواحدة.

إن انهيار المقاييس في تعيين المعلمين، وتوزيع المسؤوليات داخل المدارس وفي دوائر التعليم في المحافظات من المظاهر الأقل بياناً للعيان، ولربما الأكثر ضرراً، والفساد المستشري يبدأ من التعيينات الإضافية بدون كفاءة، وربما بأسباب الرشوة أو المنسوبية الحزبية والطائفية، ومع طرد عشرات آلاف المدرسين والمعلمين غير المرغوبين سياسياً بحجة اجتثاث البعث أو بحجج أخرى يبدو أن عدد المعلمين في المدارس الابتدائية مثلاً قد زاد من حوالي ٢٠٠ ألف قبل الغزو إلى ٣٥٠ ألف بعد زيادة الرواتب عشرة أضعاف عام ٢٠٠٤م،

وتضاعفها فيما بعد وهو ما يعني التوظيف في مناصب غير موجودة، ولغرض توفير دخل رسمي لمن لا يملك المؤهلات وربما لا يقوم بأي عمل، كما هو الحال في تضاعف عدد المستخدمين في جميع دوائر الدولة والمؤسسات، وأغلبها متوقف عن العمل تماماً لأسباب شتى، وهناك أيضاً نقل المحظوظين إلى بغداد ومراكز المدن وترك مدارس الأرياف والمدن الصغيرة بدون معلمين؛ لذلك فإن من المشاهد المؤسفة تراكم المعلمات والمعلمين في مدارس بغداد التي أصبحت بعض غرفها كالمقاهي المزدحمة للمعلمين والمعلمات في حين لا تجد مدارس أخرى خارج العاصمة معلمين لصفوفها المزدحمة إذا كانت في مناطق بعيدة عن الاحتدام، وكما هو الحال مع جميع دوائر الدولة فقد تضاءل دوام التلاميذ والمعلمين والمدرسين في فترة احتراب الميليشيات في ٢٠٠٦م و٢٠٠٧م، مثلما تحولت المدارس إلى حالة شكلية، وأرقام الحضور والغياب والتقييمات الفصلية إلى معلومات وهمية كاذبة.

لقد غاب دور المفتشين حتى إن وجدوا على الورق، وافتقدت هيبة أو نفوذ أي مسؤول تعليمي، مقابل أفراد المليشيات المسلحة أو زعمائها الذين إما أنهم هم أنفسهم من الجهلة والأميين، أو أنهم رحلوا عوائلهم إلى خارج العراق للدراسة في بلدان آمنة، وأصبح توفر أو شحة الكتب والقرطاسية ووسائل الإيضاح أموراً كاليانصيب، متوفرة أو مفقودة تماماً، وقد يطلب من أولياء أمور التلاميذ دفع أثمان وهمية لها، وقد بدأت اليونسيف (منظمة الأمم المتحدة للطفولة) بشحن وتوزيع القرطاسية عام ٢٠٠٧م على كل مدارس العراق، وإن كان ذلك أيضاً متعلق بالوضع الإداري المتردي.

يمكن اعتبار التعليم العراقي في حالة طوارئ منذ الغزو عام ٢٠٠٣م، وإن حالة الطوارئ هي ما تقره المنظمات الدولية رسمياً بالنسبة لما بين ٤ إلى ٥

ملايين من اللاجئين العراقيين داخل البلاد وخارجها، وقد اعترفت وزارة التربية عام ٢٠٠٧م بوجود مليون و ٨٠٠ ألف عراقي مهجر داخل العراق وما يعنيه ذلك من مشاكل في المدارس.

إن إصلاح الجانب الإداري في التعليم هو بالفعل أولوية، لكنه لا يشكل صعوبة بالغة أو يتطلب ميزانية هائلة.. كل ما هو مطلوب هو الإرادة والقرار المركزي في تنسيب الكفوئين في مناصبهم، وإقرار لكل ذي حق حقه.

إن بعض فقرات التفتيش بالغة السهولة إذ بمقدور أي قاض أو مجموعة صغيرة من الأهالي المهنيين في أي مدينة أو حي بقليل من العمل المنظم معرفة ما إذا كان المعلمون المسجلون في مدرسة ما.. هم أشخاص مؤهلين، أو حتى حقيقيين، وإن الأرقام التي تسجلها المدارس حول الدوام ومصاريف البناية والقيمين عليها هي حقيقية أو معقولة تقديرياً، وإن هناك التزام بوقت بدء الصفوف وانتهائها وحتى بأمان التلاميذ أثناء وجودهم في المدرسة، كل هذه الأمور التي لا تتعلق بنوعية التعليم والمناهج وطرق التدريس أمور تعالجها الدول الأوربية عبر ما يسمونهم " المفتشين غير المختصين"، ويتطوع الكثيرون من المهنيين لهذه الأعمال التي ليس لها مردود مالي كبير؛ لأن التعليم له جانب أخلاقي وفيه إيثار البالغين للأطفال والجيل القادم ككل، وليس لأطفالهم وحدهم.

إن إصلاح الجانب الإداري في التعليم أولوية تخص أكثر من ١٢ مليون عراقي في سن التعلم، وقد لا نستطيع في البدء تطبيق التعليم الإلزامي حتى سن الـ١٦ كما تفعل البلدان المتطورة، لكننا يجب أن نضع هذا الهدف أمام أعيننا لنبدأ بما يمكن إنقاذه من كارثة الاحتلال والمحاصصة الطائفية والفساد، ثم نسير بخطوات حثيثة محافظين على مبدأ التعليم للجميع وليس للنخبة المرفهة، رغم

اضطرارنا إلى الاعتماد على بعض المدارس الخاصة لحين توفر طاقاتنا التعليمية.

الأولويات في مناهج التعليم وطرق التدريس في العراق

ننتقل هنا إلى نوعية التعليم أو محتوى المناهج وطرق التدريس الأكثر فعالية وهو موضوع المختصين والمعلمين والمدرسين المتمرسين والمهتمين برفع المستوى التعليمي، ويمكن تلخيص أهم نواحي انهيار المستوى التعليمي للأجيال الحالية في العراق تحت ثلاثة عناوين: الأول في المستوى الأدنى، والثاني في مستوى النخبة، والثالث في المستويات الوسطى العامة:

١. أولويات المستوى الأدنى تتعلق بمعالجة انتشار الأمية بعد جيل من تراجعها الكلي تقريباً، ويجب تعريف الأمية هنا بأكثر من مجرد "فك الخط" أو كتابة الاسم واللقب، أو قراءة القرآن الكريم.. فيجب الحديث عن الأمية العملية أي عدم القدرة على قراءة التوجيهات في الاستمارات البسيطة واللوحات، وعدم القدرة على الإجابة الكتابية على بعض الأسئلة الشخصية، نتحدث إذاً عن مستويات من القراءة والكتابة.

وفي هذا المستوى يستطيع المجتمع العراقي بوقت سريع استعادة عافيته، لتوفر الخبرات السابقة واندفاع الناس في كل أعمارهم للتعلم، ونحن اليوم نعيش حالة فريدة من نوعها إذ أن الجيل الأكبر عمراً في الغالب بمستوى أعلى من الجيل الأقل عمراً، على العكس من الأجيال السابقة، لذا يستطيع البالغون بقليل من الدعم إيصال الشباب لمستوى معقول من التعليم الأساسي، مثلما اعتمد الأطفال في السنين الأخيرة على التعليم البيتي، حيث برز دور الأمهات العراقيات المشهود أكثر من ذي قبل، ويمكن للتلفزيون والأقراص المدمجة

والإنترنت أن تؤدي أدواراً هامة لم تكن متوفرة سابقاً، مادام بعض الشباب قد تمكنوا من هذه التقنيات ما نحتاجه هو إشهار برامج محلية في مختلف المواقع، مع أوقات وجداول للمدرسين والمشرفين، وبتوفر مجال استخدام الجوامع ودور العبادة عموماً لبعض الدروس والدورات التعليمية.

إن تجارب العالم الثالث الثورية قد أثبتت مراراً أن الطبقات الفقيرة قادرة على تجاوز الأمية في أقل من سنتين وبتكاليف زهيدة، ومن هنا يجب التفكير في هذا الأمر كحملة جهادية، لا كبرامج بيروقراطية يتعيش منها البعض أو يصرفون أوقاتهم في الاختلاط الاجتماعي، والوجاهة والسلطة التافهة.

إنه واجب ديني وطني يجب على جميع علماء الدين والسياسيين من مختلف اتجاهاتهم الدفع به ومن يتخلف عن هذا الواجب هو من له مصلحة بجهل الإنسان العراقي بحقوقه ومسؤولياته.

هناك مشاكل جديدة لا يزال التربويون في العالم يحاولون فهمها وهي لا تتعلق بنا وحدنا تتناقض مع مهارات القراءة والكتابة التقليدية، وتتعلق المشاكل بوتيرة التطور في التواصل البشري الذي كان حتى وقت قريب يتم عبر ما هو مكتوب ومطبوع في الكتب، فقد انتقلت البشرية خلال عقدين من الزمن نحو التواصل عبر الصورة والأفلام المسجلة، التي أصبحت في متناول الجميع تقريباً عبر الهاتف المحمول والتلفزيون والإنترنت، ورغم أن هذه لا تلغي أهمية المكتوب والمقروء، إلا أنها تعوّض من ليس لديه تلك المهارات، وليس لكاتب هذا البحث معرفة كافية بما ستسفر عنه الأمور في هذا المجال، سوى القناعة بأننا يجب أن نحافظ على اللغة والكتابة التاريخية في نفس وقت استخدام الوسائل الحديثة.

هناك أيضا الأمية الشفهية، أي التي تتعلق بالقدرة على التعبير الشفهي باللغة المكتوبة والعامية، وعلى عادات التواصل في مجموعة صغيرة في مجلس أو حول مائدة بحيث يكون الحديث مفهوماً وذي فائدة، وقد جرى تطوير بعض البرامج في تعليم البالغين في أوربا، وكان من أنجحها سلسلة تلفزيونية بريطانية بعنوان "قلها بنفسك" حول حالات قد يواجهها الإنسان في حياته اليومية وكيف يحصل على أفضل النتائج بأن يكون واضحاً ومختصراً في كلامه.

إن هذه الأساليب تنتقل إلى المجتمع عبر العديد من الأفراد الذين يساهمون في الدورات والندوات الدراسية المتعددة، وخصوصاً تلك التي تسمح بالمشاركة المنظمة بأخذ الدور، والتحدث المختصر، والاستماع المؤدب إلى آراء قد تبدو غريبة، فقد يكون هناك إذاً حاجة لدورات للجميع يجب ابتداعها وتجريبها في التواصل، والتعلم من التجارب العربية في آداب المجالس سواء ما نراه في مصر والمغرب مثلاً، وكذلك من المجالس العشائرية والمدنية العراقية حيث يعرف الناس قدر بعضهم بعضاً، ويأخذون دورهم في الكلام، ويتكلمون عن أمر واحد لا عن عدة أمور متشعبة، ويتجاوب الفرد مع ما جرى قبله، لا أن يحتل الساحة وحده، وتلعب المدارس دورها في هذا الأمر وسنأتي لذلك فيما يلي:

٢. أولويات المستوى الأعلى من التعليم تتعلق بمواكبة التقدم العلمي والتقني العالمي، هنا نتحدث عن النخبة النابغة أو الماهرة من أبناء البلد، أطفالاً وبالغين، وهي نسبة تشكل بين ١ـ ٥ % من كل فئة عمرية، وهؤلاء يجب أولاً تشخيصهم ثم توفير أفضل ما يمكن من مجالات لتطوير كفاءاتهم، بحيث تكون لدينا فئة لا يختلف مستواها العلمي عن نخب بقية الأمم، وإن قلت عدداً.

إن التشخيص غالباً ما يبدأ منذ الطفولة، سواء من العائلة نفسها أو من المعلمين، وهنا يجب على المجتمع رعاية المتفوقين، بدون عزلهم عن أقرانهم

أو التضييق على نموهم الجسمي والعاطفي المتوازن، عبر المراحل التعليمية ثم إفساح المجال لهم لتنمية طاقاتهم الخاصة في أي مجال فني أو علمي أو إنساني، مع بعض التوجيه لسد حاجات البلد في آخر المراحل الدراسية، وبعد المرحلة الثانوية علينا توفير دورات دراسية من خيرة الأساتذة العراقيين والزائرين الأجانب لتوفير الفرص لنمو قدرات هؤلاء في التعليم الجامعي، ثم في البحث العلمي، ويجب الاهتمام بالتخلف الذي أصابنا عبر التركيز الزائد على توجيه المتفوقين نحو العلوم (وخصوصاً الطب والهندسة) في مقابل الاختصاصات الأخرى، وعدم التفريط بالعلوم الإنسانية والآداب.

إن هذا الضعف هو الذي أدى بنا إلى ترك التراث والتأريخ وعلوم الشريعة وغيرها حصراً بالهيئات الدينية بقدراتها المحدودة، وبعضها ذات التعصب والانغلاق المذهبي، غير القادر على تسليح المجتمع ضد أضرار الانقسامات القديمة وتجاوزها، بدون أن يكون للمجتمع طاقة لتطوير حلول علمية متقدمة لرفع مستوى الوعي الاجتماعي في هذه الحقول، وهو ما كان بإمكانه القيام به لو جرى الاهتمام الأكبر بالتاريخ والتراث والفلسفة الإسلامية على كل مستويات التعليم.

لقد كان التقليد الساري، وربما لا يزال هو في أن يجري تعليم الأطفال ذوي المستويات الأعلى في مدارس المتفوقين الابتدائية (في الماضي: المدارس النموذجية ومدارس تطبيقات دور المعلمين) في كل محافظة، ثم يتم اختيار أفضل ثلاثة أو خمسة في امتحانات السادس الابتدائي من كل محافظة للدراسة في مدارس ثانوية متميزة ببغداد وإسكان بعضهم في أقسام داخلية، ونعترف هنا بأن هناك الكثير من "الحظ والنصيب" في هذه العملية، التي تستند إليها معظم البلدان، بشكل منظم أو غير منظم، فهي في الغالب لا تعتمد على نوعية التعليم

والمعلمين أنفسهم، بل على ما هو فطري وعلى التخمين والشروط المؤقتة، لكنني لا أعتقد أن ثمة بديل واقعي لهذه التقاليد في الظروف الراهنة، ريثما نتقدم كبقية البلدان المتقدمة في معرفتنا بتطوير القدرات والمواهب منذ الصغر وتوسع تعليم الموهوبين، اعتماداً على مبدأ أن كلا الطبع والتطبع في حالة الإنسان يلعبان دورهما وليس الطبع وحده.

هناك بالنسبة لما يتعلق بالتعليم الجامعي موضوع البعثات إلى الدول المتقدمة بعد امتحانات الثانوية، وفي درجات الماجستير والدكتوراه، إن للبعثات إلى أكثر الدول تقدماً أهمية كبرى، وقد كانت البعثات التي أرسلها العراق لأبنائه وبناته من الثلاثينيات إلى الستينيات من القرن الماضي، حسب تأهلهم بدرجاتهم في الامتحانات العامة، دور أساسي في نهوض العراق السريع في النصف الثاني من القرن العشرين، وكان الذين عادوا إلى الوطن من هؤلاء ركيزة أخرجت خيرة الجيل التالي من علماء العراق وتقنيه، وقد أدت الظروف السياسية المعقدة والحصار الطويل الجائر إلى فقداننا الكثيرين من جيل البعثات ثم من طلابهم، وكان لذلك أثر في تدهور المستوى التعليمي الجامعي، فلدينا اليوم تجربة طويلة في اختيار البعثات، ولدينا استنتاجات منها ما يتعلق بضرورة تنويع البلدان التي نرسل إليها الطلاب، ومنها ما يتعلق بشروط إبقاء علاقة الطلاب بالعراق في فترة الدراسة الطويلة في الخارج، عبر ضمان الزيارات السنوية الطويلة لأهاليهم في العراق، لتقليل احتمال بقائهم في الخارج، ومنها ما يتعلق بفسح المجال لهم لاستثمار قدراتهم حسب الإمكان بعد عودتهم إلى العراق.

إن تنويع البلدان التي نرسل إليها بعثاتنا أصبحت مسألة استراتيجية، إذ تخلفنا في العقدين الأخيرين في استثمار التقدم العلمي والتقني في اليابان، والآن

في الصين، رغم أن هذين البلدين لا يمارسان التمييز ضد البلدان العربية والإسلامية في منع دراسة العلوم الحديثة كشتى فروع علوم الذرة والأحياء والكيمياء والفضاء، وهناك تطور علمي كبير في الهند حيث الدراسة فيها باللغة الإنكليزية، وربما يجدر بنا اتخاذ سياسة تلقائية تتغير مع الزمن تعتمد زيادة البعثات إلى الدول التي تتصاعد أسهمها في العالم بالنسبة للعلوم الطبيعية والإنسانية، ومن المؤسف مثلاً أن لا يتوفر عندنا كثيرون ممن يعرف اللغات الآسيوية، ولا من يستطيع طرح دراسات مقارنة بين الأديان والثقافات، والوصول إلى توصيات سياسية وتقنية حول الثقافات الأخرى في فترة اتخذت القوى الاستعمارية طرق تشديد صراعات الهوية والثقافية، مع منع التقدم العلمي التقني.

٣. المستوى الثالث يحمل أهمية لأغلبية الطلبة بالنسبة لمناهج التعليم، ولجميع الطلبة بالنسبة لأساليب التدريس، وهذا المستوى يتمثل في تطوير المناهج والأساليب بشكل تدريجي وتجريبي مستمر.

لقد استورثنا مناهج التدريس في جميع المستويات المدرسية تقريباً، أو ترجمناها من اللغة الإنجليزية في الغالب، حسب الارتباطات الأكاديمية بيننا وبين البلدان الأخرى، وهذه المناهج غالباً هي الأكثر شيوعاً في البلدان الأخرى، ومنها البلدان العربية ومصر في الغالب التي تتخذ نفس الأسلوب إلا في بعض المجالات، أي أن المناهج قد تقررت بقرارات لم نمعن النظر فيها بأنفسنا وربما كان اختيار بعض البرامج الأجنبية اعتباطياً أو بدون تمحيص لمناهج أخرى في نفس البلدان وخصوصاً البرامج الحديثة والتجريبية هناك.. أنا لا أعتقد أن هناك ضرراً كبيراً في هذا الأمر، لكن الضعف هو في أننا لا نمارس ما تمارسه البلدان المتقدمة، بل نكتفي بنصف ممارساتها، إذ أن هذه البلدان مع كونها تتخذ

مناهج عامة غالباً، فهي تسمح إلى جانبها بالعديد من المناهج التجريبية التي تنتهي بمرور الزمن بإغناء تلك المناهج الغالبة.

أهم ما في الأمر هنا أننا نتبع مبدأ "البدء من الأعلى" أي أن مناهج الدراسة الثانوية تعتمد على ما تحتاجه الجامعات، ومدارس الدراسة المتوسطة تعتمد على ما تحتاجه مناهج الثانوية، والابتدائية بدورها تتبع المتوسطة، وهذا الأسلوب يجعل الامتحانات هي المقياس الأول والأخير للمستوى المعرفي.. لكن هناك اليوم شبه إجماع في الأوساط التربوية والتعليمية أن هناك مهارات هامة تغفلها الامتحانات، والاتجاهات التي تعتمد التطور الذهني وعلم النفس الاجتماعي وتسمى أحياناً بـ" البنائية"، أي التي تفترض أن معرفة الفرد تبنى طبقة فوق أخرى عبر التجربة والاستيعاب الفعلي وليس بالذاكرة والاسترجاع، تؤكد ضرورة الانطلاق أيضاً من القدرات الطبيعية للطفل والطالب، وربطها تدريجياً بعالم الكبار والمناهج الرسمية العليا، وبسبب غموض هذه الرؤية لدى السياسيين وأصحاب القرار الذين هم نتاج للطريق التقليدي، وصعوبة قياس فعاليتها المباشرة، وجب التجريب انطلاقاً من تطوير مهارات التلاميذ من صغرهم للتفكير وصياغة الأفكار والتفاعل التعاوني والإبداع وحل المشاكل، وكلها جوانب يصعب قياسها بامتحانات تقليدية، ومن قبل معلمين ومدرسين لم يمروا هم أنفسهم بتجارب إبداعية، ما أدعو إليه هنا هو أن نضيف إلى ممارستنا العادية ممارسات تجريبية نحن أيضاً، وليكن بنسبة ١٠% من الجهود التربوية والتعليمية.

مشروع تجريبي في المدارس العراقية بمجال تطوير الذكاء العام

إن كاتب هذه الملاحظات ينطلق من تجربة ثلاثين عاماً في تدريس الرياضيات، وأحياناً العلوم الطبيعية وتقنية المعلومات، وبالأساس في تطوير المناهج وطرق التدريس التجريبية لهذه المواد التعليمية في بريطانيا، وهذه النشاطات هي في الغالب على هامش الممارسات الغالبة في المدارس في بريطانيا نفسها، لكنها ترفدها باستمرار عبر تبني المعلمين والمرشدين وأصحاب القرار وكليات تدريب المعلمين والمدرسين بأساليبهم الخاصة للاستنتاجات والتجارب التي نجريها، وتجريها مشاريع تجريبية كثيرة مشابهة في شتى دول العالم.

إنني على وعي تام أننا بحاجة إلى إنقاذ التعليم العراقي بأبسط مستوياته وحسب الممكن، وأن التجريب بمثل ما يجري في البلدان المتقدمة يبدو نوعاً من الترف، لكنني أعتقد أن ذلك تصور قصير النظر، لأن الطرق التجريبية سترفع القدرات التعليمية للجميع طلاباً ومدرسين، أي أن تجريب الفعاليات الصيفية الرامية للتحفيز الذهني من قبل بعض المدرسين المتفوقين العراقيين المنفتحين سيؤهلهم لتسريع عملية رفع مستوى التعليم العام، عبر إغناء أساليب ومناهج التعليم، بدل المراوحة أو مجرد اللحاق بما يجري اعتيادياً في البلدان المتقدمة.

وكما ذكرت في المقدمة فيمكن تصور هذا النشاط التجريبي بأنه يعتمد تطوير القدرات الذهنية للناشئة (فعلياً: الذكاء) عبر التفاعل التعاوني في فعاليات صيفية تجريبية مفتوحة، في مقابل أساليب النقل والإيضاح والشرح السائدة للمناهج والنصوص المقرة، سواء في التعليم الأساسي أو للمتفوقين.

إن ظروف العراق قد أدت بالتدريج منذ بدء الحصار عام ١٩٩٠م إلى تدهور تدريجي في تعليم أغلبية الأطفال والطلبة العراقيين في أغلب المدارس،

ثـم أدت بعد الغزو، عام ٢٠٠٣م، إلـى نتـائج كارثيـة فـي جميـع حقـول التعليم، وتقدر آخر الدراسـات[١] أن مـن لا يرتـاد المدارس يتراجع مستواه العقلي سنوياً بنسبة ٣ـ٥ % عمن يرتادونها في المعدل، أي أن من المحتمل أن مستوى الذكاء لمن تسرب من المدارس لعشر سنوات هو حوالي ٧٠% من المعدل، وهو ما يمكن اعتباره تخلفاً عقلياً لهم في المعارف العامة، إن لم يكن في الأمور الحياتية العملية الروتينية، بالطبع هناك تعويضات كثيرة يوفرها التعليم الأهلي العائلي الذي قد يقلل كثيراً من هذا التدهور والذي يجب الانتباه إليه واستثماره، خصوصاً أننا في هذه الحالة الفريدة حيث جيل الآباء والأمهات وأولياء الأمر عموماً أعلى مستوى تعليمياً من الجيل التالي.

إنني آمل في أن تتبنى إحدى المؤسسات التعليمية الرسمية أو الأهلية في العراق برامج تجريبية مثل ما نقوم به في بريطانيان، وهي في الواقع دورات للمعلمين والمدرسين لتجريب دروس تنمية التفكير المنطقي في مواضيع الرياضيات والعلوم وغيرها، تكون إضافية للمناهج، وهو تجريب لا يزيد عن درس واحد في الأسبوع.

إن هذا الاتجاه يعتمد على مبدأين: أحدهما يتعلق بطبيعة الذكاء والآخر بأساليب التدريس. فمن المتفق عليه أن القدرات العقلية هي مزيج من الفطرة والتعلم، أو ما يسمى في التراث: الطبع والتطبع[٢]، فكلنا يعرف بوجود قدرات فطرية متفوقة لدى بعض الأطفال واليافعين في مجال ما كالأذن الموسيقية أو

---

[1] Richard E. Nisbett (2009) Intelligence and How to Get It: why schools and cultures count; WW.WW.Norton & Company New York and London.

[2] المصدر السابق الذي يعتبر أهم ما صدر هذا العام في حقل الذكاء يستعرض مئات الدراسات الأكاديمية الأمريكية عن هذا الموضوع ويرجح أهمية التعليم والتحفيز على القدرات الوراثية على أهميتها الجزئية، بتمييزها عن النشوء في بيئة أو ثقافة موروثة.

الذاكرة أو الفضول المنطقي للمعرفة، ونعلم أيضاً أن هذه المواهب قد لا تتفتح في وقتها المناسب في مجرى النضوج البدني والعقلي للطفل منذ ولادته بدون توفر الفرص في العائلة لممارستها، وينطبق الأمر أيضاً على الطفل في المدرسة، إذ يتوالى انفتاح الإمكانات البيولوجية مع العمر، لكنها قد لا تتطور بدون توفر الفرص الملائمة في المدرسة، وخصوصاً عبر التفاعل مع التربويين والمدرسين الآخرين الواعين لهذه الضرورة، وبدونها فكأنما تتوارب الأبواب العقلية والمهاراتية وتغلق.

فعندما ينعدم التفاعل بين الطفل والمعلم تتضاءل قدرة الطفل والطالب على تطوير تلك المواهب؛ لأن تفتحها موقوت موروثياً في مجرى عمر الفرد، ضمن أطر عريضة، كما في حالة استيعاب اللغة مثلاً بين عمر الـ ٢ إلى ٥ سنة كوقت أمثل مثلاً، وتعلم معنى العدد وليس مجرد لفظ الأرقام بالتسلسل فيما بعد، وتعلم الجبر بعد عمر العاشرة، وتعلم التفاضل والتكامل بعد عمر الـ١٥ سنة في الغالب، وفي مقابل ذلك أن القدرات الفطرية المتوسطة، وحتى الضعيفة للطفل والطالب يمكن أن تتطور عبر التعليم والتدريب في حالات كثيرة بحيث تؤهل أصحابها لنشاطات مثمرة لأنفسهم ومجتمعهم قد تعوض عن المهارات الفائقة في أغلب مجالات الحياة العملية.

عندها ننتقل إلى مرحلة أخرى هي تعليم الكبار الذي يكون أصعب بكثير من تعليم الصغار؛ لأن الكبار بحاجة إلى استخدام ما تعودوا عليه في فهم ما يقدم إليهم من جديد، وقد يكون في ما تعودوا عليه كثير من العثرات وسوء الفهم، في حين أن الطفل والطالب اليافع يهيكل عقله منذ البداية لتقبل المفاهيم المتقدمة بدون وجود تركة كبيرة من معلومات لا علاقة لها بالأمر إلا شكلياً.

هناك تفاوت كبير في فاعلية المناهج المقررة في كل مادة مدرسية بمدى تأثيرها الإيجابي أو السلبي على التلاميذ والطلبة، وبعض المناهج مستوردة وتقليدية وربما أخذت بدون تمحيص كما قلنا، والبحث التجريبي في المناهج هو في تشخيص الفعاليات المناسبة للأعمار المناسبة من الطلبة، بحيث لا تلقى المعلومات على عواهنها على الطلبة، أما أعلى بكثير عن مستواهم أو أقل مما يستطيعون التعامل معه، ومنها ما يحفزهم على تطوير واعي لقدراتهم وعدم الاكتفاء بالتلقي واسترجاع المعلومات وحل الأسئلة المدرسية الروتينية، فأقل ما يقدمه البحث التجريبي هو تطعيم المناهج الموجودة بمكونات أخرى مناسبة.

وهنا نأتي لأساليب التدريس فهناك تفاوت كبير في فعالية طرق التدريس الصيفية المعروفة في المدارس من التلقين إلى إدارة النقاش إلى التجربة العملية إلخ... فضلاً عن كفاءة المعلمين في استخدام كل طريقة، والموارد المالية المطلوبة لها أحياناً، لكن أساليب التعلم التعاونية ليست فيها صعوبات مالية، بل تعتمد على استعداد المعلمين للانفتاح وسماع آراء التلاميذ، بلغتهم الطبيعية، والتوسط فيما بينهم والربط بين أفكارهم وبين ما هو في المنهج المقرر بشكل تدريجي.

لقد انتقلت بعض التجارب إلى التعليم العام، واليوم في بريطانيا يعتبر المعلم أن الصف الذي يدرسه بحاجة إلى معرفة أسلوب العمل الجماعي في مجموعات صغيرة، فلنأخذ مثلاً واحداً: يجلس اثنان من الطلبة ليعملا على نفس السؤال أو المهمة متشاركين بالورقة أو المواد المتاحة، وقد يكون السؤال بسيطاً مثلاً:

" بعض الإجابات الخطأ عن طرح ٧٨ من ٢٠٥ هي : ١٣ و ٣٧ و ٧٧ و ١٠٣ و ١٠٧ و ١٣٧ و ٢٠٧. ماهي أسباب هذه الأخطاء؟ وهل هناك أخطاء شائعة أخرى؟ ".

على الطالبين، اللذين قد يكونا في الصف السادس الابتدائي أو في المدرسة المتوسطة، أن ينظرا في الأخطاء الشائعة، ويكتشفا أسبابها المنطقية، وكذلك أن يستطيعا شرح أفكارهما باللغة الطبيعية، أي اللغة الدارجة، هذه مهارات ليست في منهج التدريس ولكن لها أهمية ذهنية واضحة، وكل الأخطاء في هذا المثل تعتمد على الاستخدام الجزئي للقواعد التي تعلموها حول الطرح الحسابي، وأهمها مثلاً:

- لا تستطيع طرح رقم من رقم أصغر منه، لذلك تطرح الرقم الأصغر.
- لا تستطيع أن تطرح رقماً من الصفر لذلك تذهب إلى الرقم التالي على اليسار للصفر.
- تستطيع أن تستعير واحداً من رقم ثم تعيده!
- لا تستطيع أن تستعير من الصفر لذلك تستعير من الرقم التالي له.

فالتلميذان يجب أن يشرحا لأحدهما الآخر كيف يمكن توضيح المشكلة، ثم يتشاركان مع اثنين آخرين في صياغة المشكلة، وفي احتمالات الأخطاء الأخرى، (اكتشف المدرسون أثناء تجربة هذا السؤال أخطاء ممكنة أخرى هي ١٢٣ و١٣٣ و٢٧٣ و ٢٨٣ و٥٨٥، وهي أخطاء تأتي من التطبيق الحرفي الجزئي للقواعد البسيطة بدون الانتباه لقواعد أخرى أو لحجم الرقم)، فهناك الآن أربعة طلاب يجب أن يتعلموا الكلام كل حسب دوره، ثم الاتفاق على من سيتحدث باسمهم لطرح أفكارهم حول هذا السؤال أو بعضه لبقية الصف.

إن فائدة هذه التجربة ليست فقط في فهم أعمق من قبل الطلبة لصعوبات الحساب والأخطاء الشائعة في الطرح، بل بالقدرة على شرح الحساب باللغة، وعلى القدرة على التفاهم فيما بينهم، والقدرة على مخاطبة الصف كله بشكل منظم، ويأتي كل هذا مع بدايات غرس منظور متقدم للحساب والتعلم ولدور

المعلم إلخ... هناك إذاً تطوير ذهني، وتطوير اجتماعي في التعامل بين الناس، وتطوير في النظرة لما يعنيه التعلم وطبيعة الرياضيات، وعندما يمارس الطلبة هذا الأسلوب في مواضيع مختلفة يمكن تصور مدى التطور في عقولهم وقدراتهم وعاداتهم في التعلم.

هذا مثال لنوع من التفكير التعاوني الذي قد لا يستغرق أكثر من ربع ساعة من التفاعل الصفي بين الطلبة، وهو جزء من الدروس التي عملنا على ابتكارها في السنين الأخيرة، وقد ساهمت في سلسلة من المشاريع البحثية الجامعية في إعداد حوالي ١٠٠ درس من هذا النوع في مواضيع الجبر والهندسة والإحصاء والحساب، ملائمة في البداية للأعمار من ١٥ سنة فما فوق، ثم الانتقال إلى أعمار أصغر وصولاً إلى عمر ٦ سنوات مؤخراً، وهو العمر الذي يمكن اعتباره بداية استيعاب، أو استخلاص أول المفاهيم الرياضية عبر التجربة في واقع الطفل وبلغته الطبيعية، والواقع أن استيعاب المفاهيم ليس له علاقة مباشرة بالعمر إلا في نوعية الأمثلة الواقعية التي يعالج ضمنها المفهوم.

إن تشخيص المواضيع وابتكار الأسئلة (والقصص) لها عملية فيها الكثير من التجريب والتنقيح لإيصالها لأن تكون مؤهلة للنشر من قبل دور نشر رئيسية في مجلدات تستخدمها مجاميع تجريبية من المدرسين والمعلمين كل في فئته العمرية، هناك مجموعة دروس مشابهة في العلوم كما بدأ بعض مدرسي الفنون واللغة دروساً مشابهة، ويجدر القول أن المعلمين والمدرسين الممارسين بحاجة للتعامل مع كل درس أولاً بتصور أنفسهم طلاباً، وليسوا بدرجة معرفتهم الرياضية والعلمية ككبار، وعند ذلك فقط يستطيعون التفاعل مع الطلبة بشكل فعال، وقد وجدنا أن المعلمين والمدرسين أنفسهم يجدون في هذه الدروس فائدة

قصوى في توضيح مفاهيم جوهرية في الرياضيات لم يكونوا منتبهين لها هم أنفسهم.

تكمن الصعوبة أحياناً في أن المعلمين والمدرسين بحاجة إلى التخلي عن عادة إعلان أن هذه الفكرة صحيحة أو خطأ، بل أن يقبلوا كل ما يطرحه الطلبة ويتعاملوا معهم باعتبار أن له سبباً منطقياً وإن كان خاطئاً، وأن يحاولوا فهم منطق الطلبة قبل أن يربطوه بمنطق المنهج المقرر مثلاً أو حتى بدون ذلك، أي أن المدرس في هذه الدروس التجريبية يتخلى عن سلطته، وعن موقعه كمركز النشاط الصفي.

إن بعض المدرسين لديهم هذا الاستعداد للتجريب، وخصوصاً عبر القول في بداية الدرس "هذا الدرس من نوع تجريبي فلنرَ هل نخرج بنتيجة أم لا؟" ثم أن ينهي الدرس بأن يسأل الطلبة عما يعتقدونه في هذا الأسلوب.

إن تطوير مهارات المدرسين والمعلمين أمر تدريجي لأن فيه تغيير للقيم والعادات، ولذلك يجب التجريب به بدءاً ممن لديهم الاستعداد للمبادرة أو المغامرة، فيصبحون بمرور الزمن مرشدين لأجيال قادمة من المعلمين.

لقد بدأت هذا البحث باستعراض عام لمشاكل التعليم بعد الاحتلال، وعالجت أولوياته، وفي ذلك أوضحت رأيي أن الإصلاح الإداري يأتي في المقدمة على الأبنية، وأنه أمر يسير نسبياً، ثم عالجت المناهج وطرق التدريس وخلصت إلى الحاجة، حتى في الظروف الصعبة الراهنة إلى التجريب، وكل أملي أن ينظر زملائي التعليميون إلى هذه الملاحظات بسعة صدر، وقد يصلح بعض ما طرح فيها كمحاور لنقاشات مثمرة.

الأداء الأخطبوطي المتناغم مع إرادة المحتل (مقتربات الانتخابات)

حارث الأزدي[1]

اختلفت صفحات المحتل ما بين صفحة وأخرى كل حسب الدور المرسوم له بدءاً من مجلس الحكم بتأسيسه الطائفي المتعمد مع سبق الإصرار تحت وصاية المندوب السامي بول بريمر، ومروراً بالحكومة المعينة احتلالياً، ومن ثم الحكومة المستفردة بالحكم بالاستقواء بالمحتل، وانتهاءً بهذه الحكومة التي ازدوجت معايير الأداء فيها بين الولاء لإيران ولقوات الاحتلال وركبت موجة المظلومية بالدفع باتجاه نصرة المذهب عبر أحزاب طائفية تغنت بمجد وهمي ونضال مدعى تاهت مساراته مع الانخراط في المشاريع الاحتلالية الرامية إلى تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ.

من بين هذه التداخلات والمقتربات أُعلنت حكومة المالكي ذات الستة والثلاثين وزيراً في العشرين من شهر أيار عام ٢٠٠٦م بعد مخاض عسير

(١) رئيس تحرير جريدة البصائر العراقية.

نتيجة التجاذبات والتناحرات التي تحكم منظومة الأداء الحكومي المحكوم من قبل المحتل.

ولم يتمكن المالكي من اختيار الوزراء الأمنيين بسبب التناحرات التي رافقت تسميتهم؛ بسبب المحاصصة الطائفية وتقسيمات الديمقراطية التوافقية وقد توزعت الوزارات على الكتل النيابية المشاركة في الحكومة وبواقع ١٩ وزارة للائتلاف فضلاً عن منصب رئيس الوزراء ونائب رئيس الجمهورية والتحالف الكردستاني سبعة وزراء فضلاً عن منصب رئيس الجمهورية ونائب رئيس الوزراء والتوافق ستة وزراء فضلاً عن منصب نائب رئيس الجمهورية ونائب رئيس الوزراء والقائمة العراقية ثلاثة وزراء.

ولكي تحظى هذه الحكومة بالدعم جعلت قوات الاحتلال الأمريكي من قصة مقتل زعيم تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بمثابة بداية قوية لاسيما بظهور ممثلها إلى جانب السفير الأمريكي زلماي خليل زاد للإعلان عن هذا الحدث وتجييره باسمها.

تبع ذلك صفحة محاولة بسط السيطرة على بغداد بإطلاق المالكي ما سماه خطة أمن بغداد التي أطلقها في الرابع عشر من حزيران التي سميت آنذاك (معاً إلى الأمام) التي تضمنت فرض حظر التجوال خلال أيام الجمع من الساعة الحادية عشرة صباحاً لغاية الثالثة بعد الظهر، وهي خطة ذئبوية ظاهرها منع التفجيرات وتجنيب الناس هذا الخطر وباطنها السماح للمليشيات بالتحرك بحرية تامة أثناء الحظر الذي جعل العراقيين يلتزمون المكوث في بيوتهم في أيام الجمع كونها عطلة ولا يسمح الحظر – بوقته المختار له بعناية لشل حركة الشارع – أن يخرج المواطن من بيته لقضاء حاجياته.

ومع وجود هذه الخطة التي أراد المالكي أن يظهر فيها قوته وسيطرته إلا أنها فشلت في تحقيق أهدافه واستمرت التفجيرات ومسلسل العنــف الطــائفي ونقاط التفتيش الوهمية والجثث مجهولة الهوية.

بعد هذا الفشل أراد المالكي أن يخطو خطوة أخرى تمكنه مــن إحــداث طفرة نوعية على من سبقه، وذلك بإعلان مبادرة المــصالحة الوطنيــة فــي الخامس والعشرين من شهر حزيران لسحب البساط مــن تحــت الجماعــات المسلحة باستدراجهم للانضمام إلى العملية السياسية وتــرك الــسلاح جانبــاً ليكونوا رقماً مستهلكاً بين أرقام لا قيمة لها، فالمقصود بالمصالحة الوطنية من وجهة نظر حكومة الاحتلال الرابعة هو ترك المناهضة والرفض لها وركوب قطار العملية السياسية في ظل الاحتلال والقبول بمنطق الأمر الواقع من دون تغيير للدستور أو نقض لقوانين بريمر أو المحاسبة علــى الــسرقات والقتــل المنظم وقد حاولت هذه الحكومة تعمية الأمر بعقدها عدة مؤتمرات لما يــسمى مصالحة وطنية من وجهة نظر عوراء.. كان منها لشيوخ العشائر ومنظمــات المجتمع المدني وضباط الجيش السابق وبعض القوى السياسية، التــي تبحــث عن مكان لوجودها في مسرح الأحداث ولو على حساب أبناء العراق.

وقد كان لهذه الحكومة في الثامن عشر من تشرين الثــاني عــام ٢٠٠٧م إعلانها أضخم ميزانية شهدها العراق بلغت ٤٢ مليار دولار وقد أجمعت آراء المراقبين أن حكومة الستة والثلاثين وزيراً وذات الميزانية الضخمة لم تجــد أي صدى لهؤلاء الوزراء المتحاصصين ولا لهذه الميزانية الضخمة.

وقد ارتفعت حالات القتل والتفجير والتهجير وحالات الاختطاف الجماعي التي انتشرت في العاصمة وكان أشهرها اقتحام مسلحين يرتدون زي مغاوير الداخلية دائرة البعثات العلمية إحدى دوائر وزارة التعلــيم العــالي والبحــث العلمي قرب ساحة الأندلس وسط بغداد واختطفوا ما يقارب من مائة وخمسين

موظفاً ومراجعاً.. هذه الحادثة وغيرها كانت بمثابة حجر الأســاس للتمهيــد لخطة أخرى أشد إيلاماً على العراقيين الأبرياء التي أعلنها نوري المالكي في الرابع عشر من شهر شباط أسماها فرض القانون التي تضمنت عدة إجراءات منها عدم حمل السلاح وفرض حظر التجوال من الثامنة مساءً ولغاية السادسة فجراً، وانتشار نقاط التفتيش وغيرها لكنها لم تحقق أي بند وعد بــه المــالكي سوى حظر التجوال وتأمين عمليات الاعتقال في مناطق بعينهــا مــن أرض الرافدين.

وقد صاحبت هذه الخطة منذ انطلاقتها انتكاسات تمثلت في تفجير الجسور ومنها: جسر الصرافية وجسر ديالى، وتفجير مجلس النواب أدت إلى كــشف المستور عن هشاشة الأمن المدعى بأن أجهزة الحكومة الأمنية سيطرت على الأوضاع في العراق.

إن حكومة المالكي على مدى السنوات الماضية ظلت تناور علي مفــاخر وهمية تتلخص بوصفها حكومة الوحدة الوطنية وحكومــة الانجــاز الأمنــي وحكومة المصالحة الوطنية وما إلى ذلك من أوصاف ليس لهــا علــى أرض الواقع أثر يذكر، فلا يــزال العراقيــون يــذكرون كيــف تــشكلت حكومــة المحاصصة الطائفية وكيف حدثت الانسحابات ممن اشتركوا بهذه العملية مــن أمثال حزب الفضيلة وقائمة أياد علاوي وغيرهما ناهيك عن انسحابات الكتلة الصدرية المتكررة التي لم تتبع منهجاً معيناً بقدر ما هــي تــضع قــدماً هنــا وأخرى هناك.

مقتربات الانتخابات القادمة

لاشك أن حكومة كهذه لابد أن تسير على منهجها المعتمد الــذي أنــشئت عليه فعمليات التعمية والضغط والنقيض النوعي وتصفية الخــصوم سياســياً

وجسدياً أسفرت اليوم عن تناحرات وتناقضات بصورة جديدة لم تكن معهودة في المشهد العراقي قبل هذا التاريخ.

كان أول هذه المقتربات زيارة المالكي إلى واشنطن الموصوفة بأنها زيارة ولاء يراد منها الاستفراد والبقاء في الحكم مدة أخرى فتقديم الورود لمجاهيل الاحتلال في مقبرة قتلى الاحتلال في أمريكا ومحاولة استجداء البقاء بالقيام بفعاليات التنازل وتقديم المميزات التي تفرقه عمن يمكن أن يلعب دوراً في صفحة مغايرة ربما يريدها المحتل.

لم يكن أمام المالكي سوى تقديم الولاءات وشرح أبعاد تهديدات الأكراد بمحاولاتهم الضغط على ما يسمى حكومة المركز فضلاً عن التحذير مما سمته أمريكا مفاوضات مع بعض الفصائل التي تمت بوساطة تركية.

تهديدات الأكراد

لم يكف الساسة الأكراد استلاب بعض الامتيازات فيما يسمى حكومة المركز وتسلمهم سبعة عشر بالمائة من ميزانية الدولة بل تعدوا على ذلك بتكريد أجزاء من البلد بغية فرض السيطرة عليها، ومن ثم إنشاء مناطق أطلقوا عليها مناطق متنازع عليها امتدت إلى محافظات أخرى تمثل في مجملها أكثر من ثلث خارطة العراق.

وفضلاً عن ذلك فإن ضعف ما يسمى العملية السياسية في ظل الاحتلال أغرتهم بتوقيع عقود النفط وبيعه بصورة انفرادية والاتفاق مع شركات أجنبية للتنقيب عن النفط بعيداً عن سلطة المركز.. هذه كلها جعلت من الساسة الأكراد اليوم تهديداً لحكومة المالكي مما حدا بالمالكي إلى أن يقدم تنازلاً من نوع آخر أظهر مدى ضعفه بذهابه إلى الشمال واستقباله هناك بمراسم تدل على الانفصال الذي يسعى إليه هؤلاء الساسة، وهذا وهن آخر من نقاط

الضعف والهزالة التي بدت واضحة للعيان بعد إعادة الانتشار المسماة جزافاً جدولة انسحاب، فقد ذهب المالكي ليقدم تنازلات أخرى للساسة الأكراد من أجل الحفاظ على مكتسبات شخصية حزبية ضيقة.

التفجيرات الاستباقية للانتخابات

أشارت أصابع الاتهام في التفجيرات التي اتخذت مناطق مختارة بدقة وعناية لغرض التأجيج الطائفي والاستحواذ العرقي؛ إلى صراع الأحزاب السلطوية وما ذاك إلا أن الرابط والناظم للأحزاب المنضوية تحت راية المحتل هو أنها لا يمكنها الاستمرار من دون ادعاء التمثيل وكسب الأصوات بالترهيب من مجهول أو حتى صناعة عدو وهمي تضمن من خلال هذا السوق مصادرة أصوات الناس ومن ثم حقوقهم.

السرقات المصرفية خطوة أخرى للانتخابات

لقد أظهرت السرقات الانتخابية بمجرميها المنتمين إلى أحزاب السلطة أنها جاءت في إطار السوق الانتخابي لتمويل الانتخابات وتأمين عمليات الخداع الانتخابي بذر الرماد في العيون وتعمية الرأي العام من أن فترة قادمة تحمل التغيير حيث لا تغيير.

التحالفات وأساساتها

مثلما هي التفجيرات والسرقات التي تكون أهدافها انتخابية كذلك التحالفات القائمة على أساس المحاصصة والاستقواء تتم لنيل أكبر قدر ممكن من كعكة الحكم والتميز بالسلطة.

إن خريطة التحالفات التي قد تبدو للوهلة الأولى متجهة نحو التغيير والانقلابات على أصدقاء الأمس أعداء اليوم؛ إلا أن الرابط لها يبقى طائفياً وعرقياً حسب ضوابط المحتل.

فقد شهد العراق في فترة قريبة ومتقاربة عمليتين انتخابيتين ركبتا في سوقهما الإعلامي موجة التغيير إلا أن تغييراً لم يكن ليظهر ما دامت وجوه أدوات الاحتلال باقية على رأس السلطة مثلما هي.. والعمليتان الانتخابيتان هما انتخابات مجالس المحافظات حيث جنت قائمة المالكي نتائج القسم الأكبر منها نتيجة استخدام النفوذ وسلطة الدولة والتسويق لما يسمى دولة القانون، أما القوائم الباقية فقد كانت لأجل السوق الانتخابي والسماح لبعض العناصر في أن تشارك فيها فحسب، وقد اكتُسحت أحزاب السلطة وفي عقر دارها حتى قيل: إن شخصية واحدة أجمعت عليها آراء العراقيين في منطقة معينة قلبت معادلة الاحتلال، أما العملية الثانية فهي انتخابات الشمال حيث سمح لبعض المجاميع والأحزاب بالمشاركة فيها، ومع ذلك فإن المقص الانتخابي جعل الأمور تسير لصالح أحزاب الاستقواء الاحتلالي في شمال العراق وهما الحزبان الكرديان لبرزاني وطالباني.

أما الانتخابات القادمة فالتصور القائم أنه لابد من أن تتحالف هذه القوى والأحزاب على حساب المواطن، ومن هنا كانت زيارة المالكي للقادة الأكراد وإعطائهم الوعود بقضية كركوك وغيرها، ومن هنا أيضاً الجدل الدائر بين أطراف الائتلاف الذي رأس الحكومة لفترتين سابقتين، واضطرته المتغيرات إلى إعادة النظر في بنود هذا التحالف وتقاسم الحصص والتناحر فيمن يكون على رأس السلطة ويرأس هذا التحالف.

أما التحالف الثالث والمقصود به جبهة التوافق فلم يكن حظها موفقاً أبداً في اتخاذ قرار بالتوافق فيما بينها فضلاً عن أن تكون مؤثرة وفاعلة في

مكانها من الحكومة بغض النظر عن صحة دخولها من عدمه، فالتوافق اليوم مشروع للتشظي فهي بتشكيلاتها الثلاثة تقوم بحملة محمومة للتحالفات الجديدة بعد أن أثبتت التجربة عدم تمازج أمزجة المتوافقين على قائمة التوافق.

إن مقتربات الانتخابات القادمة تتمثل في الساحة العراقية بتقديم التنازلات للأمريكان وباقات الزهور وعقد الاتفاقيات والتشبث ببقائهم؛ أو التفجيرات التي يدفع فاتورة الدم فيها أبناء العراق سواء بتفجير الحسينيات أو اتخاذ الموصل وبعض الأقليات مسرحاً ومادةً لها؛ وتصب جميعها في ذات الهدف الانتخابي الموجه للانتخابات القادمة.

أما التحالفات الممجوجة التي لا تمتلك لوناً ولا طعماً ولا رائحة سوى المكاسب المادية والاستحواذ على مناصب تمكن من الاستقواء بالمحتل؛ فإنها تراهن على تأجيج الوضع ليبقي عليهم المحتل، فهم يبعثون برسائل تقول لا يوجد اليوم من يقدم تنازلاً أكثر منا.. وتتدرج في هذا السياق محاولات خلق العدو الوهمي ورفع راية التمثيل لمكونات معينة من أبناء العراق؛ لغرض توجيه الأصوات بالخداع والترهيب لصالح أجنداتهم.

لكن على سوداوية هذا المشهد إلا أن المراقبين من أبناء العراق من الرافضين للاحتلال لا يزالون يتتبعون أثر الضوء في آخر النفق فمهما حاول المستقوون بالمحتل من التفافات وخداع وممارسات إقصاء إلا أنهم يرون أن الأمور في العراق تسير نحو الانفراج نتيجة التناحرات التي ظهرت جلياً باقتراب الانتخابات القادمة، فمهما حاولوا من لملمة شتاتهم والبقاء عقبة في وجه القوى الرافضة للاحتلال؛ فإن بناءهم واهٍ لا يصمد أمام مساءلة الشعب العراقي؛ فالفساد والقتل والاعتقالات العشوائية وانعدام الخدمات والبنى التحتية كلها مفردات إن أطلقت واحدة منها كانت الصورة المرتسمة في الذهن لأول وهلة حكومات الاحتلال المتعاقبة.

نحو ثقافة مقاومة..
قراءة في مشروع الممانعة في العراق

جهاد بشير[1]

مما لا شك فيه أن الممانعة هي المعبرة عن المشروع السياسي للمقاومة في العراق، وتعد من المرتكزات الهامة لبسط مطالب المشروع المقاوم وتبيان أهدافه ومقاصده ووسائله، لذلك فإن الممانعة ضرورة لا غنى للمقاومة عنها كما أنها لا تستغني عن المقاومة، إذ إن التكامل الحاصل بين الاثنين يعطي الصورة الكاملة عن المشروع المقاوم من حيث توجهاته وأهدافه ومنطلقاته وغاياته ووسائله.

ولأهمية الممانعة على الصعيدين السياسي والإعلامي سيتم تناول الموضوع وفق الآتي:

١. مشروع الممانعة:

- تعريف الممانعة

---

[1] كاتب وإعلامي عراقي.

- تمثيل الممانعة من خلال قوى رفض الاحتلال، مظاهر وأهـداف:(هيئـة علماء المسلمين في العراق أنموذجاً)

٢. الممانعة والمقاومة:

- وحدة الهدف
- التكامل: (فصائل التخويل أنموذجاً)

أولاً: مشروع الممانعة

مدخل

على الرغم من أن الممانعة لا يمكن حصرها ووسائلها عند ظرف معـين ونقطة محددة بحكم عموميتها وتوافرها متى ما توافر أضدادها، إلا أن احتلال العراق وانطلاق الممانعة بعده بشكل أكثر وضوحاً وببرامج بينـة ومخطـط دقيق يعد مجالاً خصباً للدراسة ومساحة واسعة لتسليط الأضواء، ومـن هنـا فإن الحديث عن الممانعة سوف يبتعد عن العموميات ويقتصر علـى المـشهد العراقي لكي تكون الدراسة أكثر تخصصاً وتركيزاً.

الممانعة في العراق لا تعني المعارضة، إذ إن المعارضة في حقيقتهـا لا تكون إلا ضمن إطار نظام مقَر بشرعيته وهذا ليس متوافراً حاليـاً، وبالتـالي فإنها تعني من وجهة نظر عامة: الإباء والرفض والمدافعة والمقاومة للظلـم والبغي والطغيان والاستبداد، وهي الوجه الآخر المتمم للعمل المقاوم المسلح، فإذا كان الأخير يستهدف جيش الاحتلال وآلياته وقواعده فإن مشروع الممانعة يستهدف مشاريع الاحتلال وأنظمته التي أتى بها وما أقِر تحت مظلتـه مـن دستور وانتخابات واتفاقيات وحكومات انبثقت عن العمليـة الـسياسية التـي أسسها ومن ثم رعاها الاحتلال وما زال يرعاها تبعاً لمصالحه، هـذا علـى الجانب السياسي، والتصدي للثقافات المستوردة والإعلام الموجه الذي رافـق

احتلال العراق على الصعيد الإعلامي والثقافي، والصمود بوجه الغزو الفكري المتجدد والذي نشط بقوة أكثر بعد ٢٠٠٣م ورافقته وسائل جديدة تسهم في انحطاط الأخلاق وبعثرة النظام الاجتماعي وتمزيق نسيجه وتفكيك أواصر الترابط بين مكونات الشعب العراقي على الجانب الاجتماعي والأخلاقي.

ومن هنا فإن دوراً كبيراً تؤديه قوى الممانعة في ترسيخ الثوابت والحفاظ على هوية العراق ووحدة أراضيه وتماسك مكوناته، وإن لمشروعها أهمية أكبر في تحقيق التوازن المطلوب بين الأجنحة المسلحة للمقاومة العراقية المتمثلة بالفصائل على اختلاف توجهاتها وبين العمل السياسي المناهض للاحتلال ومشاريعه والرامي إلى إنهائها وإنهاء ما أُفرز عنها مثلما ترمى الفصائل إلى إنهاء الوجود العسكري الأميركي ومن حالفه في احتلال العراق.

تعريف الممانعة

يمكن تناول التعريف من وجهين:

أولاً: معنى الممانعة

الممانعة في اللغة: هي مصدر للفعل (مَانَعَ)، يُقال: مانَعَ يُمانِعُ مُمانَعَةً ــ على وزن فاعَلَ مُفاعَلة ــ فهو مُمانِعٌ[1].

والممانعة هي المُرادَعة على الكف[2]، أي المجابهة والمدافعة والمنازعة في أمر لا يرتضيه الممانِعُ فيبتغي من صاحبه الكفَّ عنه والتراجع عن فعله.

---

(1) ينظر: شرح ابن عقيل ١٣١/٢.

(2) ينظر: تاج العروس ٢٢٠/٢٢.

ومانعةُ الشيءَ ممانعة أي نازعه، والممانعة هي المحاجزة، وتمانع الرجلان أي تحاجزا، والعكس صحيح(1).

وتتولد الممانعة حين تطغى سلطة ما وتحاول أن تسلب حقاً من أهله باستخدام وسائل متعددة تعضدها بالقوة، فحين يبدأ أصحاب هذا الحق المسلوب مقاومة القوة هذه لاسترداد حقوقهم وإرجاعها فإنهم في الوقت ذاته يستخدمون وسائل وأدوات لمجابهة الوسائل التي ترافق هذه القوة فضلاً عن مهمة إضعافها، وهذا هو مبدأ الممانعة، وللممانعة معنىً أوسع يتلخص في رفض قوانين الظلم والطغيان والاستبداد في أي شكل من أشكال الحياة، والعمل على إزالتها واستبدالها بما يحقق العدل والحرية والأمن.

والممانعة تندرج ضمن سُنة التدافع التي عبّر القرآن الكريم عنها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[3]، والمتأمل في سياق الآيتين يجد أن الحديث عن سُنة التدافع يأتي مترابطاً ومتزامناً مع موضوع الجهاد وفي هذا الترابط إشارة إلى التكامل الحاصل بين مشروعي المقاومة والممانعة باعتبار أن الاثنين هما من قنواته، وعلى هذا فإن الممانعة باب من أبواب الجهاد وأداة من أدوات الدفع ووسيلة من وسائل مواجهة الباطل ومجابهته، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقاً.

---

(1) ينظر: القاموس المحيط:٦٥٣.

(2) البقرة: ٢٥١

(3) الحج: ٤٠

ثانياً: الممانعة في العراق

بعد قيام الولايات المتحدة الأميركية ومن حالفها باحتلال العراق تجاوز هذا الاحتلال المظهر العسكري والسياسي ليشمل نواحي الحياة جميعاً في هذا البلد، وقد استُخدمت مشاريع لها غايات وأهداف وتمتلك وسائل وأدوات جميعها تصب في مصلحة الاحتلال وتسعى لتحقيق ما تصبو إليه إدارات القوى المحتلة للعراق، فكانت العملية السياسية النواة الأولى لهذه المشاريع والتي انبثقت عنها جميع المشاريع الأخرى والقوانين، وعلى أساسها تشكلت الحكومات وصيغ الدستور وأبرمت الاتفاقيات، وحيث تكفلت فصائل المقاومة منذ وقت مبكر بالتصدي لجيوش الاحتلال ومقاتلتها فإن الجوانب الأخرى تحتاج إلى من يتصدى لها ويطلق يد العنان في مقارعتها على مستوى سياسي وإعلامي بالدرجة الأساس فتشكلت القوى الرافضة للاحتلال بالتزامن مع انطلاق فعاليات فصائل المقاومة، وهذه القوى لم تأتِ بشكل جزافي بل كانت وما زالت لها برامج ومخططات ومشاريع تنبع وتصب ضمن الإطار ذاته في رفض الاحتلال ومشاريعه وتتكامل مع برامج فصائل المقاومة والمشروع المقاوم، هذه البرامج ترمي إلى العديد من الأهداف المرحلية وطويلة الأمد، مثل إنهاء الاحتلال وحماية وحدة العراق ووحدة أراضيه وسيادته، والحفاظ على الثروات، وبناء بلد موحد قوي مستقل تسوده مبادئ العدالة والحرية وحقوق الإنسان والتنمية بكافة أشكالها التي تزيد الرصيد الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وصيانة المبادئ والقيم والأخلاق وضمان الحقوق الدينية والثقافية والمدنية[1]، وغير ذلك مما سيأتي ذكره أثناء الحديث عن تمثيل الممانعة.

---

(1) ينظر في هذا: وثيقة برنامج وفد القوى الوطنية المناهضة للاحتلال المقدم للأمين العام لجامعة الدول العربية في ٢٠٠٤/١٢/٨ م.

ومن هنا فإن برامج ومشاريع القوى الرافضة للاحتلال، والأدوات والوسائل المستخدمة في تنفيذ هذه البرامج، ومراحل تطبيقها، والعمل السياسي المؤازر والمساند لمشروع المقاومة ولا يتقاطع معه في نقطة أو مرحلة، جميع ذلك يعبر عن معنى الممانعة في العراق بعد الاحتلال، والقوى والتنظيمات والهيئات ووسائل الإعلام المتبنية لهذا المخطط والعاملة على تثبيته وتسديده وزيادة زخمه هي القوى الرافضة للاحتلال وهي ذاتها قوى الممانعة(١).

تمثيل الممانعة من خلال قوى رفض الاحتلال

مظاهر وأهداف (هيئة علماء المسلمين في العراق أنموذجاً):

إن لقوى الممانعة رؤىً متنوعة الوسائل ثابتة المبدأ لا تخرج عن إطار الثوابت ولا تُحَرِّك المرتكزات، إذ إن مبدأ الممانعة في حد ذاته ــ وفي ظل الظرف الحالي في العراق خاصة ــ يعد ثابتاً شرعياً وعقلياً ووطنياً وقانونياً ونقطة ارتكاز أساسية للعديد من المحاور، وحين يتم الحديث عن مظاهر الممانعة أو أهدافها فإن ذلك مرتبط ببرامج من يمثلها، وحتى تكون الصورة

(1) عند الأنظمة المتبنّية لما يسمى (النظام العالمي الجديد) أو ما يندرج تحت مسمى (العولمة) وفي طليعتها أميركا فإن مصطلح (الممانعة) هو نقيض مصطلح (الاعتدال)، والأخير تطلقه تلك الأنظمة على كل من يوافق على سياستها ويرضى بمشروعها ويستسلم لإرادتها ويسهم في تنفيذ مخططاتها سواء على مستوى الدول أو الحكومات والأنظمة أو المؤسسات، وبالتالي فإن الأنظمة أو المؤسسات التي لا تؤيد مشاريع هذه القوى العالمية وترفض الانصياع لبرامجها هي أنظمة ومؤسسات لا تتسم بالــ(اعتدال) لأنها تمانع مشاريع النظام العالمي وترفض برامجه فأُطلق على منهجيتها المستخدمة في الرفض وعليها تسمية: الممانعة، دول الممانعة، وأنظمة ممانِعة.. وعلى هذا فإنه لا ضير من استخدامنا مصطلح الممانعة في التعبير عن الرفض والمناهضة وما إلى ذلك، لكن من غير الصواب والمنطق استخدام مصطلح (الاعتدال) بهذه الصيغة التي تحاول العولمة تجميلها، بل الصواب أن نستبدل (اعتدال) الأنظمة والمؤسسات المنصاعة بـ الخنوع والتخاذل.

أكثر وضوحاً وأجلى مشهداً يمكن اختيار أنموذجاً لمن يمثل الممانعة ومن خلال برنامجه نتعرف على تلك المظاهر والأهداف، وعليه فإن اختيار هيئة علماء المسلمين يعد ذا أهمية في هذا المجال لجملة من الأسباب أهمها:

١. تعد الهيئة أبرز القوى الرافضة للاحتلال وأوسعها مساحة في العمل؛ وذلك لكبر قاعدتها الجماهيرية وانتشارها في عموم البلاد.

٢. دأبت الهيئة بصورة دائمة ومنذ أول يوم لتأسيسها.. ولا زالت على أخذ زمام المبادرة في العمل الوطني الجاد ضد الاحتلال الأميركي للعراق، وكانت ولازالت بمثابة نواة تجتمع عندها باقي قوى الممانعة.

٣. للهيئة مبدأ ثابت لا يطرأ عليه تغيير في الدعم الواضح والصريح سياسياً وإعلامياً للمقاومة والدفاع عن مشروعها، وتأكيدها على ضرورة تحديد (الإرهاب) الذي غُيّب مفهومه، وأهمية فصله عن الحق المشروع في مقاومة الاحتلال، ورؤيتها للإرهاب على أنه استهداف المدنيين والأبرياء وأنه متعدد الجهات ويجب أن يُدان بكل صوره بما فيها إرهاب الاحتلال وإرهاب السلطة، وكانت هي أول من أدانه وشجبه عبر بياناتها وتصريحاتها الواضحة.

٤. سعي الهيئة إلى إنهاء الاحتلال بصورة كاملة وبجدول زمني مكفول دولياً وإنهاء مظاهره وإفرازاته وحرصها على حل الإشكالات المترتبة على وجوده وما نتج عنه وأن ذلك كفيل باستعادة سيادة العراق الحقيقية وعودته إلى محيطه العربي والإسلامي والأسرة الدولية، وتواصلها مع الناس في توعيتهم بعدم الاستسلام للواقع المر الذي تعيشه الأمة، والوقوف بحزم أمام كل من يريد سلخ العراق من هويته التاريخية وحضارته الإسلامية.

٥. رفض الهيئة للعملية السياسية وما نتج عنها وعدم تعاطيها معهـــا؛ لأنهـــا بنيت على أسس طائفية وعرقية، واعتمدت نظام المحاصـــصة، وثبـــات الهيئة على هذا الرفض وعدم تغيير الموقف تجاه مـــا يـــسميه الاحـــتلال وحكوماته بالتغيرات والتطورات السياسية، التي يبتغون من تعبيراتهم هذه ذر الرماد في العيون.

٦. يمتاز برنامج الهيئة بالشمولية في جميع المظاهر، كمـــا تمتـــاز وســـائلها بالمواكبة فهي ترصد جميع الأحداث في العراق وخارجـــه وتعبـــر عـــن موقفها بوضوح تجاهها.

٧. الهيئة تمثل العراق أو تشارك في تمثيله فـــي العديـــد مـــن المؤســـسات الإسلامية والعربية والدولية مثل: الإتحاد العـــالمي لعلمـــاء المـــسلمين، والحملة العالمية لمقاومة العدوان، والمؤتمر القومي الإسلامي، والمـــؤتمر القومي، ورابطة الصحافة الإسلامية.. وغير ذلك، كما إن لها عدة مكاتب وفروع خارج العراق مما يتيح لها فرصـــة إيـــصال الـــصوت الممـــانع والمقاوم.

وأسباب أخرى كثيرة غير هذه مما يعطي للهيئة الأولويـــة لتخصيـــصها أنموذجاً تتجسد فيه جميع مبادئ الممانعة، هذا فضلاً عن إيداع بـــاقي القـــوى ثقتها في هيئة علماء المسلمين باعتبارها الجهد الكبير والمؤثر فـــي الـــساحة العراقية[1].

إن المتتبع لبرنامج الهيئة يدرك أنها ترمي إلى أهداف وتؤكد على جملـــة من المقاصد، منها: أنها تدعو بصورة دائمة إلى ضـــرورة إنهـــاء الاحـــتلال

---

(1) ينظر: المشروع الوطني المناهض للاحتلال والوثائق المرفقة معه عبر الموقع الرسمي لهيئة علماء المسلمين في العراق على شبكة الإنترنت، وينظر أيضاً: هيئة علماء المسلمين التعريف والمفهوم ــ فقرة "المعلومات التفصيلية عن الهيئة ومؤسساتها".

بمختلف مظاهره، وعدم الاعتراف بكل ما نتج عنه، من أجل أن يتحقق الأمن وتتحصل الحرية، وتبنى مؤسسات رصينة، وتتشكل حكومة عادلة، ويُكتب دستور دائم مؤهل لسن القوانين التي تحفظ للعراق وحدته ووحدة أراضيه ونسيجه الاجتماعي وتعزز الأخلاق والقيم وتحافظ على التركيبة السكانية، ويعاد بناء الجيش العراقي الذي يحمي البلد ويدفع عنه مخاطر الاعتداء ويكون ولاؤه للعراق، ويُبنى نظام اقتصادي لائق يحافظ على الثروات ويزيد في التنمية، وغير ذلك من مقتضيات بناء الدولة الحرة كاملة السيادة، ولأجل هذا فإن برنامج الهيئة في ضرورة تحقيق الشرعية الوطنية في كل من القوانين والحكومات والاتفاقيات وغيرها؛ مرتكز ثابت هو مبدأ لا تتنازل عنه، وحتى تتحصل الشرعية المطلوبة ينبغي أن تبنى تلك المؤسسات بعيداً عن إرادة الاحتلال ومخططاته[1]، وتلك هي نماذج عامة ملخّصة من مطالب الممانعة وأهدافها ومقاصدها.

وهيئة علماء المسلمين باعتبارها تمثل الوجه الأوسع للممانعة تعمل ضمن مجالات مهمة وكبيرة، يمكن تلخيصها من خلال الاهتمام بالقضايا التي يعيشها البلد تحت وطأة الاحتلال، والتعاون مع الأطراف الأخرى الممثلة للممانعة والتي ترفض الاحتلال وتعمل مع أنشطة وفعاليات العراقيين بمختلف أطيافهم لإعادة بناء البلد ومعالجة الواقع العراقي في ظل الاحتلال، وملء الفراغ السياسي بإدارة مستقلة تمكن مؤسسات الشعب العراقي من الأخذ بالدور الريادي في إزالة أو تقليل الأضرار التي تولدت عن الاحتلال، وممانعته ودفعه ورفض مشاريعه وإعلان ذلك بكل وسيلة متيسرة حتى إنهائه

(1) تنظر هذه المعاني وغيرها في كلمة الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق فضيلة الشيخ د. حارث الضاري في مؤتمر الوفاق العراقي في القاهرة ـ تشرين الثاني ٢٠٠٥م، فضلاً عن جلّ بيانات الأمانة العامة للهيئة وتصاريح قسم الإعلام فيها حول مجمل الأحداث.

تماماً، وتحقيق الأهداف المرسومة للوصول بالبلد إلى درجات عليا من الرقي الحضاري والإنساني والاقتصادي والسياسي وبقية المظاهر الأخرى في الحياة، ومن هذا المبدأ فإن مظاهر عمل الهيئة في تحقيق ما تصبو إليه الممانعة تبلورت في مظهرين أساسيين، أحدهما: العمل على متابعة الأحداث ومواكبة مجريات الأمور المفروضة على أبناء العراق على مستوى السياستين الداخلية والخارجية، وهذا الجزء معلن وواضح من خلال الوسائل الإعلامية بشكل عام وأدوات الإعلام الخاصة بالهيئة بشكل خاص، والآخر: العمل على بناء مشروع الهيئة في النهضة الحضارية والتغيير السياسي وتحديد الأسس والخطوط العريضة للسياسة التي يفرضها الواقع غير الطبيعي في العراق والمتمثل بالاحتلال(١). ويعنى المظهر الثاني باستمرار وديمومة الممانعة بشكلها التنظيمي ومبدئها الفكري، في حين يكون المظهر الأول من أجل إيصال فكرة الممانعة وتبيان مطالبها.

وباستعراض الأهداف والمظاهر نجد أن صورة واضحة تفرض نفسها وتعكس الوجه الثابت للممانعة بمعنى أنها ومنذ انطلقت وحتى اللحظة ثابتة على مبدأ واحد ومنهج واحد ورؤية واحدة وهذا ما يؤكد صواب رؤيتها وصدق تشخيصها(٢).

---

(1) ينظر: هيئة علماء المسلمين التعريف والمفهوم ــ فقرة " الطريقة وآلية التنفيذ ".

(2) حالة واحدة نأخذها لتوضيح الصورة وهي على سبيل المثال لا الحصر: بيان هيئة علماء المسلمين رقم (٤١) حول تشكيل الحكومة بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٩م أشار إلى أن الحكومة المشكلة بعد مجلس الحكم وهي فاقدة الشرعية سوف تورط البلد بما يحقق مصالح الأميركيين على حساب الشعب العراقي من اتفاقات أمنية وغير أمنية..الخ، وأن الهيئة ملتزمة بإعلام الشعب العراقي بأي خطأ ترتكبه الحكومة وغيرها من الحكومات بحقه وهذا ما حصل بالضبط في أواخر عام ٢٠٠٨م أي بعد أربع سنوات من تحذير الهيئة، وكان موقفها من الاتفاقية متمثلاً بالفتوى ورسالة إلى الشعب العراقي وعدد من اللقاءات الصحفية مع قيادات في الهيئة امتداداً لما طرحته في البيان (٤١) دون أن تحيد عنه.

ثانياً: الممانعة والمقاومة

انطلاقاً مما مرّ ذكره آنفاً فإن التكامل الحاصل بين المقاومة والممانعة يعطي الصورة الكاملة عن المشروع المقاوم من حيث توجهاته وأهدافه ومنطلقاته وغاياته ووسائله، وهذا الأمر هو الذي أعطى لمشروع المقاومة في العراق تميزه على المستويين الميداني والإعلامي، والميزة التي ينبغي أن يتم الاهتمام بها أكثر هي أن الترابط والتكامل بين المشروعين آخذ بالنمو والصعود والاتساع على الرغم من المحاولات المتعددة في صناعة العراقيل وعلى كافة الأصعدة أمام مشاريع رفض الاحتلال.

وحدة الهدف:

إن الحديث عن وحدة الأهداف بين الممانعة والمقاومة لا يحتاج إلى إسهاب أو تفصيل، فالميدان أوضح ذلك وما زال يوضحه، ولكن لا ضير من تسليط الأضواء على بعض المرتكزات التي تجتمع عندها الوحدة، فإنهاء الاحتلال هو المرتكز الأم الذي تنطلق منه أدبيات المقاومة وتبدأ منه الممانعة مشروعها، ولذلك فإن التصدي لمشاريعه بالعمل المنظم والإجراء المخطط له يترجم وحدة الهدف الرئيس المتمثل بتحرير العراق وتحصيل السيادة التامة وإحلال الأمن والحرية، ومثلما تبين سابقاً مطلب الممانعة ومبدؤها في التحرير فإن المقاومة ترى: أن الطريق الصحيح لإنهاء الاحتلال والتمكين لشرع الله هو جهاد العدو المحتل حتى يرضخ صاغراً أمام المجاهدين[1]، وحين يتوحد الهدف الاستراتيجي فإن الأهداف المرحلية الأخرى متوحدة بالضرورة فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن موقف المقاومة من العملية

---

(1) ينظر: لقاء موقع المسلم مع عادل الزهاوي المتحدث المأذون من المكتب الإعلامي لجيش الراشدين في العراق. وينظر أيضاً: (من نحن؟)؛ بطاقة التعريف بكتائب ثورة العشرين على موقعها الرسمي.

السياسية هو موقف الممانعة ذاته وهو عدم مشروعية العملية السياسية في ظل الاحتلال وما ينتج عنها؛ لأن المحتل سوف لن يقبل إلا بنتائج مشروعه، والقناعة التامة منطقاً وواقعاً بعدم إمكانية إجراء أي عملية سياسية حرة نزيهة مع وجود الاحتلال وتأثيراته وضغوطه[1]، وبالقياس على هذا وبمتابعة مواقف المقاومة وبرامجها ومقارنته مع برامج الممانعة نجد أنهما يلتقيان ضمن مساحة واسعة مؤطرة برؤية واحدة، وهدف واحد، عبر مشاريع يكمل بعضها بعضاً وتخلص إلى نتائج موحدة وغايات محددة.

ومن الجدير أخذه بنظر الاعتبار في هذه الجزئية أن الأهداف المشتركة بين المقاومة والممانعة تقتضي أن يكون العمل السياسي في العراق [2] جارياً وفق ما يحدده برنامج المقاومة العام، والسياسيون العاملون في هذا المضمار ينبغي عليهم التقيد بمنهجية المقاومة والتحرك ضمن إطار مشروعها وليس العكس، فالمرحلة اليوم في العراق هي مرحلة جهاد الدفع؛ والحكم فيه للميدان، والسياسي المناهض لا ينبغي له التعامل مع الأحداث إلا من وجهة النظر هذه لأن الهدف الأول والاستراتيجي المرحلي هو إنهاء الاحتلال وإزالة كافة متعلقاته، وعلى البرامج السياسية المناهضة أن تكون اللسان الناطق في نصرة المقاومة وإيضاح أهدافها والدفاع عنها والتصدي لكل محاولات تشويهها أو إضمار مشروعها، وليس للسياسي الممانع أن يجتهد في قضية خارج إطار رؤية الممانعة المكملة لرؤية المقاومة.

---

(1) ينظر: مشروع جبهة الجهاد والتغيير ـــ الفقرة الخامسة.

(2) نعني به العمل السياسي خارج العملية السياسية، أي بمعنى العمل السياسي المناهض للاحتلال.

التكامل: (فصائل التخويل[1] أنموذجاً)

منذ البداية أشرنا إلى أن العمل الممانع هو بمثابة المشروع السياسي للمقاومة، وما يمكن فهمه من خلال التعبير هذا بصورة إجمالية أن الترابط بين المشروعين لا يقتصر عند جزئية معينة أو مرحلة محددة ولذلك عبرنا عنه بأنه تكامل، إذ أن مشروعا الممانعة والمقاومة انطلقا من نقطة واحدة تجمعهما معاً والممانعة متممة لعمل المقاومة والأخيرة متعلقة بالأولى، وهذه تحصد ثماراً هنا، وتلك تجني قطافاً هناك، وجميع ذلك يودع في خانة واحدة، وإن تنوعت أساليب ووسائل كل منهما بحسب طبيعة البرنامج، وبحسب المضمار المختار لعمل كل منهما، فإن المشروعين لم ينفصلا ولا يمكنهما ذلك بحال من الأحوال، إذ إنه على فرض لو حصل ذلك وآثرت إحداهما التخلي عن الأخرى أو النأي ببرنامجها ومشروعها بعيداً عن برنامج ومشروع أختها فسيكون المآل هو الانهيار التام لكليهما، وهذا بعيد كل البعد عن الحدوث ففضلاً عن أن الافتراضات توضع لتقريب الصورة، فإن التاريخ والمرحلة ومؤشرات المستقبل جميع ذلك يقتضي أن تتكامل برامج الممانعة والمقاومة.

وأُخذت فصائل التخويل أنموذجاً في هذه الدراسة؛ لتقريب الصورة وإيضاح عملية التكامل لأن ذلك يعكس نتيجة ضمنية في إحدى مراحل المشروع الجهادي في العراق، فالتخويل جاء معبراً عن نضج مرحلي لتكامل في المشاريع ليس وليد لحظته، وجاء لإيصال المشروع المقاوم برؤيته

---

(1) فصائل التخويل: هي مجموعة من فصائل المقاومة أعلنت تخويلها للشيخ د. حارث الضاري أمين عام هيئة علماء المسلمين في العراق وأودعت ثقتها فيه لكي يمثلها في كافة المحافل ويتحدث باسمها في الأمور السياسية ذات الصلة بمشروع المقاومة، وللوقوف على التفاصيل ينظر: بيان الثقة والتخويل من على الموقع الرسمي لجبهة الجهاد والتغيير.

ونضجه وكفاءته إلى العالم أجمع، ومن أجل توحيد الخطاب السياسي لفصائل المقاومة، وهو خطوة على صعيد بلورة مشروع وطني لجميع القوى الممانعة والمناهضة للاحتلال[1]، لأجل ذلك وغيره تمت صياغة هذه النقلة النوعية المرحلية متجسدة بإعلان الفصائل بيانَ الثقة والتخويل اللذين منحتهما للشيخ الضاري[2].

إن الغاية المنشودة من التخويل يمكن إيجازها في أن يجتمع العراقيون على أمر رشد في إطار كبير جامع يحقق آمال المجاهدين في تحرير العراق من رجس الكافرين والمنافقين والأدعياء، ويعود حراً مسلماً إلى أحضان أهله من العرب والمسلمين عزيزاً بدين الإسلام مرفوع الرأس[3]، وهذا الأمر إذا ما قورنت أهدافه مع برنامج الممانعة ومشروع الجهاد نجد أنه يمثل الحصيلة النهائية لكل منهما، وهذا تعبير واسع ومجمل عن العملية التكاملية بين المشروعين، هذا من جهة أولى، ومن ثانية فإن فصائل التخويل أعلنت بوضوح بنود تخويلها الشيخ د. حارث الضاري في أن: يتحدث باسمهم ويفاوض عنهم في الأمور السياسية ذات الصلة بالمقاومة وأن ينوب عنهم في كل المحافل ليدافع عن دماء الشهداء من أبناء العراق وعن المعتقلين وعن الأعراض التي انتهكت والأموال التي هدرت[4]، وتلك صورة أكثر اتساعاً للتعبير عن حقيقة التكامل، ومن جهة ثالثة فإن موافقة الشيخ د. حارث الضاري على التخويل أعطت الشكل النهائي التام لعملية التكامل، وهذا ما

(1) وللوقوف على تفاصيل أكثر يمكن مراجعة تصريحات الأمين العام لجبهة الجهاد والتغيير لموقع "الجزيرة نت".

(2) ينظر في هذا: مقال "للتاريخ.. صفحات ينبغي أن تدوّن" لجهاد بشير منشور على موقع هيئة علماء المسلمين في العراق على شبكة الإنترنت.

(3) ينظر: بيان الثقة والتخويل.

(4) ينظر: المصدر السابق.

عبّر عنه الشيخ الضاري بقوله: "إن قبولنا هذا التخويل سيكون عوناً لنا بإذن الله تعالى على تحقيق هدفنا في أن يكون العراق لكل أبنائه، بكل مكوناتهم الدينية والمذهبية والعرقية، لا يعاني فيه أحد من تهميش أو إقصاء"[1].

ومثال آخر يعبر عن حقيقة التكامل أنه مثلما ترفض قوى الممانعة أي اتفاقيات مع الاحتلال وإداراته ولا تعترف بشرعية الحكومات المنصبة بشكل عام وفي إجراء اتفاقات طويلة أو قصيرة بشكل خاص؛ فإن قوى المقاومة ترفض كذلك ومن منطلق تكاملي أي إجراء يتم مع الاحتلال على الشاكلة نفسها، ومن ذلك فإن هيئة علماء المسلمين عدّت قيام الحكومة الحالية بإجراء اتفاقية مع إدارة الاحتلال بأنه الاستسلام الذليل للعدو المحتل، ووصفت وشخصت وبينت جملة أمور ذات أهمية تتعلق في هذا الموضوع[2]؛ ولذلك عملت قوى الممانعة على تسخير طاقاتها الإعلامية والسياسية للوقوف بوجه الاتفاقيات الباطلة والتي لا ينتفع منها سوى المحتل وحده، وبالخط الموازي فإن فصائل التخويل كان لها موقفها المبدئي والمتكامل مع موقف الممانعة في رفض إجراء أي مفاوضات مع الاحتلال تحت أي مسمى كان خاصة في الظرف الراهن، لأن طبيعة مرحلة الصراع بين المقاومة والعدو المحتل لا تستدعي التفاوض معه بل تتطلب زيادة زخم الضربات لإجباره على الإذعان لشروط المقاومة والممانعة والانسحاب من العراق[3]، ومثلما ترفض قوى الممانعة العملية السياسية وصورها وما نتج عنها في ظل الاحتلال مما أشرنا

---

(1) ينظر: بيان موافقة الشيخ د. حارث الضاري على تخويل الفصائل ــ موقع جبهة الجهاد والتغيير.

(2) ينظر: فتوى هيئة علماء المسلمين بشأن (الاتفاقية الأمنية طويلة الأمد) ــ موقع الهيئة، وينظر أيضاً مقال " رفض اتفاقية الإذعان:قراءة في فتوى هيئة علماء المسلمين " لجهاد بشير على الموقع نفسه.

(3) ينظر: تصريح إعلامي صادر عن اللجنة الموحدة لفصائل التخويل حول تصريحات بشأن التفاوض مع المحتل ــ موقع جبهة الجهاد والتغيير.

إلى أمثلة منه سابقاً؛ فإن المقاومة تقول إن العملية السياسية برمتهـا وجميـع مفاصلها من حكومة ودستور ومفوضية وغير ذلك هي من إفرازات الاحتلال لا نعترف بها ولا نقر بمشروعيتها ونطالب بزوالها مع زوال الاحتلال وإعادة بناء العراق بأيدي أبنائه المخلصين(١)، والأمثلـة الأخـرى لتبيـان التكامـل الحاصل بين المقاومة والممانعة غزيرة النفع كثيرة العدد(٢).

بقي أن نلمح إلى إشارة بديهية في السلوك معبرة في محتواها وهـي أن الأساليب التي يتبعها العدو المحتل تجاه قوى الممانعة يكررها حين يتعامل مع قوى المقاومة في تعبير ضمني يمكن استنتاجه من سلوك الاحتلال وتصرفاته يدل على أن كُلاً من المقاومة والممانعة – في نظر العـدو– جبهـة واحـدة، وعلى الرغم من أن أحداً من الفريقين ليس بحاجة إلى شهادة من العـدو ولا يعول عليها، إلا أن ذلك يزيد الأمر تأكيداً ويضفي على المشروعين ثباتاً فوق ثباتهما.

خاتمة:

خلاصة ما ينبغي إدراكه أن في العراق مشروعاً كبيراً مناهضاً لاحتلال ظالم جائر على كافة المستويات والأشكال ومظاهر الحيـاة، وحيثمـا يـدخل الاحتلال من باب فإن للمشروع الكبير مرصداً فيه. وينطلق هذا المشروع من نقطة واحدة ومبدأ واحد ورؤية واحدة ويرفع لواءين متكاملين يعطي أحـدهما الآخر ويأخذ أحدهما من الآخر، ويتمم هذا عمل ذاك ويحمي ذاك عمل هـذا ويدافع عنه، وهذان اللواءان هما ما نعبر عنهما بالمقاومة والممانعة.

---

(1) ينظر: المرجع نفسه.

(2) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: رسالة هيئة علماء المسلمين في العراق إلى المجاهدين المـرابطين على أرض العراق بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٥ م

فالمقاومة اتخذت من الجانب العسكري ميداناً لها فتشكلت الفصائل التي تعبر عن التطبيق العملي لمشروع الجهاد الذي يحافظ على كرامة وديمومة المشروع الكبير في التصدي والدفع وحماية الأرض والعرض، واتخذت الممانعة من بقية جوانب الحياة ميدانها الذي من خلاله تعبر عن الإرادة الحقيقية لمطالب المشروع الكبير المناهض للاحتلال والرامي إلى تحرير العراق وتصفية أراضيه من الدخلاء والمخربين وصناعة قواعد وأسس للحياة المثلى التي تكرم الإنسان وتعيد تأهيله لتسلم زمام أمور الخلافة التي أمره الله تعالى بها في أرضه.

المراجع:

- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.
- الجزيرة نت.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي.
- الموقع الرسمي لكتائب ثورة العشرين.
- الموقع الرسمي لجبهة الجهاد والتغيير.
- الموقع الرسمي لهيئة علماء المسلمين في العراق.
- موقع المسلم.
- هيئة علماء المسلمين التعريف والمفهوم؛ من إصدارات هيئة علماء المسلمين.
- وثيقة برنامج وفد القوى الوطنية المناهضة للاحتلال المقدم للأمين العام لجامعة الدول العربية.

واقع المرأة العراقية في زمن ديمقراطية الاحتلال الأمريكي

سكينة عبد المالك الصميدعي[1]

تمهيد

نحمد الله تعالى ونشكره على كل أحوالنا ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة لنا ولكل العالمين، وبعد...

فلاشك إن المرأة تشكل نصف المجتمع -إذا صلُحَتْ- وعلى النصف الآخر يرتكز بناء الرجل، وهذه البديهية لا يختلف عليها اثنان في المجتمع المسلم؛ ذلك أن المرأة الصالحة تتولى تربية النشء على منهج الله القويم في كل مراحل الحياة، فهي المرجع والحضن الدافئ للأبناء حتى لو بلغوا شأواً من أي منزلة في مراحل حياتهم المختلفة حيث نجد بصماتها الخيّرة في القيم التي يحملونها وينثرون عبيرها في كل زوايا المجتمع، ولنا في تاريخنا المجيد البعيد منه والقريب شواهد لا تحصى هي أمثلة حية بمثابة زاد ورواء يتزوّدن

---

[1] رئيسة رابطة الأم العراقية.

به رائدات هذه الأمة في عصرنا الذي نعيشه في زمن الديمقراطية التي تتزلف بالتحرير والانعتاق من كل فضيلة، وتدعو إلى التحلل والانسلاخ من قيم ومبادئ ديننا القويم، الذي هو بالنسبة لها الهدف الأول في العدوان واحتلال البلاد، ولما كان للمرأة المسلمة دور فاعل في صناعة الرجال ودوام المجتمعات متماسكة فقد انصبّ هدف الاحتلال عليها لتكون هي المصدر والمنطلق ثم هي الهدف الأساس في الحرب على هذا الدين القويم.

وهذا ما لمسناه واقعياً خلال السنوات الست المنصرمة حيث جنّد الاحتلال وأعوانه كل وسائل الهجوم الثقيلة منها والخفيفة، والمعلنة منها وما تستّر بوجوه وأسماء مختلفة متخذة من صناعة التمويه والتضليل والتشكيك ستاراً للهدف الذي تسعى إليه، وتعتمد في ذلك على خطة مرسومة ومدروسة مستغلة بذلك سذاجة الكثيرين من أبناء هذه الأمة الذين أغرتهم شعارات المحتل في التحرير والانفتاح على العالم الخارجي وقد صوّرت لهم طفولتهم الفكرية إنهم قد حققوا مرحلة من مراحل الحياة أكثر وردية بامتلاكهم جهاز الصحن الفضائي أو الهاتف النقال أو خدمات الشبكة العنكبوتية متجاهلين ما تمر به البلاد، وما انتاب العباد خلال هذه السنوات من دمار وتشريد وتحطيم منظّم للبنى التحتية وأهم بنية في تصورنا هي بنية القيم الإنسانية والتي أصبح العثور على حامليها حُلماً، هذه البنية هي التي يقوم عليها البناء المادي والبناء المعنوي لكل المجتمعات الإنسانية فكان من آثارها هذا الدمار الحاصل في البلد على جميع الصُعد حيث الخراب في البنيان، والخراب في الهيكلية السياسية المتمثلة بالوزارات حيث تعمل فيها معاول السرقة والرشاوى، والمحسوبية، وتولي المسؤولية لمن ليس أهلاً لها، ثم الخراب الديموغرافي المتمثل بإثارة النعرات الطائفية والعرقية، ثم بناء المشروع السياسي القائم اليوم على أساس من هذه النعرات، وهذا من أخطر معاول الهدم في صرح

مجتمعنا العراقي والذي خلّف محنة موغلة في الخطر صعبة جداً على إيجاد مخرج لها وحلول، ولولا لطف الله سبحانه، وقدره الماضي الذي لا يُرد؛ لأصبح العراق اليوم في خبر كان ولنعقت فيه غربان الظلام.

هذا الدمار والخراب الذي يعيشه بلدنا ترك بصمات حارقة في الجسد العراقي تحملّت المرأة الجزء الأكبر منه حيث إنها تواجه هذه المحنة وحيدة بعيدة عن حماية الرجل حيث قتل أبوها وزوجها وغُيِّب أخوها وأبنها إما خطفاً أو اعتقالاً أو تشريداً وهُدم دارها، أو هُجرت منه.. حُرمت من أبسط مقومات الحياة في التعليم، والعلاج، وإيجاد فرص العمل، وتوفير الخدمات الضرورية في الحياة كالماء والكهرباء والمواصلات... وغيرها كثير وكثير. ولا يُدرك حقيقة ما نقول إلا من عاش في وسط هذا الواقع المرير الذي يعيشه الشعب العراقي وتتحمّل جُلّه المرأة.

وسنبين بعض آثار المعاناة التي تتحملها المرأة العراقية على جميع المستويات، وما خفي كان أعظم.

المرأة العراقية قبل الاحتلال

من المهم جداً قبل الخوض في واقع المرأة العراقية في ظل الاحتلال أن نعرّج قليلاً على الواقع الذي كانت تعيشه قبل احتلال البلاد؛ وذلك لأهمية المرحلة والدور، ثم لبيان شخصية المرأة العراقية بالذات، ولماذا استُهدِفت كل هذا الاستهداف المُنظم الذي شمل كل مفاصل حياتها.

قالت لي مرة إحدى الأديبات من دولة عربية مجاورة: لو مرّت بلادنا بنفس المحنة التي مررتم بها في زمن الحصار وحده!! ناهيك عن القتل والتشريد لباعت نساؤنا كل شيء ولمحيت خريطة البلاد من الوطن العربي

-وتقصد الانهيار الاجتماعي وتفتت كيان الدولة- ولكن المرأة عندكم هي التي كانت سبباً مباشراً في هذا الثبات، وهذا التماسك.

وكُلُّنا نتذكر زمن محنة الحصار ودور المرأة العراقية في لملمة شعث الفقر والعَوز والجوع، وغياب المُعيل، وكُنا نقف على صور من التضحية والصبر يسجلها التاريخ بمداد من نور، حيث تفننت المرأة العراقية في تلك المرحلة في وسائل سد الفراغ والوقوف في وجه المحنة العاصفة التي خلّفها الحصار وما سبقه من حروب كادت أن تعصف بأركان البناء الاجتماعي لولا أن الله سبحانه سخّر نساء ورجال هذا البلد الأبي للتصدي لها، من هنا ندرك سر الاستهداف وبهذه القوة لهذا البلد.

المرأة العراقية في زمن الحصار الظالم كانت تعجن العجين بيدها وتخبز الخبز في بيتها، وتزرع الخضراوات في حديقتها، وتصنع أنواع الصابون لأسرتها، وتصنع من العظام المغلية شراباً يعوّض أطفالها عن حرمانهم من فائدة اللحوم التي ما كان يتذوقها إلا شريحة خاصة من أبناء هذا الشعب في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ العراق.

حدثتني إحدى الأخوات أنها كانت تضع البترول في قارورة المياه الغازية، وتسد فوهتها بعجينة التمر كي لا تحترق الفتيلة من أجل توفير دريهمات ثمن الفانوس، وقالت كنت أصنع ذلك كي أوفر لقمة العيش لأولادي.

هذه صور من الثبات والصبر أيام المحن وغيرها كثير، وهذا ما لا يريده أعداء هذه الأمة؛ ذلك لأن المرأة الواعية المدركة والتي تتحمل المسؤولية عند اشتداد المحن وتسعى إلى تثبيت أركان مجتمعها وتعويضه عما فات مما يغيض أعداء الله، فيكون ثباتها هذا بمثابة حرب موجهة لهم.

ثم جاء الاحتلال قاطعاً آلاف الأميال

يجر وراءه كل حقد دفين على هذه الأمة ومقدراتها، وتغيرت صورة الحياة، وتلونت باللون الأسود والأحمر، ووجهت السهام من أول يوم للمرأة العراقية المسلمة، فكان قرار مجلس الحكم برئاسة بريمر رقم (٣٧) بإلغاء قانون الأحوال الشخصية المعدل للعام ١٩٥٩م والذي يعتبر نبراساً لكل قوانين الأحوال الشخصية في العالم العربي، والذي راعى فسيفساء الشعب العراقي، وحبك نسيجه بما يراعي حقوق المرأة المسلمة، ويراعي حقوق المجتمع العراقي ككل، فكانت الموافقة على إلغاء هذا القانون من قبل مجلس الحكم خيانة للدين والأمة ولهذا الشعب المظلوم.

في زمن عبد الكريم قاسم سارت مظاهرات حاشدة في بغداد وكل المحافظات بسبب إلغاء فقرة من هذا القانون فيما يخص الميراث "للذكر مثل حظ الأنثيين" لأن عبد الكريم قاسم حارب شرع الله وقرر بحماقته مساواة الذكر بالأنثى بكل شيء فقامت الدنيا عليه حتى أرجع هذه الفقرة في القانون.

فكيف بنا ونحن نشهد في أول خطوة يجرؤ عليها الاحتلال بإدارة مجلسه الحاكم بإلغاء قانون الأحوال الشخصية جملة وتفصيلاً!.

وكانت من تداعياته هذه الشروخ الكبيرة والعميقة في تلاحم مكونات المجتمع العراقي، وفي تردي حقوق المرأة في ظل غياب دولة تحترم القانون.

ثم فَتَح الاحتلال منافذ وأبواب الغواية على مصراعيها

فجاء بأذنابه الذين حملهم على دباباته من الرجال والنساء ليقوموا بالدور المطلوب في تسييس فكر المرأة بما يخدم أهدافهم، ويحقق تطلعاتهم، حيث عقدت الندوات والمؤتمرات في كل أنحاء العراق تدعو المرأة إلى التحرر من سلطة الرجل وتحرضها على المطالبة بالمساواة به عن طريق مفهوم غريب

عن مفرداتنا اسمه (الجندر) وقد حضرتُ إحدى هذه الندوات في عام ٢٠٠٤م في نادي الصيد في المنصور وذُهلت مما سمعت ومما شدّ انتباهي آنـذاك أن إحدى المشاركات بالندوة ممن تحمل الجنسية الأمريكية كانت تغطـي رأسـها كناية عن الحجاب، وقد صوروا الإسلام كفترة زمنية مرت في تـاريخ هـذا الشعب واندثرت ولابد للمرأة أن تنفض عنها غبار الاندثار وتنطلق إلى آفـاق واسعة ورحبة في التحرير والانعتاق ولابد أن يكون لها دوراً فاعلاً في هـذه الفترة الزمنية المشرقة من عمر الاحتلال!!.

وانتشرت اللافتات في كل أرجاء بغداد تدعو المـرأة العراقيـة للتحـرر وكانت مضامينها تؤكد أن العراق لن تكتب له الحيـاة إلا بتحريـر المـرأة، وعوام النساء يفهمن ظواهر الأمور وينجرفن تحت طائل هذه الشعارات ظنـاً منهن أنهن سيكنّ في عالم أقرب ما يكون إلى المثالي، وهكذا دسوا السم فـي العسل وغايتهم واضحة وهي تحرير المرأة العراقيـة المسلمة مـن دينهـا وهويتها كي يسهل ابتلاع الفريسة؛ لأنهم يعلمون جيداً أن دور المرأة المسلمة في المجتمع المسلم كدور الحصن المنيع لأي بناء.

ثم شرعوا بإنشاء مراكز أسموها زوراً مراكز حماية المرأة وتدريبها على كافة الحِرف اليدوية، وكانت تحمل هذا الطابع في ظاهرها ويتم تحقيق الهدف الذي يبغونه من خلال تقديم الندوات، والتجمعات، والاحتفالات بسبب وبغيـر سبب، وهذه المراكز تتسم بالسعة في البناء والوفرة في الخـدمات، حتـى إن أغلب النساء عندما يخرجن إليها لا يتمنين الرجوع إلى بيوتهن، وحسب علمي أن مركزاً أُنشئ في منطقة الأعظمية، وأنشئ مقراً فـي منطقـة المنـصور لاستقطاب شريحة كبيرة من النساء المثقفات، وقد عُقدت نـدوة فـي جمعيـة الأخت المسلمة في سنة ٢٠٠٤م دُعيت لحضورها عقدتها إحدى البرلمانيـات حالياً حيث دعت وبقوة إلى تشجيع هذه المراكز ولابد لكل مـسلمة أن تـدخل

فيها وكما ادعت أن دخولها واجب وهو باب من أبواب الدعوة حيث إنها ستلتقي بشرائح مختلفة من أبناء هذا الشعب، فلابد من المشاركة كباب من أبواب الخير لإنقاذ ما يمكن إنقاذه!.

وأترك للقارئ الكريم التعليق!.

هذه المراكز كما ذكرت البرلمانية ستبنى في كل مناطق بغداد، ولم أتابع هذا الأمر بعدها لكني متأكدة من مركزي منطقة المنصور ومنطقة الأعظمية.

ثم توالت الأحداث

وبدأت مرحلة التصفيات بواسطة المنظمات المشبوهة التي دخلت العراق والتي تتبنى تصفية الخيّرين من أبناء هذه الأمة وفي طليعتهم روّاد الفجر.. فكانوا -كما نحسبهم- أول فوج من أفواج شهداء العراق.. فكانوا يلتقطونهم كما يُلتقط الطير من على الشجرة قصداً... من هنا بدأت المعاناة الحقيقية للمرأة في أول مراحلها حيث فقدت الأخ الحاني، أو الزوج القائم على شؤون الأسرة، أو الولد الذي هو قرة عينها، واستمرت مرحلة التصفيات والاعتقالات، والنفي، والتفجيرات، والسيّارات المفخخة التي أودت بحياة الكثير من الرجال حتى حلّت محنة تفجير المرقدين بسامراء والتي توّجت هذه المحن كلها فكانت بمثابة عاصفة حارقة للجسد العراقي هشّمت مفاصله حتى كاد أن يلفظ آخر أنفاسه لولا لطف الله سبحانه وعنايته.

هذه الأحداث وما تلاها خلّفت في المجتمع مليون أرملة بل وأكثر بكثير لأن إحصائيات الحكومة لا يُعتمد عليها في الغالب!.

كذلك تركت هذه الأحداث على أرض الواقع خمسة ملايين طفل يتيم حسب إحصائية وزارة التخطيط الحالية، وهذا يعني أن العدد أكثر.

سجون الحكومة العراقية وسجون إقليم كردستان تضم (٤٦٠٠٠٠) معتقل.

هذا فضلاً عن مصيبة التهجير والاستيلاء على المنازل بل وحرق بعضها.

كل هذه المصائب تركت إرثها للمرأة العراقية فأصبحت وإذا بها تتحمل مسؤولية الأب والأم... كالحة الوجه متشحة بالسواد لا تفكر إلا بشيء واحد وهو: كيف تعيش، وكيف يعيش أبناؤها القصّر، فبعد أن كانت عزيزة كريمة أصبح شغلها الشاغل من مطلع النهار أين تذهب؟ وماذا تعمل كي تعيل هذه الأسرة المحطّمة بسبب غياب الأب، الكثير من النساء لديهن شهادات علمية لكنهن لا تستطعن أن يجدن عملاً بسبب انتشار البطالة، مهندسات يعملن في وظائف عامة إما كاتبة في دائرة أو في مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني، الكثيرات من أصحاب الشهادات في الكيمياء والفيزياء والأحياء يعملن إما في روضات أهلية أو مدارس أهلية ابتدائية كوسيلة من وسائل الحصول على لقمة العيش وكي تحفظ ماء وجهها وأسرتها، وقد تجد لها عملاً وفي الغالب لا تجد فتضطر لطرق أبواب تتقوت منها لقمة العيش حتى لو كانت فيها شبهة، فأصبحنا ولأول مرة في تاريخ العراق أن نرى المرأة العراقية تعمل منظفة في محلات بيع الأثاث، أو في محلات بيع المواد الكهربائية تلبس (يونيفورم) خاص وتختلط برجال السوق، يتفطر قلب المسلم برؤيتها في هذا الموقع الذي كان الرجل في أيام عزها يمنعها من الوصول إليه وهو على قيد الحياة.

والكثير من النساء يطرقن أبواب الهيئات والمنظمات والجمعيات غير حكومية ساعيات لتحصيل فتات تسدّ به رمقها ورمق عائلتها التي خلّفها لها الزوج الغائب، وهنّ كثيرات جداً باستثناء التي يكفلها أهلها وعشيرتها ويقاسي

أغلب النساء الأمرين في الحصول على لقمة العيش فضلاً عن متطلبات الحياة الكثيرة كالعلاج ومصاريف المدرسة، وإن لم تتوفر لدى الأم فليس أمامها سبيل إلا ترك الطفل عرضة لنهبة الشارع وهذا ما يحصل في الغالب.

أما تكاليف العلاج فحدث ولا حرج ولا تقوى عليها هذه الشريحة، والمستشفيات الأهلية قد أقفلت أبوابها في وجه الأرامل وكلهم يسعون للكسب المادي، وكذلك أغلب العيادات الطبية لا ترحم الفقير ولا المسكين، فيضطرون لطرق أبواب الجمعيات الخيرية وهذه بالتالي هي مجرد تحصيل حاصل وهكذا تعيش الأرملة في دوّامة.

إحدى الأرامل قتل زوجها وترك لها سبعة من الأولاد أكبرهم عمره أحد عشر سنة بعد وفاة زوجها بفترة قصيرة أصيبت بمرض السرطان، فهي لا تدري أين تتوجه هل تنتبه لنفسها أم تهتم بصغارها حاولنا مراراً مع المنظمات الدولية والمحلية في الحصول على المال الكافي لعلاجها وعمل عملية استئصال الورم، وكان الجواب أن أمثال حالتها كثير، ولو تصورنا حجم المعاناة التي تعانيها هذه الأم وحدها لأدركنا حجم الضرر الذي ألحقه الاحتلال ببلادنا، أو كمثال المرأة التي يقتل زوجها ووالدها وإخوانها وتبقى شبه مشردة وبسبب صعوبة العيش لا يتحملها الأقارب والأهل لفترة طويلة فتضطر للسكن في الهياكل التي لم يكتمل بناؤها أو تجد لها مأوى في مسجد أو مدرسة وهنّ كثيرات جداً، ونحاول بجهدنا القليل أن نداوي بعض الجروح البسيطة التي لا تغني ولا تسمن من جوع، ولكنها جهد المقل ولعلنا بها نعتذر إلى الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

إحدى الحالات المأساوية التي خلفها ظلم الاحتلال هي حالة الطفلة زهراء من أهل الفلوجة والتي عانت من ويلات الضربات العنقودية والصاروخية في الحرب الثانية على الفلوجة فانقلب البيت الذي كان يؤويها ويؤوي عائلتها

المكونة من الأم والأب والإخوان إلى كومة من الأحجار اندثر تحتها كل من كان فيه وانتهت حياتهم في لحظات، وأراد الله سبحانه لهذه الطفلة أن تعيش فأخرجوها من تحت الركام كومة لحم عدا النفس يصعد وينزل.. كانت معالم وجهها شبه مختفية لا أنف والشفاه مشروخة ولا تستطيع الكلام.... بهذا الشكل استقبلتها رابطتنا تستصحبها جدتها.

اتصلنا بعدة جهات خيرية من أجل إنقاذ هذه الطفلة المسكينة إلى أن وصلتنا الجمعية الخيرية القطرية بمستشفى الشيخ حمد في قطر، وحققنا بفضل الله تعالى نجاحاً كبيراً في إنقاذ هذه الطفلة حيث أُجريت لها عدة عمليات من زرع وتجميل خلال سنتين!! وهي ترقد أغلب أيامها في المستشفى حتى عادت لا إلى طبيعتها الأولى ولكن أقرب ما تكون لها.

ليت القارئ يتدبر عظَم البلاء.. وهذه حالة واحدة.. وجدّة الطفلة زهراء أمية إلا أنها كانت عصامية واستطاعت بصبرها وتحملها أن تصل إلى ٧٠% من نجاح عملية زهراء.. فكيف لو كان أمثال زهراء آلافاً بل عشرات الآلاف، من يعينهم على تخطي مأساتهم والوقوف إلى جانبهم؟!! إذا كان الاحتلال هو القاضي والخصم وأعوانه مشغولون بتراث لم يحرصوا عليه كما تحرص الرجال فضاع منهم ولبسوا ما تبقى منه كحلل النساء وغرقوا في ملذاتهم حتى أصبح أهل البلاء الذي خلّفه الاحتلال كريشة في مهب الريح تتجاذبهم الحسرات، والعلل، وقلة الحيلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا غيض من فيض مخلفات ديمقراطية الاحتلال، وما خفي كان أعظم، والحرب مستمرة على هذا الشعب، والمطارق متعددة، ولا خلاص إلا بالثبات على مبادئ هذا الدين القويم، والتمسك به والعض عليه بالنواجذ، والنصر قادم بإذن الله تعالى "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا"

ولن يستطيعوا بإذن الله ما دامت هناك عصبة تذود عنـه وتحميـه بـالنفس والمال، "ولينصرن الله من ينصره".

فطوبى لمن أدرك طريق الحق، وتمسك به، وضحّى من أجله، وطوبى ثم طوبى للصامدين في زمن الفتن التي تموج كموج البحر، ولم تتلـوث أيـديهم حتى بغبار الاحتلال البغيض.

"بلاك ووتر".. عنوان الحرب الصليبية في العراق

السيد أبو داود[1]

تواكبت التقارير الأمريكية والغربية التي أكدت أن إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما قامت بتمديد عقد مع شركة "بلاك ووتر" لتوفير "خدمات أمنية" في العراق، رغم سوء سمعتها والجرائم التي ارتكبتها ورغم سجلها الفضائحي، تواكبت هذه التقارير مع ما كشفته تحقيقات القضاء الأمريكي نفسه، وليست تحقيقات جهات عربية أو إسلامية، والتي أثبتت تورط شركة "بلاك ووتر" في عمليات قتل وتعذيب للعراقيين، وجاءت المعلومات على لسان شاهدي عيان عملا في السابق في هذه الشركة الصليبية المتطرفة.

هذا التواكب يؤكد التناقض في الرؤى والأهداف المعلنة، وهو يؤكد أيضاً أن السياسة الأمريكية في العراق لم تتغير، رغم خطب وتصريحات أوباما التي يبدو أنها تريد التغيير الإعلامي فقط وليس التغيير على أرض الواقع في بلاد الرافدين.

---

[1] رئيس تحرير موقع (لواء الشريعة) الإلكتروني.

وبالعودة إلى القضاء الأمريكي وشركة "بلاك ووتر" نتوقف أمام ما أعلنه أحد الشاهدين أثناء التحقيقات عن تورط صاحب الشركة "إيريك برينس" في عمليات قتل للعراقيين، منها قطع رؤوس المدنيين العراقيين في عمليات قتل متعمدة، فضلاً عن جرائم الشركة في الولايات المتحدة نفسها ومنها حلقات جنس وتبادل زوجات، واستخدام أطفال في أعمال فاحشة، فضلاً عن عمليات تهريب السلاح إلى العراق، وتهريب الأموال، وتعيين أشخاص ذوي ماض مخز في كوسوفو، والسماح باستخدام ذخائر تنفجر في الجسم البشري بعد اختراقه مسببة الموت الفوري والتشويه الأكيد، وتوظيف أشخاص مهووسين بقتل المسلمين والعرب، وتعمدهم حمل ألقاب لأسماء "فرسان مالطة" رأس الحربة في الحروب الصليبية، والذين ترتبط معهم "بلاك ووتر" بعلاقات وثيقة على مستويات العقيدة الدينية والتوجه السياسي.

كما نتوقف أمام اعتراف الشاهد الآخر لمحكمة فيدرالية في ولاية فرجينيا أن صاحب الشركة ورئيسها "إيريك برينس" سمح بهذه الأفعال والتصرفات ضد العراقيين لأنه يعتبر نفسه "مسيحياً صليبياً مهمته القضاء على المسلمين وعلى الدين الإسلامي ومحوهُ من على سطح الكرة الأرضية".

ولو أن كاتباً أو سياسياً أو إعلامياً عربياً قال هذا الكلام عن هذه الشركة المشبوهة، رغم تظافر الأدلة على صحته، لانهالت عليه الاتهامات الغربية والاتهامات العربية العلمانية، واصفة إياه بالاستسلام لثقافة المؤامرة، وبإلقاء الاتهامات جزافاً بلا بينة ولا دليل، أما وقد اعترف بها العاملون الأمريكيون أنفسهم في هذه الشركة فإن الأجدر بنا أن نتفق على أن الاحتلال الأمريكي للعراق كانت له رؤية وأهداف ومداخل صليبية مؤكدة لا جدال فيها.

هذا الاتفاق سيقودنا إلى اتفاق آخر وهو أن الحرب على العراق كانت جزءاً من حرب عالمية ضد الإسلام والمسلمين، أو بالأحرى حرباً صليبية

على الإسلام والمسلمين، وبالتالي تسقط وتنتفي أية اتهامات سياسية أمريكية رددتها الولايات المتحدة لتبرير عدوانها، ويتعين أخيراً على الدول العربية والإسلامية موقفاً واستراتيجية لمواجهة هذا الخطر الداهم، الذي بدأ بأفغانستان ثم العراق ولكنه لن يتوقف حتى يهدد كل الدول العربية والإسلامية.

وقد يستغرب البعض كيف يتم محاكمة عناصر من هذه الشركة المشبوهة بالولايات المتحدة، رغم تعاونها الكامل مع الإدارة الأمريكية والبنتاجون، ولكن الاستغراب يزول حينما نعلم أن الاتهامات الموجهة للشركة لا تخص جرائمها في العراق، ولكنها تتعلق بعمليات تهريب السلاح إلى داخل العراق بشكل غير قانوني؛ إذ كانت تتم عبر طائرات تابعة للشركة كانت تحط في البلد المحتل من دون رقابة حقيقية، وتتعمد تدمير أدلة ووثائق، لكن التحقيقات في هذه التهم قادت إلى كشف جزء من الحقيقة، وتأكد للعالم أن هذه الشركة الصليبية المتطرفة تورطت في عمليات قتل غير مبرر لمئات من العراقيين فضلاً عن إصابة وجرح الآلاف، تنفيساً عن غل وحقد دفين ضد الإسلام والمسلمين ترسخ في عقول وقلوب ونفوس هؤلاء الذين تربوا على ثقافة الكراهية لكل ما يخص الإسلام الحنيف.

بدايات تكشف المهمة والأهداف

تتبع النشأة الأولى للشركة يكشف عن أهدافها ومراميها الصليبية المتطرفة، فقد تأسست شركة "بلاك ووتر" عام ١٩٩٦م على يد المليونير المسيحي "إيريك برينس" الذي عمل سابقاً في البحرية الأمريكية، والذي ينتمي إلى المحافظين الجدد والملتصق بالتيار المسيحي الصهيوني، والمعروف عن عائلته تاريخياً هذا التوجه، ووالده أحد الممولين الكبار للتيار المسيحي المتطرف، وإيريك نفسه تحول إلى الكاثوليكية ليكون أقرب إلى التصور الذي

يشكل عقيدته كأحد مقاتلي "الحرب الصليبية الجديدة"، كما ساهم إيريك بدعمه المادي في صعود تيار اليمين الديني الذي ينتمي إليه.

ثروة إيريك ساعدت في صعود شركته بسرعة كبيرة، خاصة مع امتلاكه مساحة شاسعة من الأراضي تقدر بحوالي خمسة آلاف هكتار في بلدة "مويوك" بولاية "كارولينا الشمالية" أقام عليها الشركة، وحددت "بلاك ووتر" عملها في "الالتزام بتوفير طلبات الحكومة المتوقعة من حيث الأسلحة والتدريب على النواحي الأمنية".

استطاعت "بلاك ووتر" توقيع عقود مع إدارة بيل كلينتون، لكن التحول الكبير في عمل الشركة وشهرتها كان مع وصول جورج بوش الابن إلى البيت الأبيض، وهو اليميني المتطرف الذي يتلاقى في عقيدته وأفكاره مع إيريك برينس، وجاء التحول الأكبر بعد أسبوعين من هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م، حيث أصبحت الشركة لاعباً رئيسياً في الحرب على أفغانستان وعلى العراق فيما بعد.

أبرمت الشركة العديد من العقود مع إدارة بوش وصارت خلال السنوات التالية من أكثر المستفيدين من استراتيجية "الحرب على الإرهاب" التي ابتدعها بوش الابن، وربحت حوالي بليون دولار في عقودها السرية مع الحكومة، أغلبها بالتكليف المباشر وبدون الدخول في أي عطاء أو منافسة، وخلال عشر سنوات تمكن إريك من توسعة منطقة المقر الدائم للشركة إلى سبعة آلاف هكتار، جاعلاً منها أكبر قاعدة عسكرية خاصة في العالم.

كانت "بلاك ووتر" تنمو بصورة تكاد تصل بها إلى مستوى الجيش المصغر، وأصبحت تعادل قوتها قوة جيش في دولة صغيرة بل ومتوسطة، خاصة بعد أن أصبح يعمل بها مليونان وثلاثمائة ألف فرد في جميع أنحاء العالم، وبعد أن أصبح لديها أسطول جوى يقدر بـ ٢٠ طائرة بما فيها

طائرات الهيلوكبتر المقاتلة وجهاز خاص للاستخبارات، كما أنها تقوم بتصنيع مناطيد المراقبة وتحديد الأهداف.

ولكي تدعم الشركة مكانها وسطوتها، استعانت بخدمات العديد من كبار الموظفين المقربين من إدارة بوش الابن وعينتهم في مناصب قيادية.

"الفلوجة" كشفت المستور

عندما قامت القوات الأمريكية بدخول "الفلوجة" وأخذ مركز لها في البنايات المدرسية وبعض الأبنية الرسمية الأخرى ومقرات حزب البعث في ٢٨ أبريل ٢٠٠٣م، قام بعض أهالي المدينة بتظاهرة احتجاجية على تصرفات الجنود الأمريكان من اعتقالات ومداهمات وسرقة محتويات البيوت، وانتهت هذه التظاهرة بقتل (١٧) من أهالي المدينة المشاركين في التظاهرة، أمام إحدى المدارس التي استخدمها الجيش الأمريكي كمواقع عسكرية، وكانت هذه الحادثة هي الشرارة الأولى التي أدت فيما بعد إلى تصاعد عمليات المقاومة ضد جيش الاحتلال الأمريكي وإلى معركة "الفلوجة" الأولى.

كان يوم ٣١ مارس ٢٠٠٤م يوماً مهماً في تاريخ "بلاك ووتر"، ففي هذا اليوم تعرض أربعة من جنود هذه الشركة بـ "الفلوجة" البطلة للهجوم وقتلوا، وقامت الجماهير بجر جثثهم في الشوارع، ومن هذه اللحظة حدث تحول في الحرب على العراق، حيث قامت القوات الأمريكية بعد ذلك بعدة أيام بالثأر من أبناء "الفلوجة" عن طريق محاصرة المدينة وأعملت فيها آلتها وترسانتها العسكرية، وقتلت وشردت الآلاف من أهلها، مما أشعل مقاومة عراقية شرسة استمرت في اصطياد عناصر قوات الاحتلال حتى اليوم، واستمرت المعركة عاماً كاملاً وبضعة أشهر وانتهت لصالح المقاومة، وعجزت القوات الأمريكية عن نقل جثث قتلاها.

استفادت "بلاك ووتر" من هذه الشهرة التي تحققت بفعل الأعمال القذرة للعدوان، وبفعل التغطية الإعلامية الغربية المركزة على الشركة ودورها في العراق ودورها في الحرب على "الفلوجة"، وعملت الشركة بعدها على استثمار ما حققته من شهرة، وقامت بعد ذلك بتعيين موظفين كبار مقربين من إدارة بوش الابن في مناصب مرموقة بالشركة.

وإلى جانب حادثة "الفلوجة"، فإن اسم الشركة تردد في أكثر من حادث وعمل عسكري للمقاومة، ففي نيسان/ أبريل ٢٠٠٥م نجحت المقاومة من إسقاط طائرة نقل تعود ملكيتها للشركة كانت تقل (١١) شخصاً قتلوا جميعاً، ستة منهم كانوا من حملة الجنسية الأمريكية، ثلاثة بلغاريين واثنان من فيجي، وفي ٢٣ كانون الثاني/ يناير عام ٢٠٠٦م، أسقطت المقاومة طائرة أخرى تعود ملكيتها إلى شركة "بلاك ووتر" في شارع حيفا قتل فيها خمسة أشخاص.

حادثة شارع حيفا كشفت الكثير عن طبيعة عمليات الشركة الخطرة، وتجاوز دورها لمهام توفير الأمن والحماية للشخصيات والمنشآت، وانتقالها إلى دور المشاركة الفعلية في العمليات العسكرية كبديل للقوات الأمريكية المسلحة.

ولهذا الدور فإن الشركة لا تجند الأمريكيين فقط بل إنها تجند عناصر المرتزقة من كافة أنحاء العالم، ربما من أبرز هؤلاء "الموظفين الأمنيين" الكوماندوز التشيليين الذين سبق وأن تدربوا وعملوا في الأجهزة الأمنية القمعية التابعة لحكومة الدكتاتور التشيلي السابق (أوغستو بنوشيه)، هذه العناصر تتقاضى أجوراً عالية، حيث يبلغ معدل الدخل اليومي للعاملين في هذه الشركة ما بين ٣٠٠ و ٦٠٠ دولاراً أمريكياً.

امتداد لـ "فرسان مالطا" الصليبية

في كتابه: "بلاك ووتر.. صعود أقوى جيش مرتزقة في العالم"، يشير الصحفي الأمريكي جيرمي سيكل Jeremy Scahill إلى العلاقة الوثيقة التي تجمع بين شركة "بلاك ووتر" للمرتزقة ومنظمة "فرسان مالطا" السرية، المنشقة عن "فرسان المعبد" التي تعود جذورها إلى القرن الحادي عشر (وهي من بقايا غزوات الفرنجة والصليبيين على العالم الإسلامي).

إذ تزود "فرسان مالطا" شركة "بلاك ووتر" وغيرها من شركات المرتزقة الدولية، بمجندين تحركهم الحمية الأصولية المسيحية، ليقاتلوا في الأماكن الخطرة (العربية أو الإسلامية) التي يتردد باقي المرتزقة في دخولها.

ودولة "فرسان مالطا" حقيقة قائمة ولكنها دولة اعتبارية بكل المعايير؛ فهي بلا أرض ولا حكومة ولا شعب، وتمثلها ٩٦ سفارة افتراضية حول العالم. يقع المقر الرئيسي للمنظمة في العاصمة الإيطالية روما، ويحمل اسم "مقر مالطا"، و"فرسان مالطا" نظام تاريخي ظل يحتفظ بالصفة السيادية، حتى بعد انهيار النظام ذاته وخروج الفرسان من مالطا وفقدانهم لأية قاعدة إقليمية، وتحولهم إلى مجرد هيئة خيرية، ومع هذا الوضع احتفظ الفرسان بحق إرسال بعثات دبلوماسية من جانبهم، وعلى مستوى السفراء، وهم بذلك يمثلون استثناءً فريداً في مجال العلاقات الدبلوماسية والقواعد والأعراف المنظمة لها.

وبدأ ظهور فرسان مالطا عام ١٠٧٠م، كهيئة خيرية، أسسها بعض التجار الإيطاليين، لرعاية مرضى الحجاج المسيحيين، قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، إلا أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد.

وعندما قامت الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٧م وتم الاستيلاء على القدس تم تأسيس تنظيم "رهبان مستشفى قديس القدس يوحنا" وهؤلاء بحكم

درايتهم بأحوال البلاد قدموا مساعدات قيمة للصليبيين، خاصة بعد أن تحولوا إلى نظام فرسان عسكريين.

بعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين عام ١١٨٧م على يد صلاح الدين الأيوبي هرب الفرسان الصليبيون إلى البلاد الأوروبية. وبسقوط عكا ١٢٩١م وطرد الصليبيين نهائياً من الشام اتجهت هيئات الفرسان إلى نقل نشاطها إلى ميادين أخرى؛ فاتجهوا إلى شمال أوروبا وجنوبها.

وبقيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩م وغزوها إيطاليا فقد الفرسان الصليبيون ممتلكاتهم وامتيازاتهم في فرنسا وإيطاليا وانتهى بهم الأمر بفقد مقرهم في جزيرة مالطا نفسها وطردهم منها على يد نابليون أثناء حملته على مصر عام ١٧٩٨م، ودخلوا في مرحلة من الشتات والتفرق، وذهب بعضهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية وصادف وصولهم فترة الحروب الأهلية هناك، فتحالفوا مع منظمة الكو ـ كلوكس ـ كلان الإرهابية العنصرية التي كانت تطالب في ذلك الحين بالدفاع عن المذهب الكاثوليكي وعن سيادة الرجل الأبيض ومنع مساواة المواطنين السود مع البيض في الحقوق، وتوثقت العلاقات بين المنظمتين، خاصة وأن كلتا الحركتين (الفرسان، وكوكلوكس) كانتا تركزان على العودة لأصول الدين المسيحي الكاثوليكي.

ويقدر عدد المتطوعين الذين يعملون معهم بحوالي نصف مليون شخص، منهم زهاء مائة ألف في فرنسا وحدها، ومثلهم في ألمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، وغير المتطوعين في الولايات المتحدة وحدها ألف وخمسمائة فارس، وقد انضم إلى عضويتها عدد من أصحاب الملايين خصوصاً أن نشاطهم الحالي خيري ويختص بالمستشفيات مما يغري بالتبرع لهم.

الوجه الصليبي استبان

السنوات الست للاحتلال أظهرت الوجه الصليبي له وبرهنت للعالم أجمع أن الهدف لحرب العراق ليس السلام والأمن الدوليين بل هي الأهداف الخاصة التي رسمتها الإدارة الأمريكية البروتستانتية اليمينية المتطرفة للسيطرة على العالم العربي والإسلامي، ثم تهيئة الأجواء من أجل نشر التنصير وفرض المسيحية الصهيونية وتنصير المسلمين واستخدام العراق كقاعدة لتنصير العالم الإسلامي بأكمله.

هذا الكلام ليس جزافياً بلا دليل، بل أكده برنامج في التليفزيون الألماني وأكدته مجلة "دير شبيجل" الألمانية في ٢٠٠٣/٢/٢٧م وقبل شهر من العدوان على العراق حيث أوردت أن هذه الحرب ما هي إلا "تكليف إلهي.. لمهمة تبشيرية.. للقضاء على الأشرار (وهم المسلمون) وللإعداد لما يسمى بمعركة هرمجدون، التي تهيئ للعودة الثانية للمسيح، وبالتالي فرض كلمة الله (أي الدين المسيحي الصهيوني) على العالمين العربي والإسلامي، ومن ثم العالم بأكمله، عن طريق تنصير الشعب العراقي ثم العالم العربي بأكمله، وهو المعنى الذي أوردته القناة الأولى الألمانية خلال برنامجها الأسبوعي بانوراما تحت عنوان: "المسيحية التبشيرية في العراق"، يوم ٢٤/٦/ ٢٠٠٤م مؤكدة أنه بعد الاحتلال العسكري.. "يأتي التبشير".

لماذا نتعجب من ذلك؟ فالرئيس بوش الابن نفسه اعترف بأنه يشن حرباً صليبية وتحدث عن معركة الخير ضد الشر، والعدالة الأبدية، ومحور الشر، كما أن المسيحيين المتطرفين سيطروا وما زالوا يسيطرون على دوائر القيادة في الإدارة الأمريكية، وبوش كان يهدف من كل ذلك إلى قيادة الحرب المقدسة ضد العالم الإسلامي بأكمله.. وهذا ما تجلى في العديد من التصريحات التي كان أبرزها ما قاله الجنرال "ويليام بوكين" مساعد وزير

الدفاع رامسفيلد، والذي قال: "إلهنا أكبر من إلههم، وإلهنا إله حقيقي.. بينما إلههم إله مزيف!" وهو ما أيدته بشدة الكنائس البابتيستية.

في هذا الإطار الصليبي التبشيري تم الكشف في العراق بعد سقوطه في يد الاحتلال الأمريكي عن حملات تنصيرية، وجدت العناية والدعم من المحتل الأمريكي، بل وبمشاركة المقاتلات الأمريكية نفسِها التي قامت بإلقاء المنشورات والكتب الدينية على الشعب العراقي في مناطقٍ مختلفة.

وقد دخلت أكثر من مائة منظمة تنصيرية العراق بعد الاحتلال، وأكبر هذه المنظمات: "هيئة الإرساليات الدولية"، الذراع التبشيرية للمعمدين الجنوبيين، والذين يعدون أكبر طائفة بروتستانتية في أمريكا، و"مجلس الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، ومجموعة من المعمدين الجنوبيين من ولاية نورث كارولينا، و"هيئة المعونة الأمريكية"، و"منظمة كريستيان شاريتي ورلد نيشون إنترناشونال"، ومنظمة "المجتمع الدولي للإنجيل"، ومنظمة "تعليم أمة كاملة" تعرف اختصاراً: (داون)، ومنظمة "سامرتيان بيرس"، ومنظمة "المنصرين البروتستانت".

وقد استطاع المنصّرون العاملون في العراق خلال عام واحد، أن يوزعوا مليون نسخة من الإنجيل باللغة العربية، وشرائط فيديو تجسد ميلاد المسيح وحياته، وتعليقات تدعو المسلمين للدخول في النصرانية، ومليون كراسة دعائية إنجيلية.

تصريحات القس الأمريكي والصديق الشخصي للرئيس الأمريكي بوش الابن "فرانكلين جراهام" كانت حاسمة وقاطعة حينما قال: "إننا في العراق من أجل مهمة مسيحية في المقام الأول، إننا نسعى لتنصير العراقيين، وأتمنى أن نذهب جميعاً إلى كل بلدة في العالم لنمنحهم الخلاص، وإنني لا أتخيل أن يأتي

علينا يوم نتوقف فيه عن التبشير، لأن الأمر، ببساطة، هو عرض حقيقة مهمة، وهي أن يسوع المسيح هو ابن الله).

ولم تكن مجلة النيوزويك الأمريكية مبالغة عندما جاء في صفحاتها قبيل الغزو: "بوش وأنصاره من الإنجيليين يأملون أن تكون الحرب القادمة على العراق فاتحة لنشر المسيحية في بغداد". وتنقل المجلة عن ريتش هايني من منظمة "داون" التنصيرية قوله: "لم تحظ الحركة التبشيرية الإنجيلية بفرصة جيدة منذ أكثر من عقد من الزمان مثل العراق، وإنه في مقدورنا أن نقول: إن هذه الحرب نعمة للمبشرين".

والآن وبعد كل ما سقناه من حقائق وأدلة... هل بقي منا ما زال متشككاً في أن الحرب على العراق كانت مرحلة مهمة من مراحل وسلاسل الحروب الصليبية التي بدأها الغرب الصليبي على أمتنا؟ وهل مازال بيننا من يحسن الظن بأمريكا وسياساتها في عالمنا العربي والإسلامي؟ وهل ما زال منا من لا يرى ضرورة وحتمية مواجهة هذه الهجمة الصليبية بصورة مجتمعة وبقيادات وجيوش موحدة؟.

جــذور الإرهاب

محمد رشيد[1]

لماذا هذا البحث؟!

ليس واجب هذا البحث توثيق جرائم (الإرهــاب الــسري) أو (الجــرائم الحربية) التي قامت بهــا قــوات الاحــتلال ومرتزقــة الــشركات الأمنيــة والميليشيات وفرق الموت التي نشرت في أرض العراق الفــساد والجريمــة وهي كثيرة جداً ومن الصعب إحصائها وتوثيقها في هذا البحث.

إنّ هذه الصفحات محاولة للبحث عن الجذور التاريخية للجــرائم الــسرية الغامضة التي حصلت في العراق، وأصولها الفكرية والعقائدية؛ والتي أنــشأت (ثقافة القتل غير المبرر والمفرط في الوحشية) التي يصعب علــى أي عاقــل تفهمها، والغريبة تماماً عن العقلية والثقافة العراقية، وتعــد مهــددة للأركــان الاجتماعية السائدة قبل احتلال العراق عام ٢٠٠٣م.

على أن نحاول إن شاء الله الاستمرار في بحــوث لاحقــة حــول قــادة الإرهاب الأمريكي في العالم ثم وبعون من الله سنلقي الضوء علــى بعــض

[1] كاتب ومحلل سياسي عراقي.

الجرائم التي حدثت في العراق، وللإدارة الأمريكية أصابع وبصمات واضحة فيها.

تأشيرة في المجتمع العراقي
(بين البداوة والحضارة)

يمكن أن يوصف العراقي بالمزاجية، وقد يوصف أيضا بالتقلب تبعاً لجو العراق المتقلب والمتناقض بين شتاء مفرط في البرودة، وصيف لا يطاق من الحرارة! ويمكن أن يوصف بالقسوة لكنه لم يكن وحشياً ولا دموياً (خصوصاً منهم أهل الحواضر) ولم تكن الجرائم المفرطة في القسوة والإجرام إلا من النوادر التي تهز الوجدان الاجتماعي وكانت نسبة جرائم القتل العادية أقل مما كانت عليه في الكثير من البلدان الأخرى (كانت جرائم القتل المتعمد الشائعة هي جرائم الشرف والنزاعات العشائرية والثأر في الأرياف والخلافات المالية.

أما جرائم القتل لأغراض السرقة أو التسليب فقد كانت نسبتها متدنية قياساً إلى تلك الجرائم)، وقد يقول قائل: إن ذلك كان بسبب قوة الدولة وبطشها آنذاك ولكن طبيعة المجتمع العراقي لا تؤيد ذلك؛ وتراجع نسبة القتل بسبب دوافع إجرامية خاصة هو دليل قوي على عدم شيوع عقلية القتل في الأوساط الاجتماعية العراقية، وكلنا يتذكر حجم الهلع والرفض الاجتماعي لجرائم (السفاح) (أبو طبر) الذي لم يتجاوز عدد ضحاياه تسعة ضحايا.

والحقيقة أن عقلية أهالي الكثير من المدن المهمة في العراق وعلى رأسها بغداد والموصل والبصرة والنجف وكركوك بشكل خاص عقلية (حضرية) وقد تحررت من البداوة قبل الكثير من حواضر المدن العربية المجاورة

للعراق، فالبصرة على سبيل المثال كانت ومنذ تأسيسها ميناءً مهماً جداً من موانئ المنطقة العربية، وأكبر موانئ الخليج العربي في حينه، الأمر الذي أتاح لها فرصة امتزاج الثقافات من خلال حركة السفن في موانيها المتعددة، وكذلك الشركات التجارية الأجنبية العاملة في البصرة (وكان ذلك في حينه من أهم موارد التفاعل الحضاري قبل ثورة الاتصالات والإنترنيت) ثم أزداد ذلك في تاريخ العراق الحديث بعد دخول شركات النفط الإنكليزية إلى العراق ثم الانفتاح الكبير أمام الشركات التجارية والصناعية الأجنبية (الإنكليزية والهندية والألمانية والإيرانية) لذا فقد كانت النوادي والملتقيات والاجتماعية موجودة في مدينة البصرة (نوادي شركة النفط والميناء والسكك)، وبهذا كانت البصرة حاضرة ولم تكن بادية، ولهذا أمتاز أهل البصرة بالانفتاح على الغريب والترحيب به وعدم الانغلاق، وتعاملهم الجيد والطيب مع الجميع (إضافة إلى ما هو المعروف من أن البصرة كانت في تاريخها الموغل في القدم من الحواضر العربية والإسلامية).

وكذلك بغداد (فهي حاضرة الدولة العباسية وعاصمة الخلافة والثقافة) ولقد تأثرت كثيراً بفعل كونها العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية للعراق والتي أخذت حصة الأسد من البعثات والمراكز الثقافية والحضارية والجامعات المختلفة و لم تكن في يوم.ما ذات صفات بدائية بل كانت على الدوام ضحية الهجمات والغزوات البربرية والبدائية من الخارج وكانت على الدوام طموح أهل الأرياف في الوصول إلى بغداد وهذا يعني الوصول إلى الأمان والاطمئنان.

أما مدينة النجف فقد جمعت بين أمرين مهمين ساهما في صناعة شخصيتها الاجتماعية الأول هو كون النجف مقراً لأهم مراجع الطائفة الشيعية في العالم وفيها مرقد الإمام علي عليه السلام ورضي الله عنه وكرم وجهه

وهو المزار الأول لكل شيعة العالم ويؤمه الكثير من المسلمين في العالم وهذا ما جعل النجف تستقبل الكثير من الأجناس والأعراق والثقافات وتتعامل معهم دينياً وثقافياً وتجارياً، والأمر الثاني أنها كانت من عواصم اللغة العربية منذ القدم ولها مدرستها الخاصة منذ تأسيسها وتوارثت الثقافة لتصبح في بعض الأحيان حاضرة للثقافة والشعر وتنافس بغداد في ذلك، ومنها خرج عدد من كبار الشعراء والمثقفين، وتعددت فيها المدارس العلمية والمنتديات الثقافية وتكاثرت فيها الصحف والمجلات والكتب وازدهرت فيها المطابع.

وما يقال عن البصرة من تمازج الحضارات والأقوام يمكن أن يقال على كركوك (عاصمة النفط العراقي) بل إن كركوك وبفعل نمو الصناعات النفطية فيها كانت تحتاج أكثر من البصرة إلى الخبرات العراقية فتوافد عليها العراقيون من كل مدن العراق وبالخصوص الخبراء منهم والأكاديميون، فكانت خلية للعمل والإنتاج والتمازج الاجتماعي الرائع والمثقف، كما أن تطور الوضع الاقتصادي للعاملين في شركات النفط في مدينة كركوك بفضل رواتبهم الخاصة جعلهم يتقدمون بشكل أسرع في الكثير من الأوجه الثقافية الحضارية!

ومما يدل أيضاً على وجود الانفتاح والتعايش الحضري في تلك الحواضر أنه كان لليهود دورهم الاقتصادي في البصرة كما كان للمسيحيين والصابئة في بغداد دورهم السياسي والاقتصادي المعروف، وكان للمسيحيين دورهم الاقتصادي وتميزهم في كركوك.

وكان الخوف يقبع في الطرق الخارجية البعيدة ولكنه رغم همجيته إلا أنه لم يبلغ في يوم ما أن يكون بالوحشية التي شهدها العراق أعوام الاحتلال بشكل عام وعلى وجه الخصوص عامي ٢٠٠٦م و ٢٠٠٧م.

وقد يقول قائل: (إن ليس في الأقطار الإسلامية كلها قطر يشبه العراق من حيث استفحال النزاع بين هاتين الطائفتين _السنة والشيعة_ فيه) علي الوردي ــ دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ــ ص ٢٢٨.

وهذا أمر صحيح ولا خلاف عليه ولكن المقصود بالنزاع هنا هو (النزاع الفكري أو النزاع النظري) الذي لم يتحول في يوم من الأيام إلى نزاع مسلح كما كان يحدث في بعض الأقطار الإسلامية الأخرى كالهند وباكستان.

وهذا النزاع ناتج من الاختلاط الطائفي في العراق فهو مجتمع متداخل بشكل كبير جدا ولا يوجد فيه عزل طائفي جغرافي كبير بين السنة والشيعة وهو متداخل قبليا وعشائريا ومتداخل اقتصاديا بل ومتداخل عائليا واجتماعيا مما وفر جواً من التفاعل والحوار الفكري بينهم الأمر الذي أوجد هذا النزاع الفكري لكنه لم يتطور في أي يوم من الأيام وطيلة تاريخه الحديث إلى (نزاع مسلح كما حدث في عام ٢٠٠٦ م) ولو حدث هذا لتحطمت البنية الاجتماعية والاقتصادية في العراق بل على العكس تماماً فإن الكثير من النزاعات العشائرية اتخذت منحى التعصب العشائري في غالب الأحيان على حساب الانتماء الطائفي؛ وكانت النزاعات القبلية والاقتصادية منتشرة في الكثير من المدن والقرى والبوادي العراقية (نزاعات المياه والأراضي الزراعية والمراعي) وعلى عكس النزاعات الطائفية أتسمت هذه النزاعات بالعنف المسلح في الكثير من الأحيان.

والحقيقة أن هذا النزاع الطائفي الفكري في أحد صوره مؤشر لوعي المجتمع وتطوره ومدى تغلغل هذا الفكر في حياة الإنسان ؛ فكل نشاط فكري غير تقليدي هو حاصل نضوج حضاري واجتماعي والعكس صحيح أيضاً كما أنه مؤشر من مؤشرات التحرر الفكري وعدم الانغلاق فالمجتمع العراقي

بشكل عام والحواضر منه بشكل خاص كان ينزع إلى التحرر والأتباع بــدلاً من التقليد والانغلاق.

ويمكن أن نشاهد صورا كثيرة لهذا التنازع الفكري الذي يكاد أن يكــون سمة اجتماعية في العراق من خلال تعدد الأحزاب (حتى فــي حــال وحــدة مراجعها الفكرية والعقائدية) و القيادات السياسية وتعدد المرجعيــات الدينيــة والعشائرية و الاجتماعية.

وكذلك نزاعات المناطقية بين بعض المدن مثلاً على الرغم من أنهم مــن أصول واحدة، ونجد أيضا التنافس والتفاخر في مستوى التقدم والتــأخر التــي يعبر عنها بإعطاء صفات عن أهالي بعض المدن بحيث تكون حــديثا شــعبيا متداولا بين الناس ولكنه لا يرقى إلى أن يكون له مكان في الأحاديث العلنية.. والغريب والطريف في الوقت عينه أن الذين يتناقلون تلك المبالغات والنكــات والقصص هم أنفسهم المعنيون بها (وقد يكونون من أهم مخترعيها) ولكــنهم تناقلوها بلسان السخرية وروح الدعابة ولم تنتقل في يوم من الأيام إلى ســاحة الصراع المسلح.

المهم أن النزاع الطائفي موجود في المجتمع العراقي لكنه كان في شــكله الفكري والنظري فقط ولم يكن نزاعا مسلحا بل على العكــس كانــت هنــاك الكثير من ظواهر الاختلاط الطائفي في بعض مناطق العراق وبغــداد منهــا على وجه التحديد ففي منطقة كـــ (باب الشيخ عبد القادر الكيلاني) مثلاً كــان السنة يشاركون الشيعة في مراسيم عزاء الحسين وفــي المواكــب الخاصــة بمناطقهم وكذلك يتواجد الشيعة في ليالي الخمــيس فــي الحــضرة القادريــة ويشاركونهم في المدائح الصوفية. وكذلك نرى ما يشبه ذلك بــين الأعظميــة والكاظمية.. ونشهده في كل المحافظات التي يتواجد فيها الشيعة والسنة معاً.

ما الذي جرى لتتحول بغداد عاصمة الثقافة والحضارة إلى مجزرة للقتل الوحشي وتسود فيها ثقافة القتل والتخلف والهمجية!.

هناك أمر طارئ وهناك عناصر خارجية لا تمت إلى حاضرة بغداد أو البصرة أو النجف أو كركوك هي التي غذت هذا التحول الغريب الذي أستطاع الحس الحضاري العراقي أن يتجاوزه بسرعة بعد أن تحول وبفعل ((تفكير جمعي مخلوق طارئ)) في فترة ما (فترة فقدان الوعي) إلى (أداة) بيد قوى وأجهزة خارجية عملت على استخدامه في قتل نفسه وتحريف ماضيه واستئصال مستقبله!.

هذا فضلاً عن تميز المجتمع العراقي عن المجتمعات التي تجاوره من (التمازج العرقي والمذهبي) اجتماعياً وأسرياً ومناطقياً واقتصادياً بشكل لا نجد له نظيراً في المجتمعات الأخرى المنعزلة طائفياً إلى حد كبير ومن النادر (على سبيل المثال) أن يتزوج السني شيعية أو بالعكس في بعض البلدان المجاورة للعراق، بينما يعد هذا من الأمور المعتادة في المجتمع العراقي وعلى وجه الخصوص قبل الاحتلال، فضلاً عن التداخل والتمازج العشائري والأسري بين المذهبين إلى حد لا يمكن فصله ولعل هذا جزء من ناتج التفكير الحضري المترسخ في الذهنية العراقية التي اهتز برهة من الوقت أمام (المستعمر) الأمريكي.

أن ما حدث بعد احتلال العراق من جرائم (قتل على الهوية والاسم والمجازر الجماعية والقتل الطائفي والقتل العشوائي والقتل بدوافع السرقة والتسليب والاغتيالات السياسية والقتل بالتعذيب الوحشي السادي وتقطيع الأوصال وتثقيب الأجسام وقتل الأطفال وصغار السن والنساء والشيوخ والعلماء والأطباء واستسهال التعذيب والاغتصاب والقتل الاستعراضي وإطلاق الكلاب المفترسة على البشر وتأجيج الصراع والتمايز العرقي

والطائفي ومن ثم الحزبي وتهديد البنية الاجتماعية وثوابتها بالانهيار!!، والتغريب والاجتثاث في الداخل والتهجير والغربة في الخارج والداخل ومن ثم انهيار البنية الاجتماعية والأمن والسلام الاجتماعيين) كل ذلك كان غريباً جداً على الشخصية العراقية وبعيداً عن طبيعة المجتمع العراقي، ولكن كيف حدث هذا؟.

مما لاشك فيه أن هناك بعض العوامل قد ساعدت على حدوث هذا (الانهيار) الاجتماعي وليس (الانقلاب) الاجتماعي، وقد تأتي هذه بفعل عوامل عديدة منها ما هو(داخلي) وقد يكون سياسياً أو اقتصادياً، ومنها ما هو (نفسي) متوقع في كل البلدان التي تهزم في الحروب؛ ولكن لهذه الجريمة بلا أدنى شك عوامل خارجية تولت اقتناص كل عوامل الخلل الداخلي وكل الاهتزازات التي رافقت ظروف احتلال العراق وعمقت كل نقاط الاختلاف (التي لا يمكن أن يخلو منها أي مجتمع وتزداد بفعل التطور الحضاري لتلك المجتمعات والتي قد تكون (أذا ما أحسن إعدادها واستغلالها بالشكل الجيد) عناصر إيجابية تساهم في تقوية الناتج الاقتصادي و المنتج الإجمالي الثقافي والفلكلوري للمجتمع بحيث تصبح عاملاً مهماً من عوامل التطور.

إن أهم العوامل التي (خلقت) هذا الانهيار الاجتماعي وزرعت (نوعاً غريب من التفكير الإجرامي) داخل المجتمع العراقي هي (العوامل الخارجية) التي كان لها جذورها التاريخية الخارجية التي تؤكد ما ذهبنا إليه، وأقصد هنا (الجرائم الغامضة والسرية) التي ارتكبت بعد احتلال العراق والتي ألقيت أعباء الكثير منها على العراقيين فيما افتضح قسم كبير منها فيما بعد وتبين أنها من فعل غيرهم، تلك الجرائم التي اتصفت بالعنف المفرط غير المبرر والهمجي المتخلف، واستهدفت الوحدة الوطنية العراقية، وعملت على إحداث شرخ اجتماعي كبير في المجتمع العراقي.

إضافة إلى الجرائم (العلنية) التي أرتكبها (الجنود الأمريكان وفرق وشركات الحماية الأمريكية المختلفة، ومنها مرتزقة بلاك ووتر) وبمنتهى الرعونة والهمجية المتخلفة التي تحمل نفس البصمة ونفس (الثقافة)، وهنا أريد أن أذكر أنني لا أتكلم هنا عن (جرائم الحرب المباشرة التي أرتكبها الجيش الأمريكي أثناء الاشتباكات المباشرة سواء قبل وأثناء وبعد احتلال العراق وسواء كانت تلك الاشتباكات مع الجيش العراقي النظامي الرسمي أو مع عناصر المقاومة الشعبية)؛ ولكن الذي أريد أن أقوله: إن الاحتلال ارتكب (جريمة كبرى) في حق العراقيين تتجاوز حتى فلسفة (الصدمة والرعب) الرعناء و(الفوضى الخلاقة) المتخلفة.

لا شك بأن هناك جريمة واضحة حدثت بحق العراقيين ووحدتهم وما زال الجاني والمحرض والفاعل الحقيقي فيها غير واضح لدى الكثيرين وهو ما نعمل على كشفه؛ لتبرئة الشعب العراقي من تلك الجريمة، ولإلقاء (بعض الضوء) على المجرم الحقيقي سنبحث عن (جذور الجريمة) هذه لنكشف دوافع مرتكبيها واستحضار (صحيفة أعمال) المجرمين المتوحشين وسوابقهم الإجرامية التي تم اكتشافها لحد الآن ونحن على يقين مطلق أن ما خفي كان أعظم!.

الجريمة

بعد احتلال العراق وبفترة وجيزة ومنذ أواسط عام ٢٠٠٤م بدأ الشعب العراقي يرى ويسمع عن ظهور جثث مجهولة الهوية قسم كبير منها تعرض إلى تعذيب مريع قبل القتل، وقسم آخر ممزقة الأوصال، وأخرى بلا رأس، ثم تبعتها اغتيالات قسم منها ذات طابع سياسي وقسم أخر غير معروف الدوافع!، وبدأت تتسع دائرة القتل الغامض والجريمة المنظمة لتتحول مناطق

معينة إلى مناطق موت (تعجز أمريكيا بكل إمكانياتها العسكرية أن توفر الأمن في مناطق صغيرة جداً بصفتها دولة احتلال) ثم بدأت بالتشكل والوضوح تشكيلات وفرق موت ترتكب جرائمها على أسس طائفية وبطريقة واحدة تقريباً (رافقها ومنذ البداية خطاب طائفي تحريضي واضح المعالم والخطوط وعملية سياسية بنيت على أسس طائفية وعرقية وبدأت أعادة تشكيل الدولة وبالخصوص الجيش والقوى الأمنية على نفس الأسس الطائفية و العرقية) ثم وبعد تفجير المرقدين اندلعت أعمال عنف أشبه ما تكون بالحرب الطائفية، تم قتل الكثير من الأبرياء فيها، واستغلت تلك الأحداث سياسياً وأمنياً وحكومياً وفي الوقت الذي كان يقتل الناس في الشوارع من مختلف الطوائف والأعراق كان بعض السياسيين يرسخون وجودهم السياسي ومصالح أحزابهم الضيقة ويمدون تغلغلهم المريب في أجهزة الدولة، وكذلك استغلت إيران تلك الظروف بكل بشاعة ولكن بحنكة عالية وحذر كبير.

وحدثت الجريمة الكبرى التي هزت أركان المجتمع العراقي وقسمته عرقياً وطائفياً وجغرافياً ولم تقف الحكومة أمام هذه الجريمة إن لم تكن ساهمت مع المجرمين في صناعتها وتعميق آثارها وكذلك فعلت إيران؛ فكانت النتيجة (قتل على الهوية والاسم والمجازر الجماعية والقتل الطائفي والقتل العشوائي والاغتيالات السياسية والقتل بالتعذيب الوحشي السادي وتقطيع الأوصال وتثقيب الأجسام وقتل الأطفال وصغار السن والنساء والشيوخ والعلماء والأطباء واستسهال التعذيب والاغتصاب والقتل الاستعراضي وإطلاق الكلاب المفترسة على البشر وتأجيج الصراع والتمايز العرقي والطائفي ومن ثم الحزبي وتهديد البنية الاجتماعية وثوابتها بالانهيار!، والتغريب والاجتثاث في الداخل والتهجير والغربة في الخارج والداخل والعزل الطائفي المناطقي والعزل الكونكريتي ومن ثم انهيار البنية الاجتماعية

والأمن والسلام الاجتماعيين)، وأصبح الضابط الوحيد المعول عليه لتحقيق السلام الاجتماعي أجهزة أمن متخلفة ومخترقة وغير مهنية، وقسم منها موغل في الإجرام والقتل والسرقة إلى حد بعيد، وأصبح القتل والموت تابعاً عادياً في حياة المواطن ومتوقعاً في كل لحظة ومن أكثر من جهة، وكانت القوات الأمريكية على رأس فرق الموت المنتشرة في تفاصيل حياة المواطن، لذا فهم يبتعدون عنهم وهم خائفون أن يتم قتلهم بلا أي مبرر معقول!.

وتبعا لثقافة الموت في العراق الجديد أدخلت مصطلحات غريبة جداً على سمع المواطن العراقي وترسخت شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مصطلحات يومية يعيشها المواطن: كـ (فرق الموت؛ الفرق القذرة؛ العمليات القذرة؛ الميليشيات؛ المفخخات؛ الدريل (المثقاب الكهربائي)؛ اللاصقات (القنابل اللاصقة)؛ شركات الحماية؛ الإرهابيين؛ القاعدة؛ التنظيم؛ المحاكم الشرعية؛ الطائفية؛ منطقة سنية؛ منطقة شيعية؛ منطقة كردية؛ جثث مجهولة الهوية؛ مكتب الإمام؛ المكاتب الشرعية؛ المداهمات؛ فرقة التعذيب؛ فرقة العقرب؛ صولة الفرسان؛...الخ). ورافقت ذلك مصطلحات سياسية لها علاقة وثيقة جداً بتلك المصطلحات كـ(الطائفية السياسية؛ المحاصصة الحزبية والطائفية والعرقية؛ الاستحقاقات الانتخابية؛ التكتل الشيعي؛ التكتل السني؛ التكتل الكردي؛...الخ) وكان أغلب السياسيون يرددون تلك المصطلحات كالببغاوات دون حتى التفكير بمدى خطورتها على الكيان الاجتماعي أو بمراجعتها والتدقيق في معانيها وبسبب جهل الكثيرون منهم بالسياسة فقد تلقفوها كمسلّمات لا نقاش فيها!.

المستفيدون

هناك الكثير من أطراف الصراع في العراق كانت لها مصلحة في هــذه الجريمة الكبيرة، وهذه الأطراف المستفيدة هي: الأمريكيون الــذين اســتفادوا مما جرى واستطاعوا تقسيم العراقيين وتفرقتهم، كي تسهل الــسيطرة علــيهم كما استطاعوا بفعل هذه السياسة تحييد قسم كبير من المجتمع العراقــي فــي قضية الاحتلال التي يصعب أنْ يقف الإنسان محايداً فيهــا، كمــا اســتفادت الأحزاب التي استثمرت مظلة الاحتلال وأسقطت النظام التي عجــزت عــن إسقاطه بغير التدخل الأمريكي المباشر، واستلمت السلطة على طبق من ذهب وبرعاية أمريكية خاصة.

وبدلاً من أن تسعى تلك الأحزاب في مشروع وطنــي جــامع وتأســس (سلطة) وطنية جامعة تحقق الأمن والاستقلال والوحدة والقوة للبلــد وتفعيــل الهوية الوطنية والانتماء الوطني انخرطت طواعية في المــشروع الــسياسي الأميركي، ولم تكن تملك غير ذلك فذهبت في طائفيتها وعرقيتها أبعــد ممــا أراد المحتلون!! وأسقط الطائفيون المشروع الإســلامي وأســقط الوطنيــون المشروع القومي!.

واستفادت كذلك بعض الدول الإقليمية وعلى رأسها إيران من إضــعاف العراق(العدو التقليدي) وتقسيمه طائفياً وعرقياً وهو أسرع طريــق لتقــسيمه جغرافياً. كما استفادت إسرائيل من إضعاف العراق وهي جادة في سعيها إلى تقسيمه؛ حيث أن من صميم مصلحتها أن تدخل المنطقة العربية والخليج على وجه التحديد في صراعات إقليمية وطائفية.

ومن المستفيدين بعد ذلك شركات الحماية والمرتزقــة التــي اســتطاعت الحصول على عقود الحماية بفضل الانهيار الأمنــي وشــيوع ثقافــة القتــل

والاستئصال والاغتيالات؛ حيث كانت عقود شركة بلاك ووتر وحدها داخل العراق ما يقارب ٦٠٠ مليون دولار عام ٢٠٠٦م، بعدما كان رأسمالها دون المليون قبل ٢٠٠١/١١/٩م.

ولا يخفى أن كثيراً من القتلة والمجرمين والعصابات وفرق الموت والمأجورين والمرضى الطائفيين والمتعصبين داخل العراق؛ قد انتفعوا من شيوع هذه الثقافة وانتشار هذه الجرائم التي كانوا من المساهمين فيها.

أما الخاسر الأول والأكبر من كل ما تقدم وكل ما جرى وفي (هذه الجريمة بالذات من جرائم الاحتلال)؛ فقد كان الشعب العراقي، الذي دفع ثمناً غالياً بسبب هذه الجرائم من دمه وأرواحه ومستقبله؛ وتربص الموت بالشعب العراقي (بكل طوائفه وأعراقه وأديانه) في الطرق والأسواق والمساجد والكنائس والمدارس وفي كل زاوية من زوايا الحياة.

المخطط

بعد أن تبينت لنا حدود الجريمة والضحية وحددنا الدوافع والمستفيدين منها فمن هو المخطط لها ؟ وهل للجاني سوابق وهل للجريمة من جذور؟.

مما لاشك فيه أن الإدارة الأمريكية التي احتلت العراق عام ٢٠٠٣م ودمرت كل بنيته التحتية وسيطرت عليه عسكرياً كانت تواجه هلعاً شديداً من احتمال وقوف الشعب العراقي أمام مخططاتها التي احتلت العراق من أجلها؛ كما إن (شبح ثورة العشرين) كان ماثلاً أمام تلك الإدارة فكان من أهم (أهدافها) تحجيم دور الشعب العراقي وتحديد حركته الوطنية وإلهائه في معارك وحروب داخلية طائفية وعرقية وصراعات داخلية ومصلحية وسياسية وحزبية وتقسيمه وتجزئته وتفتيته وطمس هويته الوطنية وكل عوامل وحدته

ومصالحه الوطنية وخلق تقاتل اجتماعي غير مبرر ومسخ تاريخه الــوطني، وكانت للإدارة الأمريكية (وسائلها وأدواتها المتعددة) السرية في تحقيق هــذا الهدف.

وقد يبدو _الآن_ أن من المستحيل تماماً معرفــة كــل أدوات الجريمــة المنظمة في العراق التي استخدمتها أمريكا ولكن هنــاك جهــازان أمريكيــان خالصان معروفان (مكشوفان) في العراق وهما:

❖ قيادة العمليات المشتركة الخاصة

أنشأ هذه القيادة الرئيس الأمريكي السابق، جورج بوش، بإشــراف نائبــه ديك تشيني، لملاحقة وتصفية أهداف ذات قيمة عالية في عشرات الدول (منها العراق)، دون علم أو إشراف الكونجرس، والتــي كــشف عنهــا الــصحفي الأمريكي المعروف (سيمور هيرش) في مقابلة تلفزيونية مع شبكة (ســي أن أن) الإخبارية الأمريكية وبحسب هيرش، خولت إدارة بوش الوحدة الــسرية، وتدعى (قيادة العمليات المشتركة الخاصة) تحت إشراف تــشيني المباشــر ــ تفويضاً مباشراً لتصفية أفراد استناداً إلى معلومــات أســتخباراتية أمريكيــة، وأضاف: (الفكرة هي أن تتحرك الفرقة دون قيود تقديم تقــارير للكــونجرس، الذي علم القليل عن هذه المجموعة، ودون جلسات استماع، حتى السرية منها، وهي تتجول بتفويض من الرئيس للتوجه لأي دولة دون إعلام رئيس جهــاز الاستخبارات الأمريكية أو السفير الأمريكي فيها).

وكان هذا الصحفي قد كشف عن هذه (الوحدة) لأول مرة خلال كلمة لــه أمام جامعة مينسوتا في العاشر من شهر يوليــو مــن هــذه الــسنة ٢٠٠٩م، مستخدماً تعبير (جناح اغتيالات).

وأضاف: إدارة بوش فوضت قوات في مواقــع الحــدث اســتناداً إلــى معلومات إستخباراتية اعتقدوا أنها سليمة، ويمكنني القول إن هذا لم يكن واقــع

الحال دائماً.. فبعضها اتخذ بعداً دموياً للغاية، ولم يكشف (سيمور هيرش) عن المصادر التي استقى منها معلوماته[1].

وفى المقابل، نفى مساعد تشيني (جون هاناه) في حديث لشبكة (سي أن أن) تلك الاتهامات قائلاً: ليست حقيقية.. وأعتقد أن هيرش أبتعد قليلاً عن المزاعم الأصلية التي أدلى بها مسبقاً وأشار فيها إلى المجموعة كـ (جناح اغتيالات).

إلا أن هاناه زاد الطين بلة معترفاً اعترافاً رسمياً بأن (للجيش الأمريكي في مناطق حرب كالعراق وأفغانستان وباكستان تفويضاً "بملاحقة واعتقال وقتل الأعداء" ويشمل ذلك قياداتهم).

وقالت (فرانسيس تاونسند) مساعدة تشيني مدافعة عنه: "إن لائحة الأهداف الإرهابية المجازة -من يمكن اغتيالهم دون محاكمة- لا تتعدى المائة" دون أن تذكر من وضع تلك القائمة؟ وكيف؟ وهل إن تلك القائمة قابلة للزيادة كما هي قابلة النقصان طبعاً.

وسبق ونشرت تقارير في الصحافة الأمريكية والبريطانية منذ عام ٢٠٠٣م كشفت عن استخدام القوات الأمريكية تكتيكات الجيش الإسرائيلي ومستشارين إسرائيليين بغرض التدريب والاستشارات لتشكيل فرقة اغتيالات في العراق، ونشرت صحيفة "الجارديان" في عام ٢٠٠٣م أن إسرائيل أرسلت عناصر حرب عصابات مدنية إلى "حصن براغ" في ولاية كارولينا الشمالية -مقر القوات الخاصة الأمريكية- من اجل تدريب قوات خاصة في البحرية الأمريكية على القيام بعمليات نوعية لاستهداف قيادات في العراق.

---

[1] ٣١ مارس ــ آذار ٢٠٠٩م الوكالات، صحيفة الشروق ١أبريل ــ نيسان ٢٠٠٩م، وموقع إسلام أون لاين في نفس التأريخ.

وذكرت الصحيفة أن الجيش الأمريكي أراد الاستفادة من خبرة إسرائيل في تشكيل ما يعرف بـ "وحدة المستعربين" ليعملوا وسط الناس بشكل عادي في زى عربي محلى مع تحدثهم اللغة العربية بطلاقة.

وكان هيرش قد أشار في تقرير سابق له عام ٢٠٠٣م بعنوان (تحريك وإزالة الأهداف) في مجلة (نيويوركر) إلى إستراتيجية "فرق الاغتيالات" الأمريكية والتي في الغالب، نسخة مطابقة لحملات الاغتيالات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، وقال: إن الإستراتيجية وضعت في عهد وزير الدفاع الأمريكي الأسبق دونالد رامسفيلد ودفع بنائبه لشئون المخابرات ستيفن كومبون ليصبح مشاركا بعمق في تطوير أسلوب جديد للقوات الخاصة (فرق الاغتيالات) حسبما ذكر هيرش[1].

أما الأداة الثانية في يد الإدارة الإمريكية فقد كانت أقل سرية وأكثر مرونة ولكنها لازالت غامضة إيضاً تلك هي:

❖ الشركات الأمنية

حيث تقدم هذه الشركات خدمات أمنية وعسكرية خاصة أي أنها شركات مرتزقة، وإن كانت (شركة بلاك ووتر) تقف في مقدمة تلك الشركات العاملة في العراق وأكبرها فإلى جانب بلاك ووتر تعمل حالياً عشرات الشركات الأمنية الخاصة غالبيتها غربية في العراق، وتتعرض بانتظام لهجمات تبقى عمليا طي الكتمان، وأبرز هذه الشركات آرمر غروب ودينكوربس وأيجيس ديفنس سرفيسز، وهي تضم في صفوفها عشرات آلاف المرتزقة لتشكل ثاني

---

[1] هذه المعلومات التي أدلى بها سيمور هيرش منقولة عن صحيفة الشروق في عددها الصادر بتاريخ الأول من نيسان ٢٠٠٩م، وموقع (إسلام اون لاين) نقلاً عن وكالات الإنباء بتاريخ ٣١ آذار-مارس ٢٠٠٩م.

قوة أجنبية في العراق بعد الجيش الأميركي[1].

ولم تكن بلاك ووتر الوحيدة وقد لا تكون أكثرها بشاعة أو على الأقل فإن باقي الشركات لا تقل بشاعة عن (بلاك ووتر) وأغلبها لم يسلط عليه الضوء كما سلط على هذه الشركة، ومنها: (شركتان أمنيتان أخريان لهما وجود بحجم صغير بالعراق، وهما "دينكورب الدولية" و "تريبل كانبوي" والتي تعاقدت معهما الإدارة الأمريكية لتولي المهمة الأمنية هناك، خلفاً لبلاك ووتر بعد انتهاء العقد في أوائل مايو/ أيار ٢٠٠٩م).

وسنتناول في ما تبقى من هذا البحث الجذور والامتدادات التاريخية لتلك العقلية الإجرامية السادية المفرطة في الجريمة والقتل ونتطرق إلى بعض المنطلقات النظرية والدوافع لتلك العقلية.

الجـــذور

١٠٧٠م فرسان مالطا

عام ١٠٧٠م بدأ ظهور (فرسان مالطة) كهيئة خيرية أسسها بعض التجار الإيطاليين لرعاية مرضى الحجاج المسيحيين في مستشفى قديس القدس يوحنا قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، وقد أطلق عليهم اسم (فرسان المستشفى) وتحور الاسم فيما بعد إلى (الهوسبتاليين) تمييزاً لهم عن هيئات الفرسان التي كانت موجودة في القدس آنذاك مثل (فرسان المعبد) و (الفرسان التيوتون)، والمؤكد أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد.

[1] نقلاً عن وكالة الأخبار الإسلامية ٢٣ آيار- مايو ٢٠٠٧م.

في ١٥ فبراير ١١١٣م اعترف البابا باسكال الثاني بتنظيم (الهوسبتاليين) رسمياً ودخلوا تحت لواء النظام الديرى البندكتى المعروف في غرب أوروبا، وصاروا يتبعون بابا روما وهكذا أصبح نظامهم يلقى مساندة من جهتين: تجار أمالفي وحكام البروفانس في فرنسا.

وعندما قامت الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٧م وتم الاستيلاء على القدس تحولوا إلى نظام فرسان عسكريين وأعيد تشكيل التنظيم على أساس عسكري مسلح باركه البابا أنوست الثانى ١١٣٠م، حتى قيل إن الفضل في بقاء مدينة القدس في يد الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى فرسان الهوسبتاليين بجانب فرسان المعبد، وقد كان تشكيل تنظيم الهوسبتاليين ينقسم إلى ثلاث فئات:

- فرسان العدل الذين هم في الأصل نبلاء أصبحوا فرساناً.
- القساوسة الذين يقومون بتلبية الاحتياجات الروحية للتنظيم.
- إخوان الخدمة وهم الذين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم.

فضلاً عن الأعضاء الشرفيين ويسمون الجوادين الذين يساهمون بتقديم الأموال والأملاك للتنظيم وبفضل عوائد هذه الأملاك وكذلك الهبات والإعانات حيث كان (عُشر) دخل كنائس بيت المقدس مخصصاً لمساعدة فرسان القديس يوحنا؛ ومن هنا أخذ نفوذ الفرسان ينمو ويتطور حتى أصبحوا أشبه بكنيسة داخل الكنيسة.

بعد هزيمة الصليبيين في موقعة حطين عام ١١٨٧م على يد صلاح الدين الأيوبي هرب الفرسان الصليبيون إلى البلاد الأوروبية. وانتهى المقام بالهوسبتاليين في قبرص واستمروا في مناوشة المسلمين عن طريق الرحلات البحرية ومارسوا أعمال القرصنة ضد سفن المسلمين واستطاعوا فيما بعد احتلال رودس وأخذها من العرب المسلمين عام ١٣٠٨م – ١٣١٠م ليصبح

اسم نظام الفرسان الجديد يسمى النظام السيادي لرودس أو (النظام السامي لفرسان رودس).

وفي (رودس) أنشأ تنظيم الهوسبتاليين مراكزه الرئيسة وازدادت قوته ونفوذه خاصة بعد أن تم حل تنظيم فرسان المعبد وآلت بعض ثرواته للهوسبتاليين؛ ولأن جزيرة رودس كانت بمثابة نقطة إستراتيجية هامة، فقد عمد الأتراك المسلمون بدورهم للاستيلاء عليها خصوصاً مع تزايد قرصنة الصليبيين لسفنهم وتمت استعادتها عام ١٥٢٢م، فهجر الهوسبتاليين الجزيرة في أول يناير ١٥٢٣م وتوزعوا بين عدة مدن منها سيفليل في إسبانيا وكاندي سيلان وروما في إيطاليا إلى أن منح الملك شارك كنت الهوسبتاليين السيادة على(جزيرة مالطة) في ٢٤ مارس ١٥٣٠م، وكانت لهم السيادة كذلك على عدة جزر مثل دى جوزوا وكومين بجانب مدينة طرابلس التي كانت تتبع عرش صقلية.. وقد صدق البابا كليمنت السادس على ذلك في ٢٥ إبريل ١٥٣٠م ومن ثم أصبح النظام يمتلك مقراً وأقاليم جديدة أدت إلى تغيير اسمه في ٢٦ أكتوبر ١٥٣٠م إلى (النظام السيادي لفرسان مالطة) ومنذ ذلك الوقت أصبحت مالطة بمثابة وطنهم الثالث، ومنها استمدوا أسمهم (فرسان مالطة).

وقد تميز هذا النظام منذ إقامته في مالطة بعدائه المستمر للمسلمين وقرصنته لسفنهم حتى كون منها ثروة ولاسيما في الحصار التاريخي ١٥٦٥م الذي انتهى بمذبحة كبيرة للأتراك، كما توسع النظام كثيـرًا حتى إن الملك لويس الرابع عشر تنازل له في ١٦٥٢م عن مجموعة من الجزر في الأنتيل منها: سان كيرستوف، سان بارتليلى، وسان كوزوا، وصدق على ذلك في ١٦٥٣م إلا أن صعوبة المواصلات مع هذه الجزر اضطر النظام للتنازل عنها لشركة فرنسية ١٦٥٥م وظل النظام في مالطة تحت حماية إمبراطور الدولة الرومانية والكرسي الرسولي وفرنسا وإسبانيا وانتشر سفراؤه في بعض

الدول وهو ما كان يعنى اعترافاً بالسيادة الشخصية للسيد الكبيـــر للنظـــام أو رئيس الفرسان.

وبقيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩م وغزوها إيطاليا فقد الفرسان الـــصليبيون ممتلكاتهم وامتيازاتهم في فرنسا وإيطاليا وانتهى بهم الأمر بفقد مقـــرهم فـــي جزيرة مالطة نفسها وطردهم منها على يد نابليون أثناء حملته على مصر عام ١٧٩٨م، وانقطع اتصال الفرسان نهائياً بمالطة _ دولة مالطة الحالية ليـــست هي فرسان مالطـــة.

وبحلول ١٨٠٥م أصبح الفرسان بلا رئيس حاكم، ومنذ ١٨٣٤م ونظـــام الفرسان يمارس شؤونه من روما بصفة رسمية باسم العمـــل الخيـــري وفـــى نطاق المستشفيات عملهم الأول وقت إنشائهم حتى أصبح نظامهم أشبه بهيئـــة خيرية لا تزال تسيطر عليها الروح الصليبية، وأخذت في التوسع حتى فتحت جمعية لها في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٢٦م

ويقع المقر الرئيس للمنظمة حالياً في العاصمة الإيطالية رومـــا، ويحمـــل اسم مقر مالطة، ويرأس الدولة (البرنس أندرو برتـــي) الـــذي أُنتخـــب عـــام ١٩٨٨ويعاونه أربعة من كبار المسؤولين وقرابة عـــشرين مـــن المـــسؤولين الآخرين.

أما في فرنسا فقد استمرت محاولاتِ إحياء النظام، وإن كان إنشاء التنظيم لم يكن له اتصال عضوي بالتنظيم القديم الذي استقر نهائياً في الفاتيكان، كمـــا انتقل بعض أفراد هذا النظام إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعاشوا فتـــرات الحروب الأهلية، وقد أصبح رمز نظام القديس يوحنا هو صليب أبيض معلـــق بحبل أسود ولذلك أصبح (فرسان الهوسبتالية) يعرفـــون (بفرســـان الـــصليب الأبيض)، وصادف وصول هؤلاء فترة الحروب الأهلية هناك وشـــهدت هـــذه الفترة ظهور (منظمة الكوكلوكس كلان)، الإرهابية العنصرية، التـــي كانـــت

تطالب في ذلك الحين بالدفاع عن المذهب الكاثوليكي وعن سيادة الرجل الأبيض ومنع مساواة المواطنين السود مع البيض في الحقوق، وتوثقت العلاقات بين (فرسان مالطة) الفارين إلى أمريكا، وبين (الكوكلوكس كلان) خصوصاً وأن الطرفين يتفقان في المذهب الكاثوليكي.

وقد تجسدت هذه العلاقات وعبر عنها تنظيم (فرسان الكاميليا) وهو (تنظيم سرى نشأ داخل الكوكلوكس كلان)، تبنى نفس مبادئها، وكان تنظيمه الهيكلي يشبه تنظيم فرسان مالطة، فهناك المارد الأعظم على غرار السيد الأعظم لدى الفرسان ويعاونه أربعة من فرسان الصقر كما أن طقوس احتفالات فرسان الكاميليا والكوكلوكس كلان تشبه تماماً احتفالات فرسان مالطة إذ يلبسون ملابس بيضاء عليها صليب أحمر، ويضعون على رؤوسهم أقنعة لا يظهر منها سوى العينين والأنف والفم، ويشعلون المشاعل النارية، ويزيد أعضاء الكوكلوكس كلان (الجماجم) التي يحملونها وهي تنبعث منها نيران حمراء بشكل مرعب!

ومن المهم أن نشير إلى أن كلا الحركتين الفرسان، وكوكلوكس كانتا تركزان على العودة لأصول الدين المسيحي الكاثوليكي حتى إنه ليبدو أن مطاردتهم لغير العنصر الأبيض من السود وكذلك الآسيويين في الداخل كان اضطهاداً دينياً قبل أن يكون عنصرياً على اعتبار أن أصل هؤلاء السود والآسيويين الذين تم جلبهم إلى أمريكا عن طريق تجارة الرقيق يعود إلى أفريقيا وآسيا حيث غالبية السكان يدينون بالدين الإسلامي قبل حملات التبشير فيما بعد، فضلا عن أن هؤلاء السود والآسيويين جاءوا من المناطق التي سبق أن طُرد منها هؤلاء المهووسون دينياً وعنصرياً بعد احتلال طويل لها، وهو سبب كافٍ لاضطهادهم وتفريغ شحنات الغضب فيهم.

وتختلف دولة فرسان مالطة، من حيث هيكلها وتنظيمها عن جمهورية مالطة الجزيرة المعروفة في البحر المتوسط، وكلتاهما تحظى بالتمثيل الدبلوماسي والاعتراف الرسمي في العديد من دول العالم.

والمثير في سفارة هذه الدويلة أنها لا تحمل رايات كسائر السفارات، وتقتصر أنشطتها على الأعمال الخيرية والتبرعات والهبات، إلا أن مقرها الرئيس في روما يتمتع بامتيازات، فمواطنوها لهم محاكم خاصة وجوازات سفر ويقدر عددهم بنحو ١٠ آلاف فارس، في حين يصل عدد المتطوعين منهم إلى نصف مليون، وأن خطر الفرسان الحالي ليس أقل مما كان في الماضي .

وأشارت تقارير إلى أن منظمات الإغاثة التبشيرية في مناطق ملتهبة كجنوب السودان لا تزال تشكل عنصر الدعم للمتمردين على الحكومات العربية، وأنه كان لهم دور في فصل تيمور عن إندونيسيا، فدورهم التبشيري لا ينفصل عن الدور الخيري انطلاقاً من أن دول عظمى مثل أمريكا تسهل لهم المرور من دولة إلى أخرى بحجة أن نشاطهم لا يتعدى كونهم هيئات خيرية.

وعقدت (منظمات الفرسان الصليبية) اجتماعًا في جزيرة مالطة في أوائل ديسمبر ١٩٩٠م هو الأول من نوعه منذ أخرجهم نابليون بونابرت منها قبل حوالي قرنين من الزمان، وكان الاجتماع مثيراً للغاية كما قال روجر جيورجو أحد أولئك الفرسان الذين اجتمعوا في الجزيرة. وبلغ عدد الحاضرين حوالي خمسمائة معظمهم من القساوسة ينتمون إلى اثنين وعشرين دولة .

ولوحظ أن الفرسان الصليبيين المجتمعين اعتبروا هذا اللقاء خطوة باتجاه إحياء وإنعاش تلك المنظمة الكاثوليكية ذات الجذور الصليبية، وقد روت صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية تفاصيل هذا الاجتماع في حينه قائلة: إن

الفرسان توافدوا على الاجتماع، وقد ارتدى كل واحد منهم ملابس كهنوتية سوداء، يزينها صليب أبيض مزدوج الأطراف، ورأس الجلسات الأستاذ الأعظم الذي يقود المنظمة، وهو اسكتلندي سبق أن عمل في حقل التدريس، اسمه اندروبيرتى ٦٠ سنة وهو أول بريطاني يرأس المنظمة منذ عام ١٢٧٧، كما أنه الرئيس الثامن والسبعون للمنظمة منذ تأسيسها، ويحمل رتبة كاردينال، ويرأس مجلساً يتألف من ستة وعشرين فارساً يساعدونه على تسيير شئون المنظمة وتدعمه أمريكا بقوة!.

ويقدر عدد غير المتطوعين في الولايات المتحدة وحدها ألف وخمسمائة فارس، وقد انضم إلى عضويتها عدد من أصحاب الملايين خصوصاً أن نشاطهم الحالي يتخذ غطاءً خيرياً ويظهر الاختصاص بالمستشفيات مما يغرى بالتبرع لهم.

وهم مهتمون بإقامة علاقات دبلوماسية مع مختلف الدول حيث يقول رئيسهم بيرتى: إن الدبلوماسية بحد ذاتها ليست من أهدافنا ولكن إقامة علاقات مع الدول تساعد في تسهيل أعمالنا والحصول على الأدوية والمواد التموينية ونقلها إلى المناطق المنكوبة، ولا ينفى تاريخهم الصليبي إذ يقول: نحن لا نخفى شيئاً، فنحن منظمة دينية قديمة ولنا تقاليدنا وشعائرنا لذلك فالجانب البروتوكولي والدبلوماسي في غاية الأهمية بالنسبة لنا، ونحن نبذل جهدنا لتقديم العون للمحتاجين والقسم الأكبر منا رجال دين وقساوسة.

واستغل فرسان مالطة نشاطهم الخيري، والسماح لهم بمزاولة عملهم من دول عظمى مثل أمريكا كجواز مرور للدول الأخرى[1].

---

[1] منتدى الإمارات الاقتصادي بتأريخ ٢٨ شباط – فبراير ٢٠٠٩م.

وفى ١١ ينـــاير ٢٠٠٧م نـــشرت وكالــة (Innovative Media Inc) للأخبار على لسان (أندرو برتي) المسؤول الأعلى في فرسـان مالطــة فـي معرض حديثه إلى ممثلي ٩٦ دولة معتمدة لدى هيئة فرسان مالطة بمناسـبة اللقاء السنوي المعتاد الذي المنعقد هذه السنة في روما في تلة الأفنتينو، فقال: يجب أن يتمتع جميع حجاج العالم بحق الدخول إلى أورشليم، معلناً أنه يود أن يقوم هو شخصياً بزيارة إلى الأراضي المقدسة في أكتوبر المقبل.

ودعونا نتأمل بعض جرائم الكوكلوس كلان التي حـدثت علـى أعتـاب القرن الحادي والعشرين وفي دولة تدعي أنها تقـود العـالم بحربهـا ضـد الإرهاب ترى بماذا تذكرنا؛ ففي سبق صحفي انفردت به صحيفة "الاندبندنت" البريطانية تمكن المصور (انثوني كارين) من التقاط صور نـادرة لاحتفـال عصابات الكوكلوكس كلان العنصرية البيضاء، التي ارتبط اسـمها بجـرائم (قتل وإحراق وحشية) ضد الأميركيين السود، وذلك في مدينـة سكوتـسيور روبورو بولاية الباما.

وقال كارين الذي حضر الاحتفال بمعرفة الجماعة الإجرامية إن "الصور بطقوسها ومضمونها المفزع رسالة إلى الـرئيس الأميركـي بـاراك أوبامـا والأميركيين الأفارقة بأن حلمهم الأسود لن يتم تحقيقه".

وتأتي تلك الأنباء عن عودة العصابات العنصرية للأضواء، بعـد فتـرة وجيزة مما تردد عن اختطافها للسيدة "كينيث لينش"، البالغة مـن العمـر ٣٤ عاماً، والمقيمة في اوكلاهاما، والفرار بها إلى غابة في شمال نيو اورلين، ثـم قتلها على يد مجموعة فرعية في العصابة اسمها "أبناء ديكس"، وقد اعتـرف زعيم المجموعة (تشيك فوستر) الذي ينتظر محاكمة في جريمة أخـرى الآن بتفاصيل الحادث الأول، حيث تمت ملاحقة لينش والجري وراءها بالمـشاعل ثم انتهى الأمر بإطلاق النار عليها.

وننقل من الويكيبيديا: "بينما تقوم أغلبية مجموعات الكوكلوكس كلان بهجماتها ضد أهدافها مرتدية جلابيب بيضاء وقبعات مخروطية الشكل تغطي الرأس كله ولا تظهر منه سوى العينين لإخفاء هويتهم مع إضافة عامل الترويع خلال هجماتهم الليلية على أهدافهم التي غالبا ما تكون قرىً صغيرة يسهل على السكان فيها التعرف على بعضهم البعض، وهنا يجب الذكر أن عمليات التصفية التي قامت تجاه رؤساء الأحزاب السود لم تقتصر عليهم وحدهم بل (شملت أُسَرِهم) بالإضافة إلى رؤساء الكنائس والجاليات، لتعدد أنشطة الضحايا، فقد كان المقنعون يقومون بإطلاق الأعيرة النارية تجاه بيوت ضحاياهم (وإحراقها، أحياناً بمن فيها) واستطاعوا إزاحة المزارعين الناجين من مزارعهم (تهجيرهم).

بينما استمرت الجماعة في القضاء على ضحاياها تحت غطاء مدني، ومتخفية بدون أن تعلن عن انتمائها للكوكلوكس كلان، (استمرت الدولة في التغاضي) عن ممارساتهم ولم يتم تجريم عضواً واحداً بخلفية انتمائه للتنظيم، بل لم يكن بإمكان الأمريكان الأفارقة حتى التوجه للمحاكم للشكوى، أما في الحالات النادرة التي وصلت إلى القضاء، فقد كان من الصعب نطق الحكم بتجريم الفاعل لخوف المحكمة من إنتقام الكلان.

هذا ما كان يحدث في أمريكا وهذا ما حدث في العراق! صورة تتكرر كل يوم حتى أصبحت طبيعية ولا تثير أي انتباه رغم فضاعتها!

ولم يعد لمجموعة الكلان الأولى أي سبب للوجود فقد تم (إقصاء) الأفارقة _ الأمريكان تدريجياً من الحياة السياسية على الرغم من إنهم تمكنوا من ينالوا نظرياً حق الانتخاب بالتعديل ١٤و ١٥ من الدستور.

ففي ١٥ أيلول ١٩٦٣م انفجرت قنبلة أثناء القداس المقام في كنيسة معمدانية عائدة للسود وتستقبل الاجتماعات السياسية للزعماء السود بشكل

منتظم وذلك في برمنجهام في الاباما. وأدى الانفجار إلى قتل أربـــع صـــبيات وجرح عشرين شخص ولم تدن السلطات المحلية المسؤولين عن الحـــادث إلا قريباً جداً وذلك في ١٩٧٧م و ٢٠٠١م ٢٠٠٢م.

أما الحادث الثاني فقد وقع في ٢١ حزيران ١٩٦٤م وقتل فيه ثلاثة شباب في سيارتهم وقد تم اتهام سبعة أعضاء في جماعة الكلان وذلـــك فـــي نهايـــة القضية عام ١٩٦٧م.

المهم أن جرائم كوكلس كلان كثيرة جداً ومعروفة للقاصي والداني ولكن المهم معرفته أن فرسان مالطا استطاعوا قيادة تلك المنظمة واحتوائها ولكـــن من يصدق أن لتلك المنظمات وتحديداً لفرسان مالطـــا وجـــود وجنـــود فـــي العراق!

ونقلاً عن تعريف الويكيبيدا لشركة بلاك ووتر: "بلاك ووتر العالمية التي كانت سابقا (بلاك ووتر يو أس أي)، هي شركة تقدم خدمات أمنية وعـــسكرية أي أنها شركة مرتزقة، وتعتبر واحدة من أبرز الشركات العسكرية الخاصـــة في الولايات المتحدة وهي مرتبطة (بفرسان مالطا).

ويقول (جيرمي سكاهيل) في كتابه "بلاك ووتر صـــعود أقـــوى جيـــوش المرتزقة في العالم: "هناك مخاوف خاصة من دور "بلاك ووتر" فـــي حـــرب وصفها الرئيس بوش "بالحرب الصليبية" وهذه المخاوف ناشئة من كون جميع المدراء الكبار في الشركة من المرتبطين بأجندة التعصب المـــسيحي، ويقـــدم صاحب الشركة (اريك برنس) وأسرته تمويلاً سخياً لحرب اليمينيـــين الدينيـــة ضد العلمانية ومن اجل تثبيت دور المسيحية في المجالات العامة، بل أن عددا من مدراء "بلاك ووتر" يتبجحون بعضويتهم في (مـــسلك مالطـــا العـــسكري المستقل) وهو عبارة عن ميليشيا مسيحية تشكلت في القـــرن الحـــادي عـــشر الميلادي قبل الحرب الصليبية الأولى وكانت رسالتها الدفاع عـــن الأراضـــي

التي أخذها الصليبيون من المسلمين، ويتبجح المسلك اليوم بأنه مطبق مستقل للقانون الدولي، له دستوره الخاص، ويصدر جوازات سفر خاصة به، وطوابع، ويقيم مؤسساته المستقلة "كما يرتبط" بعلاقات دبلوماسية مع ٩٤ دولة"، إن الاستعانة بمثل هؤلاء الصليبيين الجدد في تنفيذ العمليات العسكرية الأمريكية في الدول السلمية والمجتمعات العلمانية يعزز المخاوف الكبيرة التي يحملها البعض في العالم العربي وغيرهم من معارضي حروب الإدارة الأمريكية.

ومن خلال تداعيات القضية الرسمية التي رفعت في بتاريخ ١١ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٧م في أحدى محاكم ولاية فرجينا الأمريكية ضد شركة بلاك ووتر بخصوص حادثة ساحة النسور ببغداد نيابة عن الضحايا العراقيين، ومن واقع شهادة الشاهد الثاني، وهي الشهادة رقم ٨ في القضية رقم ٦١٥ -CV٠٩/١٠٠ إلى تسلسل ١٥/١٧/١٨ حتى ٤٥ وفي شأن (ايريك برنس) وشركاته ومن خلال عمل الشاهد لمدة أربع سنوات معهم، أعلن انه يقيم الدعوى عليهم مع طلب إخفاء شخصيته، لتلقيه تهديدات من إدارة شركات برنس بالقتل والتصفية، وفي تلك الشهادة التي وقع عليها الشاهد بعد إقراره بأنه لا يقول سوى الحقيقة ويعلم عقوبات الكذب، ذكر أن (إيريك برنس) يمتلك عدة شركات تدار كشركة واحدة وكلها تعمل بإمرته وبإدارة جاري جاكسون، وان (برنس) أنشأ عدة شركات ليخفي بواسطتها جرائمه ومخالفاته وعمليات غش وأعمالاً غير قانونية، منها نقل أموال شركة "بلاك ووتر" المتعاملة كشركة حراسة مرتزقة مع وزارة الخارجية الأمريكية وجهات فيدرالية (حكومية أخرى) في العراق وحول العالم، إضافة لأعمال غير قانونية من دون مراعاة المحاسبة، مع إعطاء بيانات وأرقام مزيفة في

حين أن (برنس) يتصرف في أموال الشركات كأنها أمواله الخاصة، وكل هذه الأفعال تمت حسب الشهادة لسببين:

الأول: أن (برنس) ينظر إلى نفسه كمقاتل صليبي مسيحي موكلة إليه "مهمة إبادة المسلمين ومحو العقيدة الإسلامية من على وجه الأرض" ولذا تعمد إرسال رجال إلى العراق يشاركونه هذه الرؤية ويؤمنون بالتفوق المسيحي، كما أن برنس كان يعلم هذا وتعمد أن "ينتهز هؤلاء الرجال كل الفرص الممكنة لقتل العراقيين" والعديد منهم كانوا "يستخدمون أسماء وألقابا متخذة من أسماء فرسان مالطة الصليبيين"، وكانت شركات برنس "تشجع وتكافئ قاتلي العراقيين" بل كان العاملون في الشركة يتفاخرون بشكل علني بالأمر، وعلى سبيل المثال كان عادياً تحدثهم عن نيتهم النزول إلى شوارع العراق لقتل "بعض العراقيين"، كما كانوا يستخدمون أوصافاً عنصرية مثل "حاجي" و"أصحاب الخرقة على الرؤوس".

ثانياً: جشع برنس والتماسه أية فرصة لإرسال المزيد من هؤلاء الرجال ليحصل على المزيد من الأموال من الحكومة الأمريكية.

انتهى الاقتباس التي تداولته كل الوكالات الأنباء والصحف العالمية ومنها صحيفة التايمز بإنبهار شديد والذي جاء على لسان أحد المرتزقة الأمريكان العاملين في شركة بلاك ووتر.

كما أن من بين تلك الاتهامات التي قدمت لمحكمة بولاية فرجينيا قبل اسابيع قيام برنس بقتل أو اغتيال موظفين اثنين سابقين متعاونين مع المحققين الفيدراليين.

وقد وجهت هذه التهم لبرنس في شهادة خطية تحت القسم قدمها موظفان سابقان معه، أحدهما جندي سابق في قوات المارينز الأميركية، وقد رمزا

لاسميهما بـــ John Doe No ١ و John Doe No ٢ وذلك (خشية التعــرض للقتل إن كشفت هويتيهما.

وادعيا أن برنس وموظفين آخرين كبارا في شركة بـــلاك ووتـــر أتلفــوا أشرطة فيديو ورسائل إلكترونية ووثائق تدينهم كما قـــاموا بإخفـــاء ســلوكهم الإجرامي والتستر عليه عن وزارة الخارجية الأميركية.

وتأتي هذه الشهادة ضمن عريضة مقدمة إلى المحكمة من طرف محامين يمثلون ستين عراقيا يقاضون بلاك ووتر على خلفية جرائمها في العراق.

وأكثر من هذا نعود إلى نص الخبر المنقول من التايمز: "إن الشاهد الثاني John Doe No٢) أكد في شهادته: "أن برنس تعمد نشر من يشاطرونه نفس الفكر في العراق أي من يعتقدون مثله في التفوق المسيحي، وكان يعلــم بــل يرغب في أن يقوم هؤلاء الرجال بعدم تفويت أي فرصة ممكنة لقتل عراقيين وكان كثير من هؤلاء الرجال يستخدمون ألقاب ورموز فرســـان الهيكـــل، أي المحاربين الذين قاتلوا المسلمين في الحروب الصليبية".

ويقول الجندي السابق بقوات المارينز المذكور آنفاً (إن عدداً كبيـــراً مـــن الحوادث التي كانت تستخدم فيها القوة المفرطة كانت تسجل في أشرطة فيديو يتم مشاهدتها عليها في نهاية اليوم قبل أن تمحى)، وتحدث أحد الشاهدين عن جرائم اغتصاب فتيات قاصرات في العـــراق.. وهكـــذا فـــإن هـــذه الـــسادية المتوحشة هي ما يحدث في العراق في العقـــد الأول مـــن القـــرن الحـــادي والعشرين!.

لا أعتقد أننا بحاجة إلى أكثر من هذه الاعترافات وهذه النصوص (التـــي لم ينقل أي منها عن مصدر عربي أو إسلامي ونقلت بمجملها مـــن مـــصادر أمريكية أو غربية) لمعرفة الأبعاد الفكرية للجريمة التي حدثت فـــي العـــراق

والتي تؤكد الكثير من الأدلة على أنها حدثت أيضاً في أفغانستان وكوسوفو وفي الجزائر وفي جنوب السودان! .

هل هي حرب صليبية فعلاً ؟!

وإذا تجاوزنا الكلمة الشائعة (زلة لسان) للرئيس الأمريكي بوش الابن بأن الحرب على الإرهاب هي حرب صليبية وإنها ستأخذ حيناً من الوقت.

وإذا لم نستطيع توثيق ما نسب إلى الرئيس الأمريكي السابق (بوش) بأنه قاد احتلال العراق تحت الهاجس الديني وأن حرب العراق كانت مقدسة حسب رواية (البي بي سي BBC) عن المفاوض الفلسطيني نبيل شعث خلال برنامج أذيع من على تليفزيون (البي بي سي BBC) أن بوش قال تلك التعليقات خلال لقاء في عام ٢٠٠٣م، وقال شعث خلال البرنامج: إن "الرئيس بوش قال لنا جميعاً: أنا أقود مهمة الرب، الرب قد يقول لي: جورج، اذهب وحارب هؤلاء الإرهابيين في أفغانستان، وفعلت ذلك، ثم قد يقول الرب لي: جورج، اذهب وتخلص من الطغيان في العراق... وهذا ما فعلته" وأضاف والآن مرة أخرى أشعر أن كلمات الرب تصل إلي، اذهب لتأتي للفلسطينيين بدولتهم والأمن للإسرائيليين، والسلام للشرق الأوسط، وسأفعل ذلك بالاستعانة بالرب.

وقال الرئيس الفلسطيني محمود عباس، الذي كان حاضراً ذلك الاجتماع، في برنامج (البي بي سي BBC) إن بوش قال له "لدي التزامات أخلاقية ودينية، ولذلك سآتي لكم بدولة فلسطينية[1]".

---

[1] نقلاً عن شبكة "بي بي سي" بتاريخ ٧ تشرين الأول- أكتوبر ٢٠٠٥م.

لكن دعونا نتأمل مقولة أخرى له لم تكن هذه المرة (زلة لسان) أثناء حديث له عبر شاشات التلفزيون وأثناء شكره لطائفة الجنوب المعمدانية المعروفة بتعصبها الشديد ضد المسلمين على وجه الخصوص لدعمها الكبير له في الانتخابات التي فاز بها فهو يقول: "إنهم يشكلون ستة عشر مليوناً من المعمدانيين في أنحاء البلاد وعلاوة على هذا الكثير من المبشرين موجودون بعيداً عن وطننا وجميعهم يشعرون بأنهم مكلفون بنشر كلمة الرب وليعلنوا عن مملكة الرب".

مع البيان إن لتلك الطائفة المتشددة والمتعصبة نشاطاً كبيراً في العراق وسقط منهم الكثير من القتلى ولهم مؤسساتهم الكبيرة والناشطة التي تمول بملايين الدولارات ومن تلك المؤسسات مؤسسة صوت الشهداء والمعروفة بـ (**The Voice Of Martyrs**) وإن كان غالب عملهم سري ولكنه كان بعلم ودعم من الإدارة الأمريكية هناك وهم يجاهرون بمعتقداتهم وكرههم للإسلام ولهم بعض الشعارات الغريبة ومنها (**Aggressive love Gods**) حب الرب العدواني أو (إلهة الحب العدوانية) كما ينقل التلفزيون الألماني عبر أحد تقاريره الذي أعده الصحفيان (جون جتس) و (فلكرشتاينهوف) حول الحرب المقدسة في العراق وخصص لنقد الحملة الصليبية على الإسلام في العراق _حسب تعبير القناة_.

ويعود (الرئيس الأمريكي جورج بوش) لينظر إلى الحرب من وجهة نظر دينية حينما يقول: "الحرية ليست هدية أمريكا للعالم أنها هدية الله"، فهو وعن طريق الحرب والدمار "ينشر هبة الله للعالم وهو المكلف بهذا من قبل الرب".

ولكن ماذا عن طائفة الجنوب المعمدانية التي يشكرها الرئيس الأمريكي بوش ويمجد عملها؟.. الحقيقة إن تلك الطائفة هي جزء كبير ومهم من الداعمين الأساسيين للحزب الجمهوري وبالذات جناحه اليميني المتشدد وكانوا

يتبوءون أعلى المراكز المهمة في الكثير من الـدوائر الحكوميـة ويعتبـرون الحرب على العراق حرباً مقدسة على الإسلام -حسب ما جـاء فـي تقريـر التلفزيون الألماني- ومن هؤلاء على سبيل المثال الجنرال وليام بوكين الـذي يعتبر أحد الأشخاص الذين تولع بهم طائفة الجنوب المعمدانية وهو من القـادة العاملين في البنتاغون ومن المكلفين بمطـاردة أسـامة بـن لادن -حـسب التلفزيون الألماني- فهو يقول بتشنج ومرتديا ملابسه العـسكرية فـي أحـد الاجتماعات الخاصة بالطائفة: "العدو ليس أسامة بن لادن العدو هو الديانة... إلهي أكبر من إلههم... إلهي إله حقيقي وإلههم مزيف".

وكان إيريك برنس مؤسس شركات بلاك ووتر أحد جنود هذه المعمدانيـة التي يفخر أتباعها بأنهم يخوضون حرباً مقدسة ضد المسلمين في العالم ولابد أن يهزموا العراقيين ويجب أن يتحول كل العراقيين إلى المسيحية بـل وكـل سكان الشرق الأوسط... إنها حرب دينية حسب زعمهم هم وننقل عـن تـوم وايت رئيس مؤسسة صوت الشهداء: "نحن المسيحيين لابد أن نواصل الحرب المقدسة والشهداء هم الذين يسقطون في الحروب في أنحاء العالم مـن أجـل قضيتهم الدينية".

الشركات الأمنية الخاصة والمهام "الإنجيلية التبشيرية"

ناصر الفهداوي[1]

تَدّعي الشركات الأمنية أن واجبها مع الجيوش هو تقديم الخدمات والاستشارات الأمنية وتدريب الحراس الأمنيين، ولا يتعدى واجبها إلى الواجبات القتالية ومواجهة المقاتلين عسكرياً، ولكن مقتل الآلاف وجرح عشرات الآلاف من جنود الشركات الأمنية يظهر المشاركة الحقيقية كجيوش قتالية مع جيوش الاحتلال.

وتَدّعي الولايات المتحدة الأمريكية وهي تنشئ الائتلافات والتحالفات؛ بأنها تريد أن تقدم الديمقراطية وإصلاحاتها المخملية (الشفافة) وأنها "حريصة الحرص كله" على تقديم النظام الجديد الذي يتجلى به الرب المزعوم عند جورج دبليو بوش، ومن قبله الكثير من رؤساء أمريكا، وهو المشاهد المعروف، بما لم تستح الإدارة الأمريكية من التصريح به، والبوح به وإعلانه

---

[1] باحث وإعلامي عراقي.

على واجهات ماكينتها الإعلامية، وهذا ما صرح به بوش الابن بأنه مرسل من الرب لأداء مهمة، وأن الرب يكلمه ويأتيه في مناماته ويكلمه فيها، وهو من أُثِر عنه أنه قال: "إننا سنشنها حرباً صليبية" وكررها، وحاولت أجهزة الإعلام التستر على مثل هكذا تصريحات لأنها تستثير المسلمين، وتكون عامل جمع لصفوفهم وتوحيد لكلمتهم، وحاولت تبرير هذا التطرف العدواني العنصري على الأمة الإسلامية بأنه (زلة لسان)، وكان الرد بأنه لا يمكن لزلة لسان أن تتكرر أكثر من ثلاث مرات - ولكن يبدو حتى أن هذا التهديد والوعيد بالحرب الصليبية لم يستفز المسلمين ليجمعوا كلمتهم وتتوحد مواقفهم لتدفع الأيادي التي تذبح المسلمين وشعوب المنطقة بأسرها-، وهو الذي صرح بأنه مرسل من الرب "لتصحيح خطأ الرب بتوزيع الثروات على الأرض بأن جعلها عند من لا يستحقونها"، وقال مراراً وتكراراً بأن الرب طلب منه قتال هؤلاء المتطرفين الإرهابيين الأصوليين "الإسلاميين".

وشن حروباً على دول المنطقة لتحقيق نبوءاته وأوهامه، ورفع شعارات مكذوبة ادّعى فيها تقديم الأنظمة الديمقراطية وتوفير العيش الرغيد للمنطقة، وإذا كانت أمريكا تريد أن تقدم الديمقراطية وإصلاحاتها الإنسانية وتخليص العالم من الدكتاتورية وأنظمتها، وتريد للعالم أن يعيش بحرية وتريد منه أن يخضع لنظامها العالمي الجديد.. فهل يحتاج ذلك إلى كل هذه الدول والجيوش والأحلاف وعصابات القتل المأجورة التي جمعت من كل مواخير العالم ودور الدعارة والنوادي الليلية وعصابات المافيا ومهربي المخدرات؟ وهل تحتاج الديمقراطية إلى كل هؤلاء الإجراميين المتوحشين المرتزقة من تحالف الجيوش الذين جاؤوا مع أمريكا لاحتلال العراق؟ وهل من جاء مع أمريكا من أذنابها وأجرائها الأدعياء، هم من يقدم صورة الديمقراطية؟!.

وهل تحتاج الديمقراطية لكل هذه الأعداد من الجيوش والترسانات التسلحية والعصابات المافيوية وكل هؤلاء القتلة المأجورين من عصابات المرتزقة الذين جمعتهم أمريكا من كل الزوايا المظلمة في العالم ممن سمتهم أمريكا في حربها الإنجيلية المتطرفة بأنهم (فرسان الصليب أو فرسان المعبد أو فرسان مالطا أو الأوسبيتاليين) وغيرها من الأسماء العنصرية العدوانية من جيوش الإرهاب.

بينما تصف المدونة الداخلية للمواقع (الإلكترونية) لأكثر الشركات، بأن إحدى مهام الشركات تتمثل في دعم السياسة الأمنية الوطنية والدولية التي تحمي المواطنين العزل، وتوفر بإخلاص صوتاً للجميع!.

وهذا يوضح الدوافع الدينية العقدية التي تبين اندفاعة الشركات الأمنية بزخم ملفت للنظر وهي تتشكل بصورتها هذه، وتعطي طابعاً تبشيرياً وتوفر الغطاء الأمني للتبشيريين مع شركات المرتزقة والجيش الأمريكي، وكذلك ترافق كالظل جميع الحركات التبشيرية في العالم، وهذا يبين المهام التبشيرية التي تقوم بها جيوش الاحتلال ويحدد مهامها بأنها حرب دينية بغطاء استهداف مقدرات ومصالح الشعوب.

وترتبط بعمق العلاقات بين رؤساء الشركات الأمنية والضباط الذين يتم اختيارهم من الإدارة الأمريكية وتحديداً إدارة بوش والإدارة القديمة لـ "رونالد ريغان" وكلاهما يعرف عنهما انتماؤهما إلى الجماعة الإنجيلية المتشددة مع غالب الرؤساء الأمريكيين، وهو يوضح طابع التدين "الإنجيلي المتصهين" الذي غلب على التصريحات الإعلامية في خضم التصريحات التي سبقت الحرب، والتي وضحت الأهداف والغايات من الحرب الأمريكية والأحلاف التي عقدت من أجلها.

وتوضح علاقات الشراكة بين مالك شركة (XE) زي (بلاك ووتر)، وقادتها الميدانيين بأن هذه الشركة وباقي الشركات الأمنية هم الحلفاء الرئيسيون مع جيش الاحتلال الأمريكي، وتقوم بأدوار تفوق بقدر كبير مهام جيوش الاحتلال البارزة على الميدان، بينما تعمل هذه الجيوش بأدوار متعددة بالخفاء.. ولنأتي إلى مالك شركة "بلاك ووتر" المليونير (إيرك برنس) حيث سبق وأن خدم في سلاح البحرية الأمريكية وهو يميني مسيحي أصولي متطرف، يعد من أكبر الداعمين للحملات الدعائية الانتخابية والمنافذ الإعلامية جميعها، ومن أنشط الأعضاء في مجلس إدارة مؤسسة "الحرية العالمية للمسيحيين" وهي مؤسسة غير ربحية، وكذلك رئيس الشركة (غاري جاكسون) الذي كان يعمل سابقاً في القوات الخاصة التابعة للقوات البحرية الأمريكية.

والشركة عبر موقعها الإلكتروني يصفها رئيسها: بأنها تسعى لتقديم المساعدة للمسيحيين المضطهدين بسبب إيمانهم بالمسيح، وأنها مؤسسة إنسانية لا طائفية توفر المساعدات والدفاع وكتب الإنجيل للمسيحيين المضطهدين في مناطق النزاع أو الاضطهاد الحاد في العالم.

وأما أعضاء مجلس إدارة الشركة وهم كل من (جوزيف إشمتز) المفتش العام السابق لوزارة الدفاع أيام حكومة "ريغان"، و(جي كوفر بلاك) نائب رئيس مجلس إدارة الشركة ويشغل منصب (المنسق السابق في مكتب مكافحة الإرهاب في الخارجية الأمريكية لدى كولن باول)، ويضاف لهم عدد من كبار مسؤولي البنتاغون ووكالة المخابرات المركزية السابقين ويشغلون مناصب عليا في الشركة، منهم نائب رئيس الشركة (كوفر بلاك) الذي كان من كبار المسؤولين في إدارة مكافحة الإرهاب بإدارة بوش خلال أحداث

(٩/١١) صاحب المقولة الشهيرة "كنا هناك قبل ٩/١١، وبعد ٩/١١، وسنخلع القفازات"، و(نخلع القفازات) كناية عن الاستخدام المفرط للسلاح والإبادة.

وقد تم إظهار الأهداف والغايات التي أنشئت من أجلها الشركات الأمنية التي تدار جميعها من قبل الاحتلال الأمريكي، والشركات التي أخذت موقع الصدارة في قيادة الشركات الأمنية، ظهرت أهدافها كجيوش مرتزقة قاتلة وبدمٍ بارد وتقاتل في الميدان، تتقدم جيوش الاحتلال وتهيئ لها الغطاء الأمني والمعلوماتي الذي تحتاجه، وهي لا تختلف عن منهجية الجيش في الظاهر من أنها الذراع الساحق للشعوب الذي يعمل بخفاء مع الجيش، وفي نظمها تعلن بأنها تسعى "لتقديم المساعدة للمسيحيين المضطهدين بسبب إيمانهم بالمسيح" وهذا يكشف الأهداف الدينية لحروبهم على العالم الإسلامي، وترافق جهود الحركات التبشيرية وتقدم المساعدة بعد اكتمال مهام التبشيريين الذين يعملون على نشر أفكارهم، وتقديم تقاريرهم حول اكتمال مهامهم في الكثير من مقاطعات الدول الإسلامية، بأن هؤلاء الذين آمنوا حديثاً بالمسيح سيتعرضون للاضطهاد بسبب قبولهم بالأموال التي دفعها لهم قساوسة الحركات التبشيرية، وهم يستغلون فقرهم وعوزهم، وبالتالي فإنهم يطلبون القوات العسكرية للتدخل المباشر لحماية الحملات الصليبية التبشيرية، وتقول في نظمها وتنظيرها "أنها مؤسسة إنسانية لا طائفية توفر المساعدات والدفاع وكتب الإنجيل للمسيحيين المضطهدين في مناطق النزاع أو الاضطهاد الحاد في العالم" وهذا يوضح كذب الإدّعاء بأنها غير طائفية، وهي تقول بأنها (مؤسسة لا طائفية) فكيف تكون لا طائفية ولا توزع إلا الأناجيل ولا تدافع إلا عن المسيحيين المضطهدين في مناطق النزاع الحاد في العالم، وهذا يبين العنصرية الفاضحة للإدارة الأمريكية.

وتعتمد عليها الإدارة الأمريكية في القيام بعمليات التفاوض السري مع الكثير من الأطراف الدولية التي تتآمر على أنظمتها وتلوح بانخراطها في ركب المشروع الأمريكي "الإصلاحي الديمقراطي" وتعمل على إدارته المباشرة كممثل عن الطرف الأمريكي، وتقوم بتقديم وتوفير كل الاحتياجات (من الأسلحة والأموال وغيرها) التي تطلبها الأطراف الخاضعة للسياسة الأمريكية، لقاء تقديم كافة التسهيلات للجيش الأمريكي إذا تدخل تدخلاً مباشراً لاختيار الأشخاص المناسبين الذين يخضعون لسياساته ومشاريعه وإرادته، وهذا ما حصل تماماً في العراق وأفغانستان وبنما وباكستان ودول كثيرة، وهذا يكشف الوجه العنصري الخبيث لأمريكا.

الشركة عبارة عن تآلف جيوش متعددة من ذوي الخبرات القتالية والمعلومات الأمنية المتراكمة ومن أنحاء العالم كافة، ومن أبرزهم القوات الخاصة "الكوماندوز" ومن دول متعددة، وعلى الرغم من ذلك فإن مالك شركة "بلاك ووتر" يصف شركته محدداً ولاءها؛ بأنها امتداد وطني للجيش الأمريكي، ولذلك وسعت الإدارة الأمريكية اعتمادها واستخدامها لعناصر الشركة وقواتها المرتزقة في الكثير من فعاليات الحكومة الأمريكية، ومنها المشاركة الفعلية القتالية مع الجيش الأمريكي، وتقديم المعلومات الأمنية التي تحتاجها جيوش الاحتلال، وتوفير الحماية لأعضاء الإدارة الأمريكية في العراق ابتداءً من "جي غارنر" الحاكم العسكري للعراق، ومروراً بـ "بول بريمر" ونغروبونتي، وزلماي خليل زادة، وقد كشف تصريح زادة السفير الأمريكي السابق في العراق، عقب سقوط طائرة تابعة لشركة "بلاك ووتر" في مجمع عمارات شارع حيفا وقتل من فيها، ووصفهم بأنهم رجال أكفاء وسبق وأن عملوا معه، وهذا التصريح يكشف عن مهام الشركة التي كانت

تقتل المدنيين في تلك المنطقة، أو لحماية شخصية من شخصيات إدارة الاحتلال.

وكشفت الأعوام السابقة من الاحتلال عن جملة من النشاطات الواسعة التي تقوم بها الشركة، ومدى الاعتماد الكبير من قبل الإدارة الأمريكية على الشركات الأمنية الخاصة ومنها هذه الشركة، وبرز لها دور واضح في إدارة العمليات ونشاطات واسعة في العراق وأفغانستان، وتعمل بشكل خفي في السودان مع قوات حفظ السلام في (دارفور) ودفعت الشركة وبإصرار باتجاه المشاركة في قوات حفظ السلام في دارفور، على الرغم من المعارضة الشديدة في الأمم المتحدة من استخدام قوة خارجية في قوات حفظ السلام، لكنها شاركت فعلاً مع قوات حفظ السلام في دارفور، وإن خفي هذا..فإن جهة ما لا يمكن أن تنكر دور شركة "زي" بلاك ووتر وبقية شركات الأمن الخاصة في تقديم خدماتها المتعددة وفي المجالات كلها (العسكري والمادي المالي والمعنوي، والاستخباراتي المعلوماتي، وكل أنواع الدعم اللوجستي)، واعتمدوا بذلك على الجنس الأفريقي الذي لا يمكن أن يميز من بين قوات حفظ السلام، وقد بعثوا جنودهم الأفارقة حول دارفور في "الكونغو وليبيريا"، وقاموا بحماية قوافل الشاحنات للمواد الغذائية والمخازن والتي تحمل بين الغذاء شحنات الأسلحة لأطراف النزاع المتعاونين مع البرنامج الأمريكي، كما وفروا الحماية للشخصيات.

وذكرت مصادر بأن هناك مفاوضات مباشرة للشركة أجرتها في حينها مع (الجيش الشعبي للتحرير) تم الاتفاق بموجبها على مشاركة خفية داخل الجيش لغرض تدريب "المسيحيين" في جنوب السودان عسكرياً، وتم الكشف عن علاقة مالك الشركة بمؤسسة "الحرية العالمية للمسيحيين" التي استهدفت السودان لسنوات طويلة.

وكشف التحقيق الذي أجرته المحكمة الفيدرالية في ولاية "فرجينيا" في شهر آب/ من العام ٢٠٠٩م ، مع اثنين من مرتزقة "بلاك ووتر" عن تورط صاحب الشركة "إريك برنس" في عمليات إبادة الشعب العراقي وتسهيل عمليات القتل والإبادة، وقالا: بأن هذه الحملات من القتل تأتي على خلفية صاحب الشركة الدينية المتطرفة الذي هو من أتباع المسيحية المتصهينة ويعد نفسه "مسيحياً صليبياً مهمته القضاء على المسلمين وعلى الدين الإسلامي ومحوه من الأرض".

وتقوم وزارة العدل الأمريكية بلعب دور تزويق القانون الأمريكي، وكأنه حاضر مع الجرائم الأمريكية كلها، وهي تحاكم هذين المجرمين من بين مئات الآلاف من قتلتها المأجورين، ومن المشاهد التي نجدها مثيرة للسخرية أن الولايات المتحدة الأمريكية ما زالت تصر على التعامل مع شركة "بلاك ووتر" على الرغم من جرائمها المفضوحة، وهي التي ادعت كثيراً بأنها تحاول الحد من الجرائم التي ترتكبها هذه الشركات، وكذبت على الرأي العام العالمي بأنها لن تمنح شركة بلاك ووتر عقوداً أمنية في العراق، والغريب أن أمريكا التي أوعزت لوزارة "عدلها" أن تحاكم هذين المجرمين من شركة بلاك ووتر، نجد أن وزيرة خارجيتها "هيلاري كلنتون" استعانت بحماية الحراس الأمنيين من الشركة نفسها عندما زارت العراق، وكذلك باقي الشخصيات من الإدارة الأمريكية، وفي العام الذي تنكشف فيه خفايا الإبادة التي ترتكبها الشركة يتم تجديد عقد شركة "XE" (زي) بلاك ووتر، وتمديد فترة بقائها في العراق.

ويعود الطابع الديني المتعصب، والأيديولوجية اليمينية المتطرفة التي تتصف بها الشركة؛ إلى تأريخ مالكها "إيرك برنس" وهو المعروف عنه التصاقه الشديد بتيار اليمين المسيحي الصهيوني، وكذلك التوجه المعروف عن

عائلته، فوالده أحد الممولين الكبار للتيار المسيحي المتطرف، ويعرف عنه المقربون له بأنه أحد مقاتلي "الحرب الصليبية الجديدة" ولا تخفى علاقة هذه العائلة مع متشددي إدارة بوش السابقة.

وإذا كان الإعلام وخصوصاً ماكينة الإعلام الأمريكي، يركز على التوجهات العنصرية المتطرفة لدى شركة بلاك ووتر، وكأنها الشركة الأمنية الوحيدة التي تسلك السلوك العنصري وتتهم بحملات الإبادة ضد الشعب العراقي، لكن حقيقة الأمر تظهر السلوك العدواني المبني على الخلفيات العنصرية والحقد الديني المتعصب الذي يلغي المقابل ويصادر معتقده ورأيه ووجوده، وهذا الطابع يطبع جميع شركات الأمن الخاصة مع طابع الإجرام المافيوي لجميع القاتلين المأجورين في الشركات الأمنية.

ومن الأدوار المشبوهة التي اكتشفها الشعب العراقي ولمسها بنفسه.. حوادث إلقاء القبض على عصابات بسيارات مدنية وهم يجوبون المدن العراقية لافتعال الأزمات وخلق الفتن بين أبناء البلد، لتمزيقه وتشتيت وحدة شعبه وتجزئة أرضه وتشويه صورة المقاومة العراقية بعمليات إجرامية ومحاولة نسبتها إلى فصائل المقاومة عن طريق إعلامهم المأجور، وبالتالي يضربون مكونات المجتمع العراقي بعضها بالبعض الآخر من خلال تأجيج الفتن الطائفية وإثارة النعرات القومية عن طريق الاغتيالات واستهداف المراقد الدينية وغيرها من الأفعال، وبالتالي يتمكنون من إشغال العراقيين بأنفسهم عن طريق الاقتتال فيما بينهم، وهذا ديدن الاحتلال والحركات التبشيرية.. ومن هذه الأفعال ما حدث في جنوب بغداد في العام ٢٠٠٤م، وهي حادثة معروفة عندما شاهد أبناء إحدى المناطق سيارتين من نوع (هيونداي تريكان) حديثة، تجوب المنطقة ولعدة أيام؛ الأمر الذي دعا أبناء المنطقة إلى الحذر منها ونصبوا لها الكمائن ولم يتم التعرض لها حتى رأوها

تستهدف مرقداً في تلك المنطقة لتفخيخه ويحمل راكبوها أسلحة متطورة، وعندها هاجم أبناء تلك المنطقة إحدى سيارتي هذه العصابة وقتلوا اثنين وأسروا اثنين منها، وفرت السيارة الأخرى إلى جهة مجهولة؛ اكتشفوا عند تفحص الأوراق التي بحوزتهما أنهما من مرتزقة شركات الأمن الخاصة ومن الجنسية البلغارية تحديداً، ووجدوا في السيارة مخططات وخرائط لمناطق مختلفة من العراق وبرفقتهم قائمة أهداف تتضمن مراقد وأسماء ضباط عسكريين وشيوخ عشائر وأئمة مساجد وأسماء وعناوين أخرى، وتم تسليم هذه العصابة إلى مركز شرطة العامرية، وبعد أيام من الحادثة أخبر ضابط المركز أهالي المنطقة الذين تابعوا الموضوع لمعرفة تفاصيل الموضوع بأن قوة أمريكية جاءت إلى المركز وأخلت سبيلهم من دون أن يسمحوا لضباط المركز بقول كلمة واحدة.

وهناك فرق من شركات الأمن الخاصة جابت أراضي محافظة الأنبار وفعلت ما فعلت بهذه المحافظة، من قتل شيوخ العشائر وقتل علماء الدين والكفاءات والضباط العراقيين، وكان منها ما كشفه أبناء مدينة الفلوجة عندما تصدى أهلها لبعض سيارات الدفع الرباعي التي كانت مجهزة ومسلحة لتنفيذ واجبات خاصة ومشبوهة في محافظة الأنبار، وعندها كشف الحادث أن المهاجمين في سيارات الدفع الرباعي كانوا من مرتزقة شركة بلاك ووتر زي".

وفي يوم الثلاثاء ١١/ ١٠/٢٠٠٥م، فوجئ جنديان أمريكيان يرتديان الزي العربي بالشرطة الحكومية التي أنشأها الاحتلال بنفسه، وكانا يحاولان تفجير سيارة مفخخة بالمتفجرات في منطقة الغزالية التي تقع غرب بغداد، وبينما كانت قوات الشرطة تقودهما إلى أحد مراكز الاعتقال لاستجوابهما، ظهرت قوة عسكرية أمريكية وقامت بإنقاذ السجينين وفرت سريعاً من

المنطقة، وعندما حاولت أجهزة الإعلام العربية والعالمية تناول هـذا الحـدث الذي كشف الكثير من خفايا الأمور وأجاب على آلاف الأسئلة التي تدور فـي أذهان الشعب العراقي وشعوب العالم كلها، ومنها معرفة الجاني الحقيقي الذي يقتل الشعب العراقي بالمفخخات والعبوات الناسفة التي تـزرع فـي طـرق مدارس الأطفال وتجمعاتهم وفي الأسواق ومن الذي يقـوم بقتـل العـراقيين الأبرياء؛ جوبهت بالإرادة الأمريكية التي تريد التعتيم على مثل هكـذا أخبـار وأحداث، حتى لا يتعرف العالم على حقيقة الإجرام المنظم الذي يتعرض لـه الشعب العراقي، وفي اليوم التالي سكتت أجهزة الإعلام كلها ولم تتطرق إلـى خبر العصابات الدموية الإجرامية التي تقتل الشعب العراقـي، وهـذا ديـدن الإعلام دائماً في القضية العراقية عندما تأمره أمريكا أن يسكت فإنه يستجيب مباشرة طائعاً ومن دون أدنى تأخير، وعلى الرغم من أن الإعلام اكتشف أن المستهدف الرئيس من وراء تلك العملية كان قتل أشـخاص مـدنيين بـشكل عشوائي من أجل زيادة التوترات بين مكونـات العـراق، ومحاولـة إربـاك عمليات المقاومة العراقية.

وفي ١٩/٩/ ٢٠٠٥م، ضبطت الشرطة الحكومية في محافظـة البـصرة التي تبعد (٤٥٠) كيلو متراً جنوب بغداد، جنديين بريطـانيين متخفيـين فـي ملابس عربية ويحملان أسلحة أوتوماتيكية رشاشة ومتفجرات فـي سـيارة، وهذا الحادث برز إلى الواجهة الإعلامية بشكل ملفت للنظر، حيث أن تفاصيل الحدث صارت باعثة على الغرابة ومثيرة للتساؤلات، حيـث عملـت قيـادة القوات البريطانية المتمركزة في دولة عربية على الضغط على العراقيين مـن أجل إخلاء سبيل عصابات القتلة الإرهـابيين، ولمـا شـعرت أن مبادرتهـا السريعة تلك لم يتم التفاعل معها وفق الشكل المطلوب، بادرت فرقة عسكرية بريطانية بمهاجمة السجن باستخدام دبابات ومروحيات، ما أسفر عن تـدميره

كما قتلت العديد من الشرطة الحكومية وأطلقت سراح السجينين المجرمين، ومضى الأمر وكأن شيئاً لم يكن، وتم إغفال هذا الحادث الجلل وجميع تداعياته من دون متابعات وتأجيج من أجهزة الإعلام وبلا مساءلة قانونية أو متابعة قضائية، وكشف هذا الحادث أيضاً الخطورة الكبيرة التي ترتكبها عصابات التدمير والقتل الأمنية الخاصة في محاولة بث سمومها بين ثنايا المجتمع العراقي لتأجيج الفتن الطائفية والتناحر القومي لتمزيق لحمة البلد وتفريق صفه ليصفو لهم الحال للعبث بأمن العراق وسلب هويته من خلال التناحر الذي ينشأ على هامش تلك الأحداث الإجرامية، التي تحاول عصابات شركات المرتزقة نسبتها إلى المجتمعات الإسلامية – وبمرور الوقت تم اكتشاف أن الجنديين اللذين كانا يرتديان زيّاً عربياً كانا تابعين لقوات الخدمة الجوية الخاصة، تلك القوة البريطانية المدربة على "اجتياز خطوط العدو أرضاً وبحراً وجواً في أجواء عدائية".

أما عن الخدمات الإنسانية التي تدّعيها الشركات الأمنية فهي عبارة عن جهود خاصة تقدم في المناطق الأمريكية المنكوبة أو مناطق النفوذ الأمريكي التي تحدث فيها فوضى أمنية تعجز الإدارة الأمريكية عن كبحها لأنها غارقة في الانهيارات الاقتصادية والعسكرية والإعلامية وغيرها، وقد استخدمت أمريكا عناصر بلاك ووتر في مدينة "نيو أورليانز" من أجل السيطرة على الوضع الأمني في المدينة والولاية بعد الإعصار الذي ضربها.

وبلاك ووتر ليست الشركة الوحيدة العاملة في العراق، فهناك أكثر من(٣١٠) شركة أمنية أجنبية تعمل في العراق، وجميعها منظمة في اتحاد واحد تحت اسم "اتحاد الشركات الأمنية في العراق".

ومكّن قرار القيادة العسكرية من زيادة مستوى الوحدات بشكل كبير مع المتعاقدين الذين (أصبحت أدوارهم القتالية الآن موازية لتلك القوات التي

يسمح بها الدستور والكونغرس الأمريكي) حسبما كتب "هربرت فنستر" من مؤسسة "ماكينا لونغ والدريدج" القانونية، التي مركزها في واشنطن، وأثير تساؤل عن شرعية إشراك المتعاقدين في العمليات الحربية حتى في الداخل الأمريكي، ولكن لم تضع لا وزارة الدفاع ولا وزارة الخارجية دليلاً لاستخدام عشرات الآلاف من البنادق في ساحات القتال كعدة وتجهيزات لجيوش متكاملة، وأدى غياب الإشراف المباشر من قبل الوزارتين إلى زيادة الأعباء على الموظفين العاملين في الشركات المتعاقدة التي كانت تقوم بتحقيقاتها الخاصة حينما تقع حوادث إطلاق نار، وتعمل عشرات الشركات الأمنية تحت أطر من التعاقدات الثانوية التي تجعل الإشراف على أنشطتها وتعقبها أمراً مستحيلاً، فهم غير مسؤولين أمام أي طرف عن الحوادث العنيفة حسبما قال مسؤولون أمريكيون وممثلون عن الشركات على اطلاع بالترتيبات الخاصة بالتعاقدات، وغالباً ما يتوجه المسؤولون الأمريكيون إلى "اتحاد الشركات الأمنية الخاصة للعراق" وهي منظمة تجارية تمولها الشركات الأمنية، وذلك لبقاء استقلالية الشركات الأمنية من المتابعة والمراقبة واستقلاليتها المالية، والغاية من كل ذلك المحافظة على استقلالية التخطيط والتحرك والانطلاق لأداء الهجمات التي تقررها من خلال قيادة كل شركة أمنية على حدة.

ويعمل "لورنس بيتر" ضابط الاستخبارات المتقاعد كمدير للاتحاد، فيما هو يعمل كمستشار لمكتب دعم إعادة الإعمار للدفاع وهذا العنوان عبارة عن واجهة تخفي الأدوار الحقيقية لكل شخصية في المخططات الضخمة لمشروع الاحتلال الأمريكي، وهذا المكتب تابع لوزارة الدفاع ويقوم بإدارة العقود في العراق وأفغانستان، وقال "برايان ويتمان" المتحدث باسم وزارة الدفاع: إن بيتر (يكسب بضعة آلاف فقط من الدولارات في السنة كمستشار).

ويعمل اتحاد شركات الأمن الخاصة في مقر كبير يتألف من مجموعة مكاتب موجودة في دائرة فيلق "لوجستيكيات المهندسين" تقع داخل المنطقة الخضراء، وقال "جاك هولي" كولونيل المارينز المتقاعد الذي يرأس هذه الدائرة إن (بيتر والاتحاد يلعبان دوراً حاسماً ضمن مؤسسات الأمن الخاصة لتحسين أدائها، وهما يحاولان ملء فراغ نجم عن فشل الحكومة الأمريكية في تشخيص المشكلة).

وبالتالي نجد أن الحشود التي تعمل أمريكا على جمعها في المنطقة لم تكن من أجل الديمقراطية ولا رحمة بدول وشعوب المنطقة، وإنما من أجل مشروع كبير لترويض المنطقة وإخضاعها لسياستها ومشاريعها وهي تمارس دور القطبية الأحادية والتسيد على العالم بما تسميه أمريكا "مشروع الشرق الأوسط الكبير"، مستغلة انهيار المعسكر الاشتراكي الشيوعي الذي تمثل بالاتحاد السوفيتي أبان الحرب الباردة، وكأنها _ عندما أعلنت حربها على دول العالم _ تريد أن تبعث برسائل لجميع القوى المتسيدة على العالم المتمثلة بدول مجلس الأمن الدائمة العضوية في الأمم المتحدة؛ لتعلن انتصار المعسكر الرأسمالي، وكأن الذي يجري كله برضى هذه الدول وموافقتها على السياسة الأمريكية وهي تريد بعد ذلك تقاسم النفوذ والمصالح على هذه الدول، وبدأت بالشعوب التي تظن أنها تخضع بسهولة للمشروع الأمريكي نتيجة ضعفها وإنهاكها بحروب جانبية، فإذا بها تتفاجأ بمقاومة ورفض هذه الشعوب والمجتمعات لمثل هذه الشعارات المكذوبة، وترفض الهيمنة الأمريكية التي تريد مصادرة هوية البلاد التي تقوم بغزوها، واصطدمت بالزلزال المالي الذي هز كيان السياسات الأمريكية والوجود الأمريكي في عقر داره، وبالتالي سقطت أكذوبة انتصار المعسكر الرأسمالي بإعلان إفلاس مئات الشركات الأمريكية الكبرى وتبعه أيضاً إعلان إفلاس مئات المصارف الأمريكية

الكبرى، وشهد العالم زعزعة كيان الإدارة الأمريكية وسقوط هيمنتها، وسقوط الهالة المكذوبة التي أحاطتها الماكينة الإعلامية الضخمة التي عملت على تسويق المشاريع الأمريكية والسياسات العنصرية والمشاريع الإرهابية التي عملت أمريكا على نشر الرعب بواسطتها على شعوب العالم كلها.

وقد وجدت أمريكا نفسها تلجأ مضطرة إلى جلب جيوش المرتزقة والاستعانة بهم لإنقاذها من الهزيمة، وهي تحاول أن تنقذ ماء وجهها من الهزيمة المرة في العراق، وجاءت بهؤلاء المرتزقة من فرسان الصليب من القتلة وسفاكي الدماء لسحق الشعوب المسلمة، كما يصرح بذلك كل مدراء الشركات الأمنية الخاصة، وهم يتفقون على هذه الإستراتيجية العنصرية التي تريد أن تصادر الأديان وتصادر حياة من يعتنقها.

وعملت وفق برنامج ومنهجية وسلوكيات تؤدي إلى تمزيق وحدة الدول ووحدة نسيجها وأطيافها بأحداث خفية ونسبتها إلى السلوكية المجتمعية الإسلامية، ويراد من ورائها إضعاف المجتمعات الإسلامية، وصناعة المسوغات الوهمية للتدخل العسكري المباشر لإبادة الشعوب واحتلال الدول، وهذا ما نتج تماماً عن التحركات الخفية لشركات الارتزاق على أرواح الشعوب ورقابهم، والتهمة دائماً هي محاربة الإرهاب.

وتعمل شركات الأمن على التخطيط لمجموعة أحداث ومن ثم تتحرك بعدها على إشاعة وترويج أن مرتكبيها هم مسلحون خرجوا من المدن، وتتوجه بأسلحتها الفتاكة تجاه تلك المدن لسحقها وتحقق أهدافها التي تتبناها وفق مدوناتها التي تنشرها على مواقعها الإلكترونية.. وهذا كله يكشف الأهداف التي جاءت من أجلها شركات المرتزقة وهي تضم في صفوفها جحافل القساوسة ومتعصبي الكنائس المتصهينيين وفرسان المعبد لسحق الشعوب وتدمير البلاد.

حينما تتجنى "القيادة المركزية" على الأقلام الحرة

حسين الرشيد[1]

قرأت سطوراً للسيد (غازي الأسدي) يزعم فيها أنه يرد فيها على مقالتي التي كتبتها قبل فترة وجيزة من الآن، وبلغت عشرين صفحة، ونشرتها في (مجلة حضارة العراقية الغراء) التي بدأ صيتها النبيل يذيع، رغم أنه لم ينقضِ من عمرها سوى عام واحد، وكانت بعنوان (جيش الاحتلال في العراق بين الفرار والانتحار)، ثم أعدتُ نشر مقالتي تلك في بعض الوسائل الإعلامية الأخرى؛ حتى تعمَّ فوائدها، وتُرتجى عوائدها.

وكان من بين من نشرها (وكالة يقين للأنباء) التي تعد رائدة في وصف الحالة العراقية، دون تزيين وتزييف، أو تبديل وتحريف؛ ليصلني بعد أيام من نشرها تعليقاً من سطور، ينتقد فيها السيد الأسدي ما جاء في مقالتي من حقائق، لم تعد خافية على عقلاء بني آدم.

والحقيقة أقول، أنني لم أشأ في بداية أمري الرد على السيد غازي الأسدي، المتحدث باسم القيادة المركزية لقوات الاحتلال الأمريكية؛ لأنني

---

[1] مدير تحرير مجلة حضارة.

منشغل ببعض الدراسات والأبحاث التي أقوم بها؛ لخدمة قضيتي العادلة، وشريعتي الغراء.

غير أنني آليت على نفسي إلا أن أتفرغ بعض الوقت حتى أوضّح بعض ما جاء في تعليق الأسدي من مغالطات، وما حوته السطور التي كتبها من تناقضات، تتّضح لمن يقرأ التعليق دون تعب أو معاناة.

ويبدو لي أن الذي أوقع السيد الأسدي بشباك الخطأ والزلل، هو شدة حرصه في الرد على الآخرين، ممن يقومون بفضح المخططات التي يرتكبها من يتحدث هو باسمهم من المحتلين الغاصبين، ممن يصفهم بـــ (جنود التحرير)، الذين حرروا العراقيين من ظلم الدكتاتورية التي جثمت على صدورهم ما يزيد على عقدين ونصف من الزمن.

أقول: جاء في رد الأسدي عليَّ، أنني أصف خروج قوات الاحتلال من المدن بأنه نتيجة للهزيمة التي مُنيت بها تلك القوات الغازية، ويصحح لي بأنني أجافي الحقيقة وأتجاهل واقع الأمور!! وفات الأسدي أن يصف نفسه بالتجاهل والتناسي حين لا يعترف بأن الحقيقة الناصعة هي ما أشرت إليه، من أن ذلك الانسحاب (إن تم فعلاً) فإنه هزيمة، وجاء نتيجة الضربات الموجعة والمتتالية لفصائل المقاومة، التي ما فتأ السيد الأسدي يصفها في تعليقه بأنها (جماعات إرهابية خارجة على القانون)، الذي وضعه الاحتلال، الذي يتحدث هو باسم قيادته المركزية، في ظل وجوده اللاشرعي.

ثم ينتقل السيد الأسدي من شباك الخطأ والزلل؛ ليقع هذه المرة في شباك التناقض، فهو يخاطبني فيقول: ((إن مناقشتك المتعلقة بحالات الانتحار والفرار من الخدمة التي تدعي تفشيها بين الجنود الأمريكان وتستدل بها على أنها دليل للهزيمة هي خالية من الصحة وبعيدة عن الواقع لأنك أخفيت الكثير

من الحقائق فاسمح لي بالكشف عنها، رغم أنه من الحقيقي هنالك ارتفاع في معدل الانتحار بين جنود الجيش الأمريكي في السنوات الأخيرة)) انتهى بنصه

وأنا هنا أجعل القارئ الكريم هو الحكم، لأنني احترم القارئ وإرادته وفكره، ولا أفرض عليه فكرة مسبقة، كما يفعل الأسدي، وأدعو القارئ لأن يدقق في كلام الأسدي وتناقضاته، حين يصف إثباتي لحالة (الانتحار) التي تفشت في صفوف جيش الاحتلال الأمريكي والبريطاني على حد سواء بأنها ((خالية من الصحة وبعيدة عن الواقع))!! مع أنه بعد عشر كلمات فقط من هذا النص يقول: ((من الحقيقي هنالك ارتفاع في معدل الانتحار بين جنود الجيش الأمريكي في السنوات الأخيرة)).. فأيُّ تناقض هذا!!.

وإذا كان ثمة اعتراض من السيد الأسدي على هذه الحقيقة، فينبغي عليه توجيهه إلى بعض الفهماء الأمريكيين أنفسهم، ممن أدركوا خطورة الوضع الذي يمر به جنودهم الغزاة في العراق، فهذه الناشطة الأمريكية المناهضة للحرب في العراق (سندي شيهان)، التي قتل ابنها خلال الحرب الأمريكية على العراق تؤكد أن الخسائر التي خلفتها حربي العراق وأفغانستان ضخمة جداً، وأنها لا تقتصر على مقتل الجنود فحسب؛ بل خلّفت تداعيات وآثاراً وخيمة على الجنود الأمريكيين لدرجة يقوم يومياً ثمانية جنود أمريكيين بالانتحار وسبب ذلك يعود إلى المشاكل والأمراض النفسية التي أصيبوا بها خلال هاتين الحربين.

وطالبت هذه الناشطة الواعية، العاقلة، النابهة، التي عرفت حقيقة ما يدور في العراق، في تقرير نشره تلفزيون "راشاتودي" بمحاكمة الرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش) ومعه كافة المسؤولين عن حربي العراق وأفغانستان؛ لارتكابهم جرائم حرب ضد الإنسانية، معتبرةً أن الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان غير قانونية.. مؤكدةً بأن حربي العراق وأفغانستان أثّرتا

على المجتمع الأمريكي، وأن الأمريكيين لا يزالون يخوضون الحرب في العراق، في وقت تشهد فيه الأوضاع في أفغانستان تدهوراً كبيراً مما اضطر المسؤولين الأمريكيين إلى زيادة عديد القوات في هذا البلد، مشيرة إلى أن هناك أكثر من خمسة آلاف من القوات الأمريكية باتوا "ضحية" هاتين الحربين كما لقي (٣٠٠) جندي أمريكي حتفهم في أفغانستان خلال (٢٠٠٩م).

وهذه الحقيقة التي تفوهت بها هذه السيدة يقرُّ بها كثير من أمثالها من الأمريكيين والبريطانيين والأوربيين وغيرهم، فإذا كان هناك ثمة نقد يا سيد (أسدي) فينبغي توجيهه لأمثال هؤلاء الفهماء الحكماء!!

ثم يتناقض الأسدي أكثر حينما يرد عليَّ في إثباتي لتفشي حالة (الفرار) فيقول ما نصه: ((وكذلك الأمر المتعلق بالفرار من الخدمة العسكرية فإنه رغم ارتفاعه قبل سنوات حيث وصل إلى أعلى حد قبل سنتين بمعدل قدره ٩ حالات من بين كل ١٠٠٠ جندي))!! إنَّ السيد الأسدي الذي يصفني بإخفاء الحقائق عن القراء الكرام؛ لا أتلمّس في تعليقه هذا إلا مزيداً من محاولة إخفاء المعلومات عن القارئ، مع عدم تمكّنه من ذلك؛ لأن الحق أبلج، ولابد أن يظهر ولو كره الأسدي، ومن ركب معه في مركب الاحتلال.

وإنني لأعجب كثيراً أن يقع الأسدي في تناقض أعمّ وأشمل مما تقدم، مع أن تعليقه لا يتجاوز الصفحة الواحدة، حيث يقول أيضاً: ((إنَّ أية شخص يفهم مادة ولو بعقلية الأطفال سيرى ويستنتج بأن تلك الأرقام لن تؤثر كثيراً على تنفيذ الجيش لمهامه ولكن يبدو بأن الحقيقة ليست لها أهمية في مقالتك))!!.

ولي مع هذا النص الركيك (الذي تآكلَ بسبب ركاكته، وكثرة الأخطاء اللغوية التي فيه) وقفات مهمة، أولها: استهانة الأسدي بعقلية القراء، واستخفافه بمداركهم ووعيهم، وتجاوزه كثيراً عندما أراد أن يفرض فكره عليهم، وهو ما ساقه إلى أن يصف عقل من يخالفه بـــ(عقلية الطفل)!!

وثانيها: اعترافه وإقراره مرة أخرى بانتشار حالتي الفرار والانتحار، مع ادعائه بأن الأرقام المعلن عنها في هاتين الجزئيتين لا تؤثر كثيراً على تنفيذ الجيش لمهامه!!.

وثالثها: إنني أوجه سؤالي هنا للسيد الأسدي فأقول: ما هي المهام التي جاء هذا الجيش الجرار، وعبر القارات والبحار، حتى يقوم بتنفيذها على أرض الرافدين!؟ هل لك أن تضع القارئ أمام الحقيقة باعتبارك صاحب الحقائق الناصعة، والتي تتهمني وتزعم أن ((الحقيقة ليست لها أهمية في مقالتي))!! أرجو منك أن تضعنا أمام الحقائق يا سيد أسدي.

على إنني أذكرك بأنه حتى السياسيين المشاركين في الحكومة الحالية في العراق، يجهلون حقيقة المهام التي جاء الاحتلال من أجل تنفيذها في العراق، ولطالما سمعنا مطالبات بعضهم لأركان الإدارة الأمريكية وسادة البيت الأبيض بأن يُطلعوهم على ماهية تلك المهمة ومضمونها، والتي طالما ربطوا خروجهم من العراق بتحقيق وتنفيذ تلك المهمة التي جاؤوا من أجلها.

ولما لم يجد السيد الأسدي ما يرد به على مقالتي رغم طولها، بدأ يذهب بعيداً، دفعاً للحرج الذي وقع فيه، وراح يغرد خارج السرب، ليحدثني عن موضوع ما يسمى (الاتفاقية الأمنية بين الحكومة والاحتلال) وهو موضوع أكل عليه الدهر وشرب، وطبخ فيما مضى من سالف الأيام حتى احترق، فهو يقول: ((ومن الخطوات المستقبلية للقوات الأمريكية في العراق والتي حددتها تلك الاتفاقية هي الخروج من العراق مع حلول نهاية عام ٢٠١١م)). ويقول: ((إن هذه الخطوة ليست بسر خفي، بل أعلن عنه لتراه أنت وبقية العالم كجزء من تلك الاتفاقية التي يتضح بأنك لم تقرأها أو أنك تتجاهلها. أنا متأكد بأنك ستقلب ذلك الخروج المستقبلي بالهزيمة المذلة. إن أية إنسان عاقل ومنطقي

قام بقراءة تلك الاتفاقية سيستنتج من دون معاناة بأنها خطوة متبعة وتطور طبيعي)).

وهذه الفرضيات التي افترضها وأجاب عنها السيد (غازي الأسدي) بنفسه أوقعته في تناقض كبير، فإنه ليس من شأن مقالتي معالجة موضوع ما تسمى (الاتفاقية الأمنية) بين الحكومة والاحتلال، ولذا أجد حديثه عنها هرباً من الحقيقة الناصعة، التي لا تكاد تخفى على ذوي الألباب، وهو ذات المعنى الذي يقف وراء وصفه لي بجهل الاتفاقية الأمنية، أو تجاهلي لمضمونها!! ويبدو لي أن السيد الأسدي يعلم موقفي من تلك الاتفاقية مسبقاً، وبادر نيابة عني بوصف الانسحاب المزمع إجراؤه في نهاية عام (٢٠١١م) بناءً على ما نصّت عليه تلك الاتفاقية هزيمة!! مع أنني أشكك كثيراً بجدية الانسحاب الأمريكي من العراق.

وإذا كان الأسدي يصف ذلك الخروج بأنه خطوة تطبيقية لتنفيذ الاتفاقية، فإنني أعدّ تلك الاتفاقية برمتها وصاية يسعى الاحتلال لتطويق رقاب أعناق العراقيين من خلالها، في مسعى واضح للسيطرة على إرادة الشعب، ونهب خيراته وثرواته.

ثم يعرج السيد غازي الأسدي على موضوع المقاومة، ويصفها هذه المرة بـــ(القوات التي تحارب ضد القوات الأمريكية والحكومة العراقية الشرعية)، ويتساءل قائلاً: ((بأي منطق يقال بأنها (المقاومة) تدافع عن أحد؟ تلك القوات (المقاومة) لا تتحكم ولا حتى ببوصة واحدة من أرض العراق، أو تمثل أية فئة من فئات الشعب العراقي، ولم تجلب تلك القوات (المقاومة) إلا الدمار والإرهاب ضد الشعب العراقي، رغم جلبهم الكثير من العنف ضد المدنيين من الأبرياء، إلا أنه تأثيرهم على ما يحدث على الساحة العراقية صغير جداً،

وهذا يظهر من ردة فعل الشعب العراقي بالتحفظ والاحترام للسلام والقانون لأعمالهم الوحشية)).

والحق أنني لا أعرف كيف أتحاور في هذه الجزئية مع شخص لا توجد بيني وبينه أرضية مشتركة، في وقت يصف فيه الأسدي المقاومة بأنها قوات خارجة عن القانون، وهي تمارس الأعمال الوحشية، مع أنني ألاحظ حالة الارتباك والاضطراب في أوصافه؛ بسبب عدم قناعته بالكلمات التي يكتبها!! فالقوات الخارجة عن القانون يعترف الأسدي بأنها تقاتل القوات المحتلة، ولا أدري إن كان الأسدي يعلم أو لا يعلم أن مقاتلة المحتل واجب شرعي ووطني، وهو حق كفلته الشرائع والقوانين جميعاً، وسيد البيت الأبيض السابق ومسعر الغزو (جورج بوش) هو من صرح بنفسه أن الولايات المتحدة لو احتلت لدافع عنها!!، والأمريكيون وسادتهم ومن وقف معهم في إلحاق الظلم بالعراقيين هم من اعترفوا بأنهم يمارسون حالة الاحتلال لبلد مستقر ومستقل، فلماذا يدافع الأسدي عن المحتلين، وهذه رغبتهم وتلك توجهاتهم.

و يقول الأسدي إن المقاومة لا تتحكم ببوصة من الأرض العراقية، وأنها لم تجلب إلا الدمار والإرهاب للشعب العراقي، وهنا أتساءل عن التدليس الذي لا يفتأ الأسدي يختبئ وراءه، فبالله عليك من هو راعي الإرهاب؟ ومن هو الذي ألحق الأذى والدمار بالعراق؟ ومن الذي خرب مؤسساته؟ بل من هو الذي أشاع الفوضى والسلب والنهب بين وزارته وممتلكاته؟ ومن هو الذي حلَّ جيشه وبعض وزاراته؟ ومن الذي رمّل نساءه ويتّم أبناءه؟ ومن الذي في ظل وجوده قُتل من أبناء العراق مئات الآلاف؟ ومن الذي بسبب تداعيات وجوده صار في سجونه عشرات الآلاف من العراقيين الأبرياء؟ ومن الذي بسبب وجوده شهد العراق أفضع هجرة جماعية في تاريخ الشعوب؟ ومن

الذي في ظله سُرق نفط العراق وأمواله؟ ومن الذي بسبب تغطيته نهبت آثاره وشوّه تاريخه؟ أهو بسبب المقاومة، أم بسبب المحتلين الغزاة؟.

إن الإنصاف يقتضي منك يا سيد (غازي الأسدي) أن تكون واقعياً، وأن لا تتجاهل الحقائق، وأن لا تحجب الشمس بغربال حتى يرضى عنك المحتلون.

ثم إن السيد غازي الأسدي يعتبُ عليَّ لأنني أصف جنود أمريكا المتواجدين على أرض العراق (محتلين)، وهو يبرر عتبه بأن هذه القوات التي أصفها بالمحتلة قامت خلال السنين الست الماضية ((ببناء البنية التحتية العراقية من خلال آلاف المشاريع التي كلفت مليارات من الدولارات)). ثم يقول: ((إن هذا ليس بعمل يقوم به المحتل إنما عمل يقوم به الصديق للشعب العراقي)). ويقول بعد سطرين: ((ولكن الحقيقة أن قواتنا تساعد تلك الحكومة التي انتخبها الشعب العراقي)).

ومع هذه الخرافات التي يتحدث بها السيد الأسدي، فليس لي معه أي تعليق أو رد؛ لأن من يقرأ كلامه يعرف بطلانه، وهو لا يحتاج إلى مزيد من التعب والمعاناة لإثبات زيفه.

ولعلي أستغل هذه المناسبة من أجل التأكيد على المسلّمات التي أؤمن بها، وأتشرف في الدفاع والذود عنها، حتى تنزاح غمة الاحتلال البغيض الذي جثم على صدورنا، وأذاق أبناء شعبنا الصابر المحتسب ألوان الأسى والظلم والعذاب.

- إن المقاومة التي تستهدف الاحتلال، وتسعى إلى إخراجه من أرض الرافدين حق مشروع، كفلته الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية والأعراف الدولية.

- إنني أدعو إلى المحافظة على وحدة العراق أرضاً وشعباً، ولا يجوز العمل على تفرقة أبناء هذا الشعب الذي تعايش أهله على مدى الزمان، تحت أي مسمى من المسميات الباطلة.
- إنني أدعو إلى المحافظة على أموال الشعب وحقوقه، وثروات العراق، التي حباه الله تعالى بها، وأرى أنّ من الخيانة لهذا الشعب إهدار ثرواته، وتضييع خيراته.
- إن العراق لا يحكمه إلا أبناؤه الأصلاء، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتسلط على رقاب أبنائه الجلادون الغرباء الذين يريدون حكمه بالحديد والنار.
- إنّ التوافق أساس الحل الحقيقي لما يعاني منه العراق اليوم من الخلاف والشقاق، وإن دعوات المصالحة لابد أن يتوفر لها الجو الملائم لتحقيقه، وذلك بالاعتراف بالمسلّمات التي شهدها العراق، من احتلال وخراب ودمار، خلّفه الغزو اللاشرعي للعراق.
- إنّ الدم العراقي محترم ومصون، ولا يجوز الاعتداء عليه بأي حال من الأحوال، وإن الاعتداء عليه تحت أي مبرر، يعد مرفوضاً رفضاً قاطعاً، كائناً من يقف وراءه من الأشخاص والجهات.

وإنني إذ أذلف على خاتمة هذه السطور؛ فإنّي أدعو السيد (الأسدي) إلى مزيد من التدقيق والتحقيق، والتأني والتأنّي، خاصة في معرض ردّه على الآخرين، وأوصيه بأن لا يكون أداةً تحركها إرادة الآخرين متى شاءت، وأنى شاءت!!، وليتمعن بقول الشاعر الذي يقول:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى ... ويبقي الدهرُ ما كتبتْ يداهُ

فلا تكتب بكفكَ غير شيءٍ ... يسـركَ في القيامةِ أنه تـراهُ

راجياً الباري (جلّ جلاله) أن يوفقني لخدمة شريعته ورفع راية دينه، مبتهلاً إليه سبحانه وتعالى أن يستخدمني في طاعته، وتحقيق مرضاته، إنه وليٌ التوفيق والسداد.

الزيدي الذي قذف بوش بالحذاء يعلن: "لقد تعرضت للتعذيب"

ديفيد اوزبورن
باتريك كوكبرن

تذبح الخراف ويتجمع الأهل والأصحاب فيما يشبه حفل عرس يقام على شرف الصحفي العراقي منتظر الزيدي الذي رشق بوش بحذائه خلال زيارته الأخيرة إلى بغداد وقبل أيام قليلة على توديعه منصب الرئيس في شهر كانون الأول ــ ديسمبر الماضي.

خرج الزيدي من السجن يوم أمس معرباً عن أنّ الغضب لا يزال بداخله تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن غضبه الأشد كان منصبّاً على الحكومة العراقية، التي وحسب ادعائه قامت بتعذيبه بأقسى أنواع وطرق التعذيب، كالضرب، والصعق بالصدمات الكهربائية، عندما كان محتجزاً في أحد مراكز الاعتقال التابعة للحكومة العراقية.

منتظر الزيدي، الذي حكم عليه أصلاً بثلاث سنوات بسبب ما قام به تجاه الرئيس الأمريكي قال في مؤتمر صحفي حاشد في مقر المحطة التلفزيونية التي كان يعمل لصالحها بأنه يعتزم كشف المتورطين في سوء معاملته والذي

كان من بينهم حسب ما ذكر مسؤولين رفيعي المستوى في دوائر الأمن العراقية.

بدأت عائلة الصحفي العراقي بالاستعداد لاستقباله والاحتفال به عندما علموا باطلاق سراحه مبكراً، على أساس حسن السير والسلوك.

((عدي)) وهو شقيق الصحفي العراقي منتظر قال لنا: الحمد لله إنّ منتظر قد عاش ليرى نور الشمس مرة أخرى، أتمنى أن يتمكن بوش من رؤية سعادتنا وفرحتنا في الوقت الحاضر، وعندما سيتطلع بوش إلى الوراء ويقلب صفحات حياته فإنه سوف يرى حذاء الزيدي في كل صفحة منها.

وأضاف: إنه يخشى على حياة أخيه في العراق، وفعلاً تم وعلى الفور نقل الزيدي بطائرة خاصة إلى اليونان، ولكن الزيدي لم يرغب أن يمر اطلاق سراحه بدون أن يفجر عدداً من المفاجأت ومن العيار الثقيل حيث سلط الأضواء بشكل سريع على ظروف اعتقاله والفترة التي قضاها خلف قضبان المعتقلات العراقية، والذي ترتبط أيضاً بالظروف التي يعيشها العراق ككل، من فلتان أمني، وسيطرة الفساد على جميع مرافق الدولة، لا سيما المرفق الأمني، "أنا حر ولكن بلدي مازال محتلاً".

مظاهر الاحتفالات باطلاق سراح الزيدي تزامنت مع الزيارة المفاجئة التي قام بها وفد أمريكي رفيع المستوى إلى بغداد برئاسة نائب رئيس البولايات المتحدة (جو بايدن) والذي أجرى محادثات مع السيد المالكي؛ حيث قام الوفد الأمريكي بتغيير الطائرة التي كان يستقلها في قاعدة (ملدنهول) الملكية الجوية في بريطانيا في طريقهم إلى بغداد، ووفقاً للزيدي فإن رئيس الوزراء المالكي كان يراوغ ويخادع بإخباره الشعب العراقي بعد اعتقال الزيدي، بأن الزيدي بصحة جيدة، وأنه سيكون تحت رعايته، حيث قال الزيدي: "في الوقت الذي قال رئيس الوزراء نوري المالكي للتلفزيون بأنه لن

ينام حتى يطمئن على حالتي... بينما كنت أنا اتعرض للتعذيب وبأسوأ الطرق وذلك بضربي بالأسلاك الكهربائية وقضبان الحديد"، وأضاف: "أنا لست بطلاً وأنا أعترف بذلك، أنا مجرد شخص كان يرى أن بلده يحترق".

الزيدي الذي يعتبر الآن بطلاً بنظر جميع شعوب الشرق الأوسط فضلاً عن مختلف أنحاء العالم، بعد أن أدهش المراسلين القادمين من الولايات المتحدة والمراسلين المحليين العراقيين عندما عبر عن فورة غضبه أثناء المؤتمر الصحفي المشترك بين الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش ورئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، واصفاً بوش بـ"الكلب" والتي تعتبر إهانة شديدة في العالم العربي، وطاش حذاء الصحفي الزيدي ليخطئ وجه الرئيس الأمريكي ببوصات قليلة، مما دعا رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي إلى رفع يده ليحمي وجه الرئيس الأمريكي السابق من الحذاء الثاني.

"هذه هي هديتك من العراقيين... هذه هي قبلة وداعك يا كلب!"، كانت هذه العبارة هي العنوان الأبرز في نشرات الأخبار في مختلف أنحاء العالم.

يوم أمس كان في استقبال السيد الزيدي لدى مغادرته السجن عدد من أعضاء البرلمان العراقي الذين كانوا يساندوه، كما وصل إلى مقر (البغدادية) المحطة التلفزيونية التي كان الزيدي يعمل لصالحها، حيث قام على الأقل موظفين إثنين بذبح الخراف تكريماً له، أما في شوارع العاصمة فإن أنصاره أخذوا يقرعون الطبول ويهتفون باسمه، معلنين عن ولادة بطل قومي جديد في العراق.

لم يبد الزيدي وهو مسلم شيعي[1] أيّ ندمٍ على ما فعل، وبدلاً من ذلك أخذ الزيدي بالتعبير عن مدى غضبه تجاه جورج بوش بوصفه صاحب قرار اجتياح العراق في عام ٢٠٠٣م.

كان الزيدي يعد التقارير الصحفية عن تلك الحرب لصالح المحطة التلفزيونية التي كان يعمل لصالحها (البغدادية) وشهد أول آثار العنف التي تسبب بها تلك الحرب، وتابع الزيدي قائلاً: "الاحتلال قد غزانا تحت ذريعة التحرير، ولكنه بدلاً من ذلك قسم الأشقاء والجيران إلى طوائف متناحرة، بل جعل من بيوتنا خياماً للجنائز، ومن شوارعنا مقابراً".

متذكراً تلك اللحظة التي رمى بها الحذاء، استمر الزيدي بالقول: "رأيت فرصة أمامي لا يمكن تفويتها، لو عرف الذين وجهوا اللوم لي على ما فعلت عدد المنازل المهدمة التي دخلتها بذلك الحذاء، وعدد المرات التي أختلط بها هذا الحذاء بدماء العراقيين الأبرياء، كم من بيت دخله ذلك الحذاء وأصحابه قد فقدوا كرامتهم وكل ما ملكوا بسبب بوش لعرفوا بأن ذلك كان رد الفعل المناسب تجاه المجرم بوش".

كما أن الزيدي كان صريحاً وواضحاً في تهديده بأنه سيفضح المسؤولين عن تعذيبه في السجن، وأضاف: "سوف أعلن في وقت لاحق أسماء المتورطين في تعذيبي، ومن بينهم مسؤولين رفيعي المستوى في الحكومة والجيش".

---

[1] هكذا وصفه الكاتب، مع أنّ منتظر الزيدي أصرَّ على تجريد نفسه من أي وصف يمكن أن يكشف عن طائفته، حتى وهو يتعرض لأقسى أنواع التعذيب في فترة اعتقاله، وأكد مراراً على أنّه يعتز بهويته الوطنية العراقية، وقد ترجمنا العبارة بنصها حرصاً على الأمانة العلمية.

الرجل الذي قذف بوش بالحذاء
منتظر الزيدي أطلق سراحه بعد سجنه وتعذيبه

ريتشارد كيرباغ

ها هو منتظر الزيدي يعانق شقيقته بعد اطلاق سراحه من السجن. في الليلة الماضية غادر الزيدي العراق لإجراء فحوص طبية، الزيدي هو الصحافي العراقي الذي سجن لقذفه حذاءً على الرئيس الامريكي السابق جورج بوش، قال أمس في مؤتمر صحفي عقده في مقر الفضائية (البغدادية) التي يعمل لصالحها: "بأنه قد تم تغطيسه في الماء (بما يعرف بتكنيك الايهام بالغرق) فضلاً عن الصعق بالكهرباء، والضرب المستمر ليلاً ونهاراً.

منتظر الزيدي الذي فقد بعضاً من أسنانه الأمامية، وكسر أنفه وبعض أضلاعه خلال فترة تسعة أشهر قضاها في أحد السجون العراقية، قال: بأنه سيكشف أسماء عدد من كبار المسؤولين في الحكومة العراقية متهماً إياهم بتعذيبه بصورة مباشرة.

المراسل الذي رفض الإعتذار عن رميه حذاءه على الـرئيس الأمريكـي السابق طالب رئيس الوزراء العراقي بالإعتذار منه متهماً إياه بتضليل الـرأي العام بشأن المعاملة التي لقيها وراء القضبان، حيث قال في مؤتمر صـحافي عقده في مكان عمله السابق (قناة البغدادية الفضائية): "لقد تعرضت للتعـذيب بأبشع الطرق، الصعق بالصدمات الكهربائية والضرب بقضبان حديدية".

وقال: "بأن المالكي قد أكد علناً بأني سأنال الرعاية الكاملة فـي سـجني بينما في الحقيقة وفي نفس توقيت إعلان المالكي كنت مكبل اليدين ومرمياً في العراء البارد بعد أن تم إغراقي بالماء كنوع من أنواع التعذيب".

"أنا أطالبه بالاعتذار عن اخفاءه الحقيقة عن الناس مع علمه بمـا يجـري لي"، وأضاف الزيدي: "سأعلن لاحقاً أسماء الذين شاركوا بتعذيبي بمـا فـيهم بعض كبار المسؤولين في الحكومة والجيش".

على الرغم من التحدي والظهور الذكي الذي بدا عليه الزيدي إلا أنه قـد بدا ضعيفاً وواهناً جسدياً، وأحياناً كان بحاجة إلى المـساعدة، بينمـا احتفـل أصدقاءه وعائلته باطلاق سراحه، أما شقيقه الذي كان يشد على يد أخيه التـي كانت ترتجف كما لو كان واقفاً تحت الثلوج.

سئل الزيدي من قبل مراسل صحيفة التايمز: "كيف تـشعر الآن؟"، نجـح الزيدي بوضع ابتسامة باهتة على شفتيه قائلاً: "ليس جيداً جـداً"، وأضـاف: "لكني مع هذا على ما يرام".

علي خضير أحد أفراد أسرة الزيدي أشار إلى علامـات التعـذيب التـي كانت تغطي رأس منتظر الزيدي قائلاً: "هذا آثار الحرق بالسجائر التي كـان حراس السجن يطفؤونها برأسه ووجهه، وهناك الكثير غير هـذه العلامـات وآثار التعذيب المنتشرة في كل أنحاء جسده ولكنها تختبئ تحـت الملابـس"، وبعد المؤتمر الصحفي غادر منتظر الزيدي على متن طائرة خاصة لـسوريا

وهو في طريقه إلى اليونان؛ لاجراء فحوصات طبية وفقاً لما أعلنــه شــقيقه عدي.

ابن عمه حيدر الزيدي قال: "منتظر سيذهب إلى اليونان لتلقــي العــلاج الطبي لأنه كان قد حقن بمادة مخدرة كيماوية غير معروفة للأطبــاء، وأنــه يعاني من صداع مستمر".

قصة هذا الصحفي هيمنت على أخبار العراق والشرق الأوسط في الأيــام الماضية، حيث كان فعله "البطولي" على رأس نشرات الأخبار، كل الأحاديث في الشارع العراقي كانت تدور حول ما قام به الزيدي وحول اطلاق سراحه.

أصبح الزيدي من مشاهير العالم بعد أن قذف الرئيس الأمريكي السابق بحذائه خلال مؤتمر صحفي عقده في كانون الأول ــ ديسمبر الماضي خلال زيارته الأخيرة إلى بغداد، ودعاه بالكلب (وهما يعتبران من أسوأ الاهانات في مجتمعات الشرق الأوسط)، ربما تجنب بوش الأحذية التي طارت نحوه، ولكن الهجوم كان مصدر احراج كبير للمالكي الذي كان يقف إلى جواره.

هناك الآن عروض كثيرة قدمت للزيدي ليعمل فــي مختلــف المحطــات الفضائية العربية، فضلاً عن تلقيه عروضاً كثيرة للزواج من مختلــف أنحــاء المنطقة.

وقال الزيدي: إن هذه الضجة الإعلامية التي أحاطت به كانت أقل أهميــة بالنسبة إليه مما حدث للعراق، "أنا الآن حر ولكــن بلــدي لا يــزال أســيراً" وأضاف قالاً: "أنا لست بطلاً... بل أشعر بالإهانة لرؤية بلدي يعاني".

"أتمنى أن يعرف الناس الذين قاموا بلومي على ما فعلت، عــددَ المنــازل التي قد دمرها الاحتلال والتي قد دخلتها بهذا الحذاء، وعدد المرات التي خالط هذا الحذاء دماء الابرياء من أبناء بلدي، وعدد المنازل التي دخلتهــا والتــي كانت قد انتهكت من قبل قوات الاحتلال".

وأدين الزيدي في آذار – مارس وحكم عليه بالسجن لثلاث سنوات، ولكن تم تقليصها لسنة واحدة في الاستئناف؛ لكونه لا يملك سجلاً اجرامياً من قبل، إلا أن المدة خفضت مرة اخرى لحسن السلوك لتسعة أشهر.

وكانت السلطات العراقية قد نفت تعرض الزيدي للتعذيب في السجن ولكن بعد المؤتمر الصحفي الذي عقده الزيدي، قال سامي العسكري أحد مستشاري المالكي: إن مثل هذه الادعاءات ينبغي التحقيق فيها.

العراقي منتظر الزيدي الذي رشق بوش بحذائه تعرض للتعذيب بواسطة "الإيهام بالغرق"

فيليب نوتون

أخيراً أفرج عن المراسل الصحفي العراقي الذي حكم عليه بالسجن لرميه حذاءه على الرئيس الأميركي السابق جورج بوش، صرّح بأنه قد تعرض للتعذيب بواسطة الصدمات كهربائية وحتى تكنيك الإيهام بالغرق أثناء احتجازه.

منتظر الزيدي كان وراء القضبان منذ أن صرخ قائلاً "هذه هي قبلة الوداع يا كلب" وقذف بحذائه بوش خلال زيارته الاخيرة في بغداد أثناء مؤتمر صحفي في كانون الأول- ديسمبر الماضي، والتي تعتبر من الاهانات الشديدة في العالم العربي.

على الرغم من أن بوش تجنب الأحذية التي طارت نحوه وكان رده تجاهها بضحكة سخيفة تنم عن مدى الاحراج الذي أصابه، ولكن الاحراج الأشد كان من نصيب المالكي، الذي حاول إبعاد الحذاء الطائر الثاني عن وجه بوش.

مطلقاً لحية خفيفة ومرتدياً وشاحاً يحمل ألوان العلم العراقي متدلياً على كتفيه، قال الزيدي: بأنه لا يشعر بأي ندم إزاء ما قام به قبل تسعة أشهر تجاه بوش.

وقال في مؤتمر صحفي عقده في مكتب القناة التي يعمل لصالحها (البغدادية ومقرها في القاهرة – مصر) بأنه ليس بطلاً ولكن ببساطة قد اغتنم الفرصة لإهانة الرجل الذي أهان العراق خلال ست سنوات من الاحتلال.

وقال الزيدي: "بالنسبة لي كان رد فعلي عفوياً ومناسباً، ما أردت القيام به برمي حذائي في وجه المجرم بوش كان التعبير عن رفضي لأكاذيب احتلال بلدي".

وأضاف: "وفي الوقت الذي قال فيه نوري المالكي في تصريحات نقلها التلفزيون بأنه لا يستطيع النوم دون أن يشعر بالاطمئنان على صحتي... كنت أتعرض لأسوأ أنواع التعذيب وبأبشع الطرق، مثل الضرب بالأسلاك الكهربائية والقضبان الحديدية".

المراسل العراقي البالغ من العمر ٣٠ عاماً قال: بأنه يطالب المالكي بالاعتذار منه، مشيراً إلى أن الحراس قد أستخدموا في تعذيبه أيضاً تكنيك الإيهام بالغرق (وهو أسلوب استخدمه الأميركيون على المشتبه بهم الذين اعتقلوا بعد أحداث الحادي عشر من ايلول ــ سبتمبر ٢٠٠١م).

وأضاف الزيدي: "أنا الآن حر ولكن بلدي لا يزال أسيراً، أشعر بالإهانة لرؤية بلدي يعاني، وبغداد تحترق، وشعبي يقتل".

زغردت عائلة الصحفي الزيدي عندما سمعت أنباء اطلاق سراحه عن طريق الهاتف في منزلهم ببغداد، قام أقرباؤه وأصدقاؤه بذبح الأغنام في احتفال كبير أقيم له، ولكن لمّ الشمل تأخر؛ لأن السيد الزيدي كان من المقرر ان يخضع لفحوص طبية في مكتب قناة البغدادية أولاً.

وقال أقارب المراسل: بأنه كان مرهقاً وكان من المقرر أن يسافر إلى اليونان للعلاج بعد معاناة جسدية ونفسية تعرض لها في السجن.

قد يواجه الزيدي نمطاً جديداً لحياته مختلف جداً عن السابق، على الرغم من أنه لم يتم التخطيط لاستئناف مهام وظيفته القديمة، وقد وعده رئيسه في العمل بمنزل جديد كمكافأة على ولائه والدعاية التي تسبب بها عمله للقناة التي ذاع صيتها بسبب ما قام به الزيدي وتم بثه على الهواء.

وهناك أيضاً حديث عن مناصب مرموقة عرضت على الزيدي من أكبر الشبكات الإخبارية العربية، فضلاً عن الهدايا الفاخرة مثل السيارات الرياضية المقدمة من رجال الأعمال، وضمان النجومية، والتقارير التي تفيد بأن النساء في المنطقة العربية من بغداد إلى قطاع غزة تريد الزواج منه.

نشاطات مركز الأمة للدراسات والتطوير حتى تأريخ ٢٠٠٩/٨/٨م

نشاطات قسم الدراسات

الندوات

ندوة خاصة عن (الانسحاب الأمريكي من المدن العراقية بين الإعلان والواقع) بتأريخ ٣٠-٦-٢٠٠٩م وتضمنت محورين رئيسين:

أولاً: المحور السياسي قدمه الدكتور خالد المعيني مدير مركز دراسات الاستقلال، وتناول فيه:

- دلالات هذا الانسحاب وأبعاده السياسية والإعلامية.
- أهداف الحكومة من التسويق والدعاية لهذا الانسحاب.
- رؤية القوى المناهضة للاحتلال لإعلان الانسحاب.
- أوجه الاحتلال الأخرى غير العسكرية.

ثانياً: المحور العسكري وقدمه الدكتور مهند العزاوي مدير مركز صقر للدراسات الإستراتيجية والعسكرية، وتناول فيه:

- دلالات الانسحاب من وجهة نظر عسكرية وأمنية.
- القواعد العسكرية المقرر الانسحاب إليها وكل ما يتعلق بها.

- الشركات الأمنية ودورها ما بعد انسحاب قوات الاحتلال من المدن.

المحاضرات

- محاضرة للدكتور عزمي بشارة بعنوان (القضية العراقية من وجهة نظر عربية) بتأريخ ٨-٧-٢٠٠٩م.
- محاضرة للدكتور حاكم المطيري بعنوان (تحرير الإنسان على طريق تحرير الأوطان) بتأريخ ٢٣ -٧-٢٠٠٩م.

نشاطات قسم التطوير

ورشة عمل عن تطوير المهارات الشخصية قدمها رئيس قسم التطوير بتأريخ ٢٩-٦-٢٠٠٩م.

مطابع الأهرام ٦ أكتوبر - التجارية - مصر